" حَـدِيــثُ الصّــوَرِ "

- ونستهلُّ صفحات كتابنا بأبلغ الأحاديث : " حديث الصّوَر " من داخل قاعات ومجازر ومحارق مَحاكم التفتيش الكنسية، لأنه قد يُغنى عَن تِلال الكُتُب، ويُؤكد للقارئ : أن المحبة التى يتشدق بها كُهّان الكنيسة الكاثوليكية ، ما هى إلا مَحبة مزعومة .
- وبعد حديث الصّور، قد لا يتبقى للقلم إلا فصولٌ قِصَار ، قد تُصاغ فى بضعة أبواب



"هَيْـكلٌ عَـظـمِىّ"

وحَصَادُ ما أفرزته عُقول زبانية الجحيم ، لقتل وتعذيب المسلمين فى غُرفِ مَحاكم التفتيش الكنسية ، بإسبانيا النصرانية الكاثوليكية . ويُرى بالصورة كُلّ ما تبقى من مُسلمٍ كان حيًّا يُرزق ، أذاقوه العذابَ الهُونَ حتى الموت ، بينما الحُضور يَرقصون ، ورجال الدين يُسبّحون ، ويُرتلون " ترنيمة الموت " التى ينسبونـها للمسيح زورًا :

" مَنْ ليس مَعنا فهو علينا ، وأن كُلّ شجرة لا تُثمر، وَجَبَ قطعها وإلقاؤها فى النار ، فالذنب ذنبهم ، ودماؤهم على رؤوسهم "

ثم يقول الكاهن بعد تلاوة الترنيمة : " المجد لسيدتنا والدة الإله ، ومُباركٌ كُلّ مؤمنٍ صالح " بعدها ، يمد الناس أيديهم ، لأخذ البركة ! [فبربّك أيها القارئ : قل لى، أىّ بركة تلك ؟!]

اسم الكتـــاب : نحو وَعْيٍ بالتاريخ ، وحتى لا ننسى وحتى نعتبر :

محاكــم التفتيـش

الكَنسِيّة بالأندَلس

اسم المؤلـف : مهندس : حمدى عبده سلامة موسى
رقم الإيــداع : ٢٣٥٦٤ / ٢٠١٤
الترقيم الدولى : 7 - 2384- 90 – 977 – 978
الطبعـة الأولى : ديسمبر ٢٠١٤ م

التجهيزات الفنية بمطابع الشرطة

ت : ٢٥٩٠٣٠٣٠ - ٢٥٩٠٣٥٣٥





" صندوق الجَمَاجِم "

أو صندوق الجحيم ، ورأس مُسلم : هو كُلّ ما بقى من بَدنه ، الذى رفض أن يُفتن فى دينه ، فوضعوا رأسه فى صندوق تعذيبٍ فى حجم رأس إنسان ، بعد أن كَبّلوا بالسلاسل أطرافه ، ثم صبّوا الماء البارد أيامًا على رأسه ، قطرة قطرة ، حتى أصابوه بالجنون ، ثم بالموت البطيء صَبرًا (إرهاقا بالأرق ، وعذابًا بالجوع والعطش) . فلا حول ولا قوة إلا بالله



جمهورية مصر العربية

وزارة التعليم العالي

معهد الدراسات الإسلامية

بعد الاطلاع على نتيجة امتحان معهد الدراسات الإسلامية
قرر وزير التعليم العالي بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩٧٨
منح حمدي عبده سلامة موسى
درجة الدبلوم في الدراسات الإسلامية بتقدير ممتاز
القاهرة في صفر سنة ١٣٩٩ هجرية الموافق يناير سنة ١٩٧٩ ميلادية

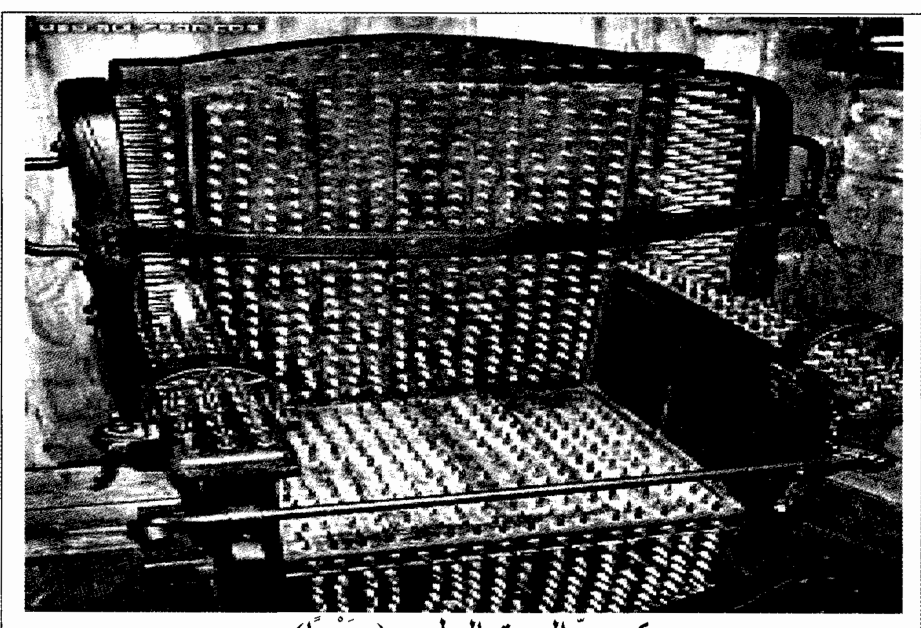
سجلت برقم ٢٦١
توقيع صاحب الدرجة

مدير المعهد

وزير التعليم العالي

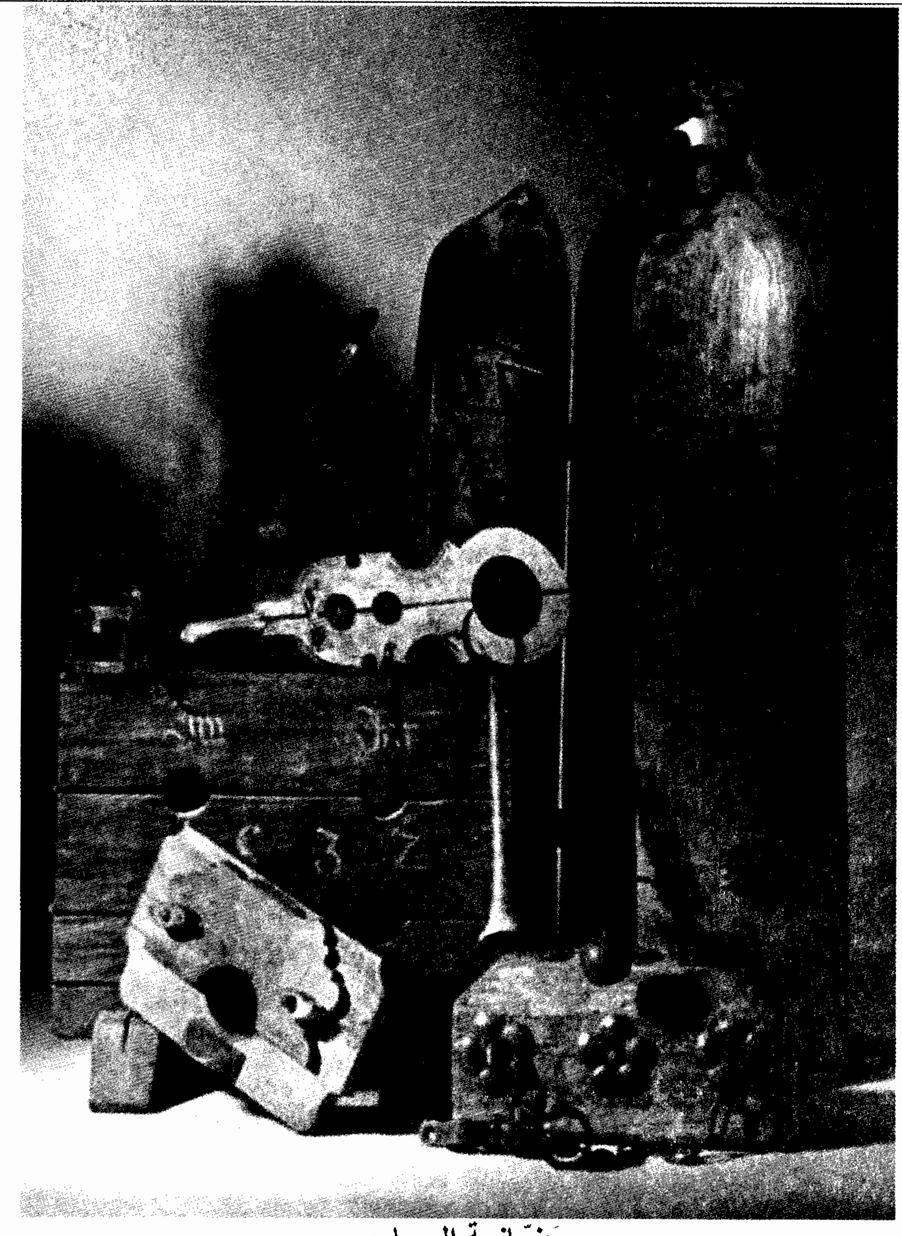


المقاريض الحَديديّة :
لوحة فى " مُتحف أدوات التعذيب " فى قرطبة باسبانيا ،
تُصوّر قرْض لحم أحد المسلمين بالمَقاريض ، الذى يُرى يَهربُ بيُسراه بعد أن نهشوا لحمها



كرسىّ الموت البطيء (صَبْـرًا) :
كرسىّ مُدجّج بالمسامير، لقتل المسلمين صَبْرًا :
(حيث تنزفُ دماؤهم حتى الموت ، وهم يُكابدون الألم ، والجُوع ، والعَطش)


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران ١١٠)
صدق الله العظيم

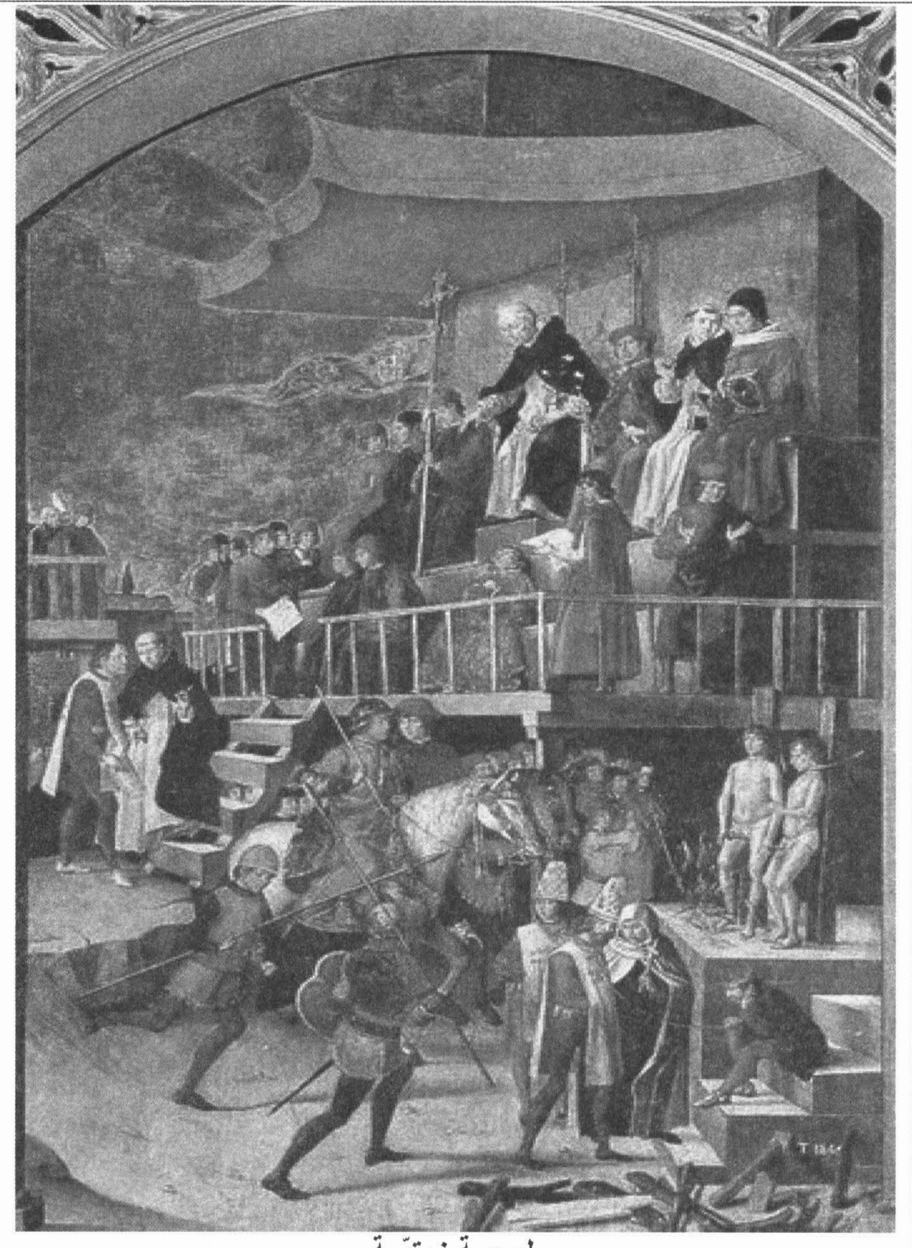


حَضّانــة المسامير

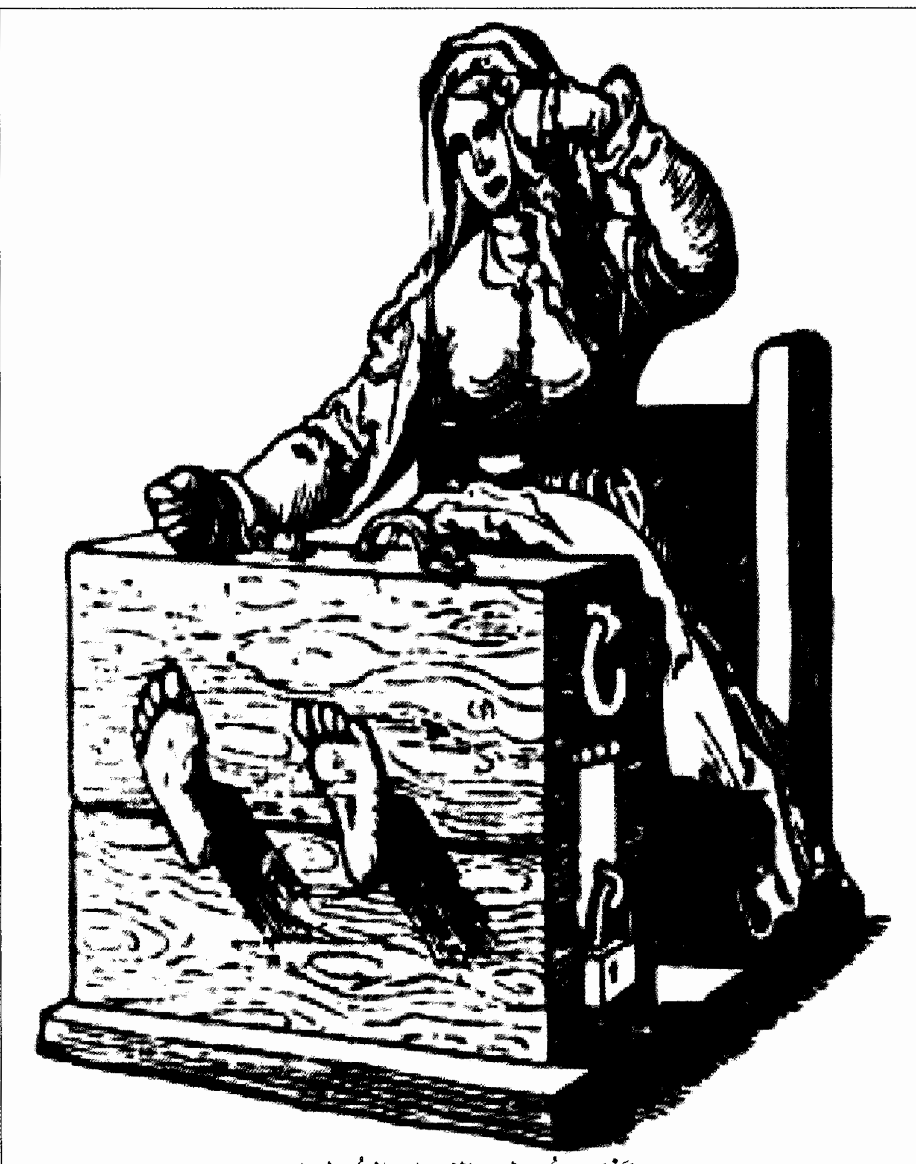
مُدجّجة بالمسامير من داخلها ، تُغلق على المُسلم واقفًا ، لاعتصار واستصفاء دمه حيًّا ، تُرى قائمة على يمين الصورة ، وحولها نماذج من أجهزة تعذيبِ أخرى ، لإجبار المسلمين على التنصّر ، ما زالت معروضة بمُتحف قرطبة ، تشهد على مَنْ صَنَعَ الإرهاب !!

كتبٌ أخرى للمؤلف :

١- رؤية جديدة فى تاريخ، بنى إسرائيل واليهود والعبرانيين – طبعتان .
٢- الإسـلام فى إسبانيا وفرنسا ، وصقلية وجنوب إيطاليا .
٣- نحو وَعْى بالتاريخ ووطن مُنتصِر : مِصر سَبّاقة الأمم .
٤- نحو وَعْى بالعسكرية الإسلامية : مَعارك الإسلام الكبرى .
٥- نحو وَعْى بالتاريخ وأمة مُنتصرة : أفريقيا قارة الإسلام .
٦- كَىْ يستقيم وعينا بالتاريخ : الحضارة الإسلامية .
٧- نحو وعى بالتاريخ وأمةٍ مُنتصرة، الإسلام فى أوروبا وآسيا ، والأقليات المُسلمَة حول العالم .
٨ - نحو وعى بهيمنة الإسلام وكماله ونقائص المُعاندين وتناقضاتهم، الإسلام والمُعاندون ، وحتمية ظهوره على الدين كُله .



لوحــة زيتيّــة
بمُتحف أدوات التعذيب فى قرطبة ،
الذى أقامته إسبانيا ، لتخليد أعمال محاكم التفتيش الكنسية ،
تُوضح : كيفيّة حرق اثنين من المسلمين ، قد شُدت أبدانهما إلى قوائم رأسية ، فى احتفالٍ دينىّ



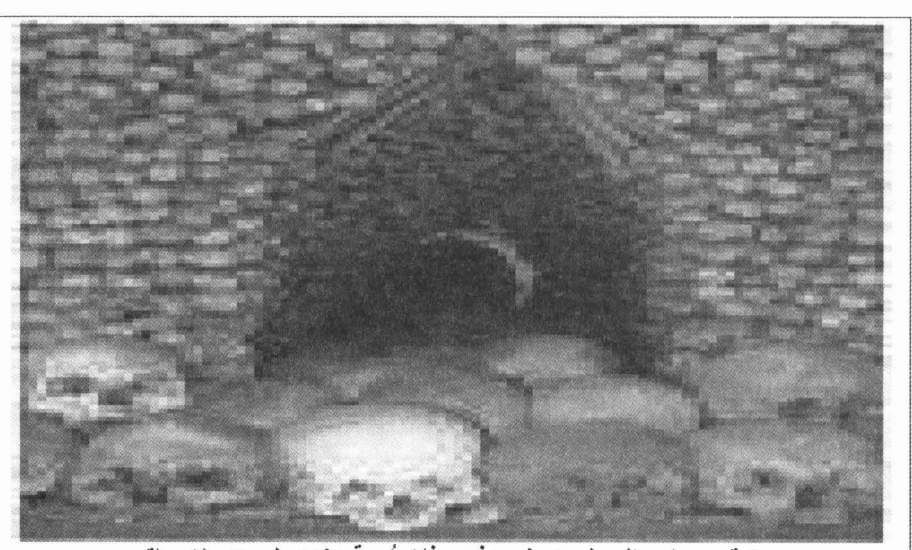
هكَذا : عُوملت النساء المُسلمات

- فيا حُمرة الخجل أين أنت - ويا لِهَوَان العرب والمسلمين ،

فلو كان المُعتصم بن الرشيد - بطل عمورية - حيًّا ، لحَشدَ لندائها الجيوش الجرارة ،
ولو كانت فى صَدر الإسلام بالمدينة المنوّرة ، لقامت من أجلها الحروب ، حيث حاصرت كتائب المسلمين قبيلة بنى قينقاع اليهودية ، وأجْلتها عن الجزيرة العربية كُلها إلى أذرُعات بالشام ،
لمُجرّد كشف عورة امرأة مُسلمة ، فى أحد أسواق اليهود بالمدينة المُنوّرة



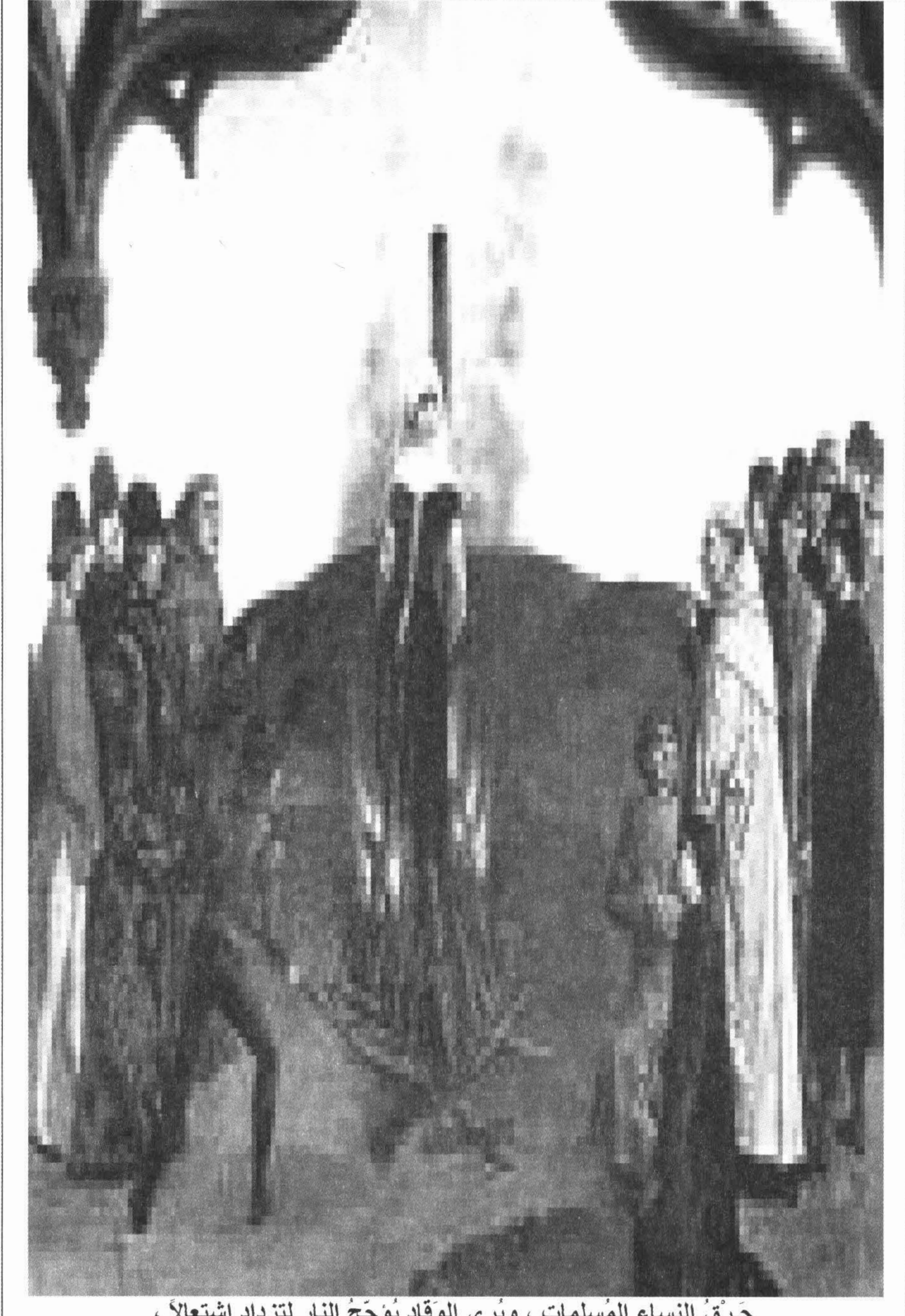
غُرف التعذيب ، وألوانٌ شتى من آلات تعذيب المسلمين ، فى إسبانيا والبرتغال



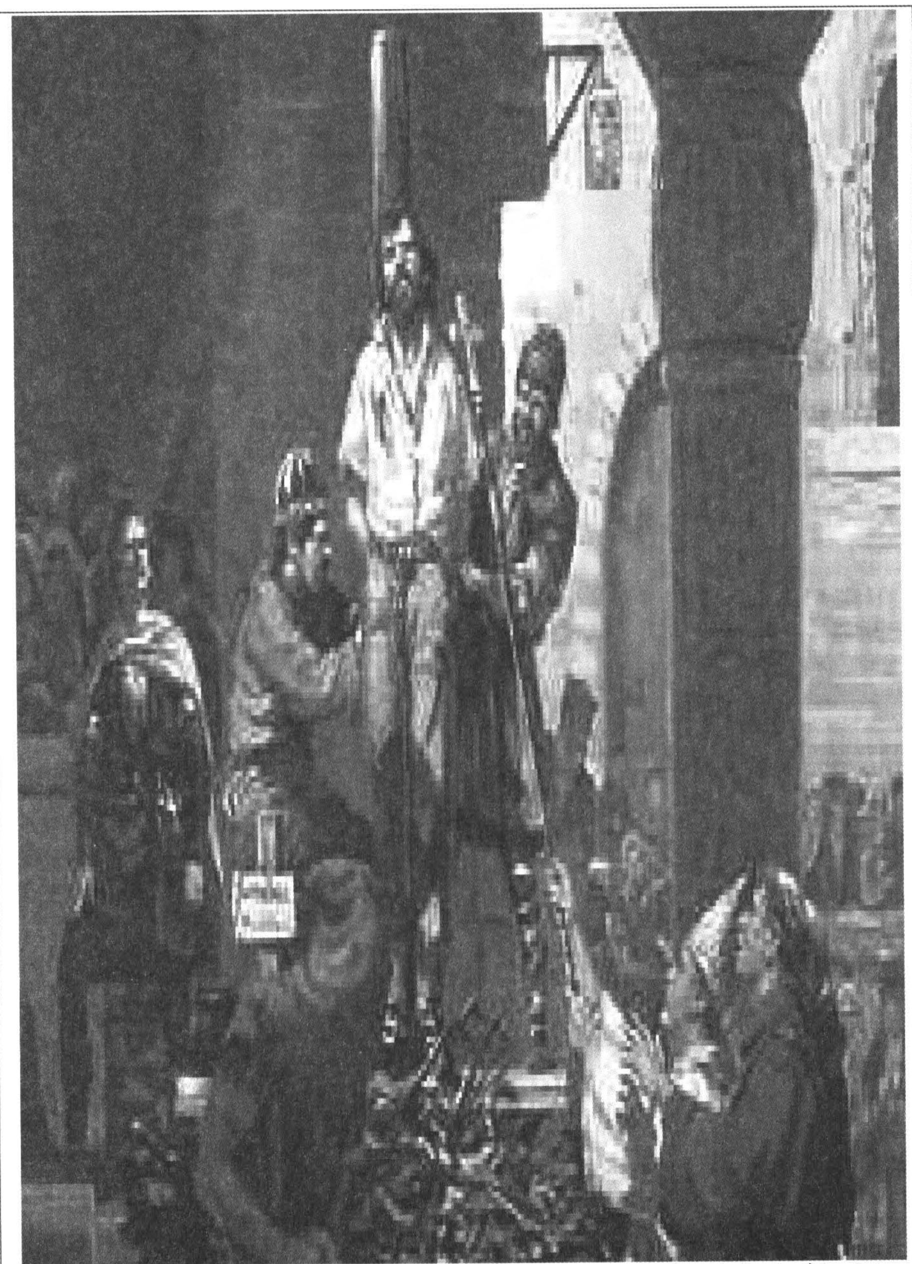
وتبقى جماجم المسلمين بغير دفن ، فلا حُرمة عندهم لموت ولا حياة ،
فهم زبانية محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، فى إسبانيا والبرتغال



مَناشيـر الحديـد (لوحة رمزية) :
ما زالت موجودة بمُتحف أدوات التعذيب بقرطبة بإسبانيا ، توضح كيف كانت :
تُنشر أبدان المسلمين بالمناشير الحديدية ، فيا لِوقاحة الحضارة الغربية التى ما زالت قائمة



حَـرْقُ النساء المُسلمات ، ويُرى الوَقاد يُؤجّجُ النار لتزداد اشتعالاً ،
فى مهرجانٍ يحضره العامّة ، ورجال الكنيسة من أعضاء محاكم التفتيش الكاثوليكية



بَرْبريّة الكاثوليكية، التى رمتنا بالحروب الصليبية القرنين ١٢ ، ١٣م :
برابرة النصارى من رجال الدين ، فى الكنيسة الكاثوليكية الغربية ،
الذين أقاموا محاكم التفتيش فى إسبانيا والبرتغال ، لِتُفتش فى قلوب المسلمين وضمائرهم



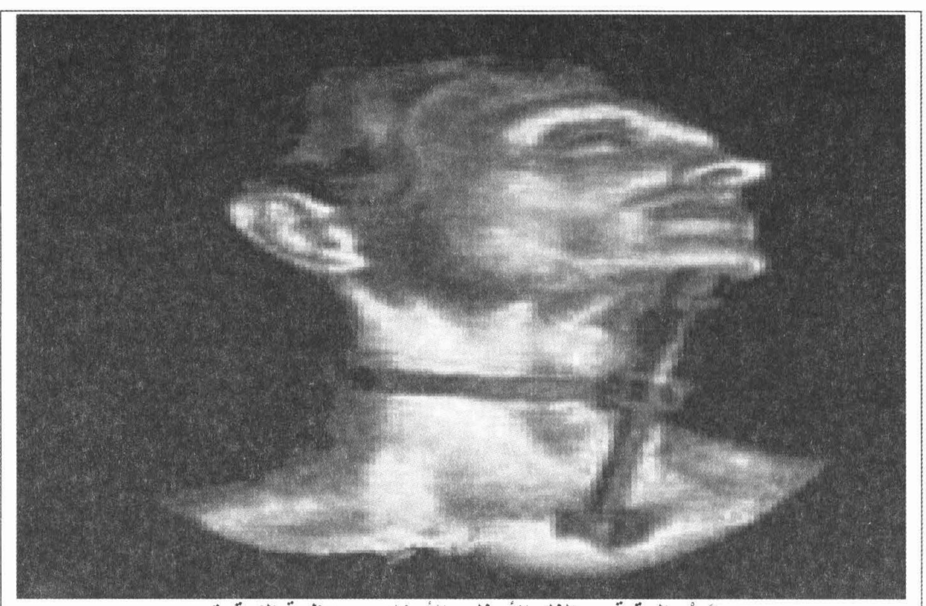
العذاب الهُون (الهَوانُ والمَذلَّة) :
لأن الموت حَرقا عندهم لم يَكن كافيًا ، فكانوا يَربطون المُسلم على سُلم طويل ، ثم يُدخلونه النار بالتدريج من جهة قدميه ، حتى يطول عذابه قبل أن تخمد الأنفاس



امرأة مُسلمة بين أيدى الزبانية ، من كهنة محاكم التفتيش الكنسية ،
وحضارة غربيّة ، خلت تمامًا من منظومة القيم ، وتراجعت فيها الرّحمة بغير حدود



الشيّ على الأسياخ :
ونماذج مُتعددة من العذاب ، فى محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية الإسبانية والبرتغالية ،
وأحد المسلمين يُشوَى على السّيخ ، وعلى اليسار مُسلم آخر (دَكّكُوه فى السّيخ) ينتظر دوره !!



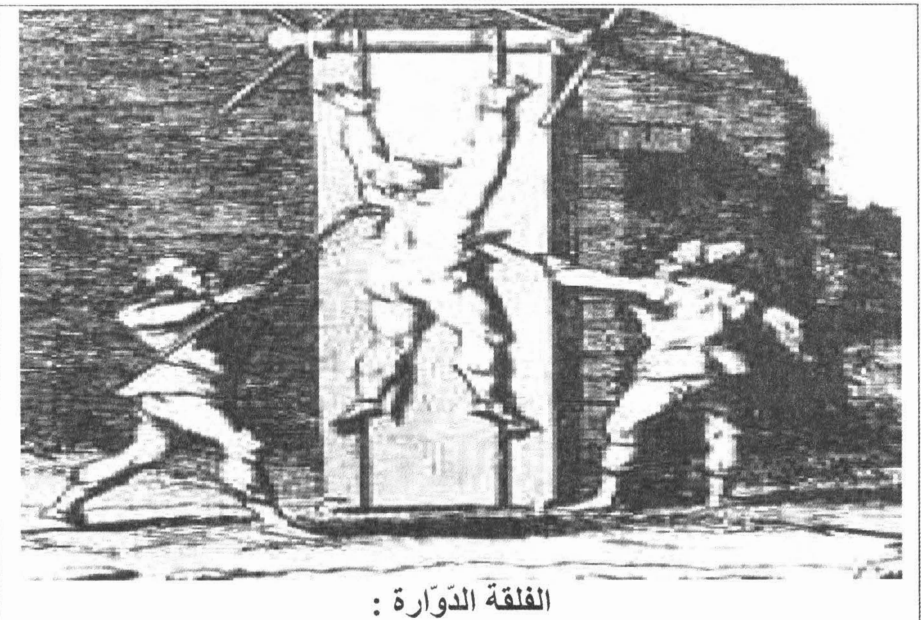
كَسْر الرقبة ، والفك الأسفل والأسنان ، وعظمة الترقوة ،
على أيدى زبانية نصارى محاكم التفتيش الكنسية ، بإسبانيا والبرتغال



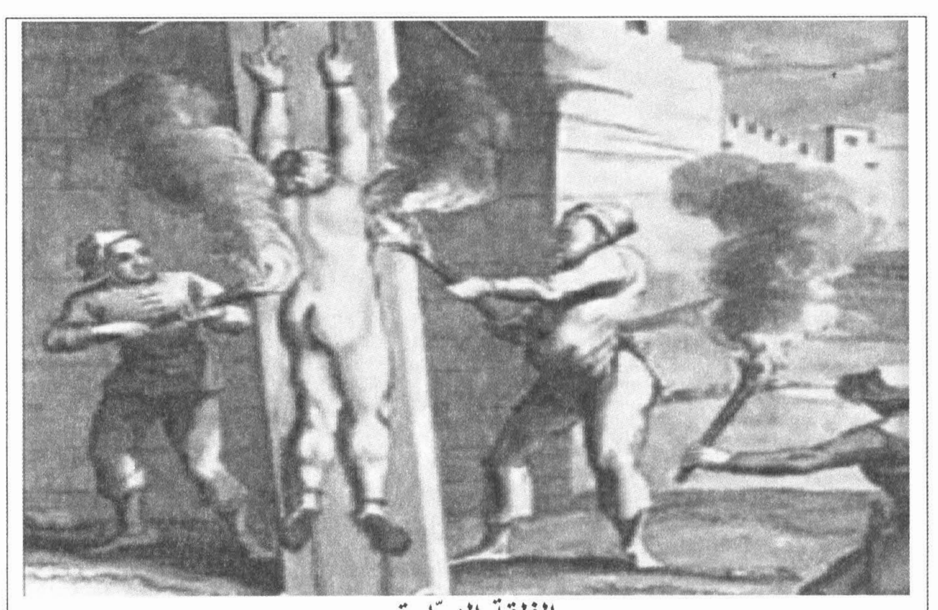
الكَىّ بالنار
لون من ألوان تعذيب المسلمين لحَمْلِهم على التنصُّر ،
على أيدى أدعياء المحبة الكاثوليكية ، الذين طفح التاريخ الإسبانى بوقاحاتهم



القفصُ الحديدىّ :
أو غُرفة تكسير عِظام المسلمين أحياءً ،
إمعانًا فى التعذيب والعقاب ، بسحق عظام الأطراف والرأس



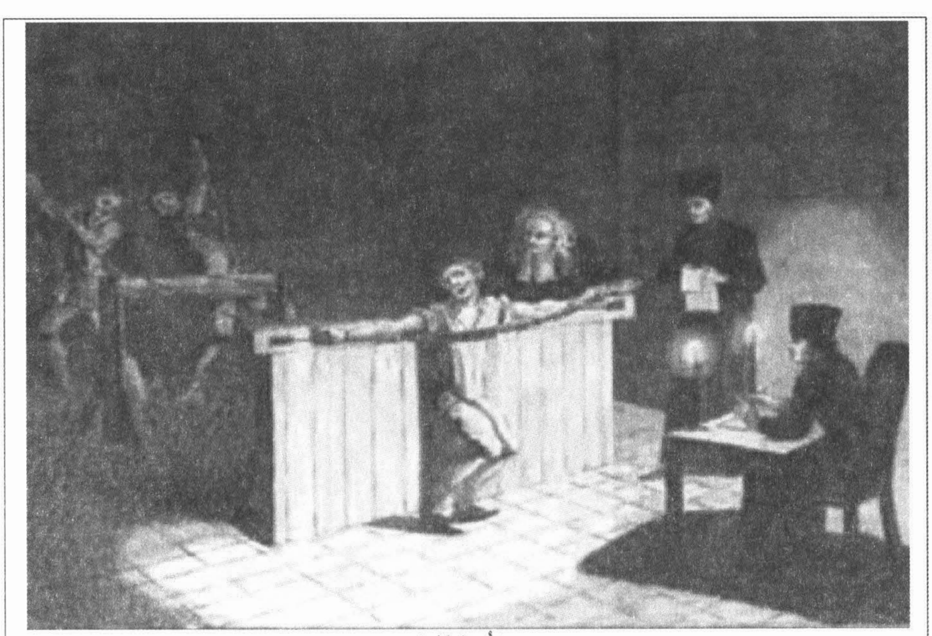
الفلقة الدّوّارة :
وزبانية محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، ينهشون أبدان المسلمين أحياءً ،
بالكلابات الحديديّة . إنّه التاريخ الإسبانى المُثقل بكُلّ نوايا السوء ووضيع السُّبُل



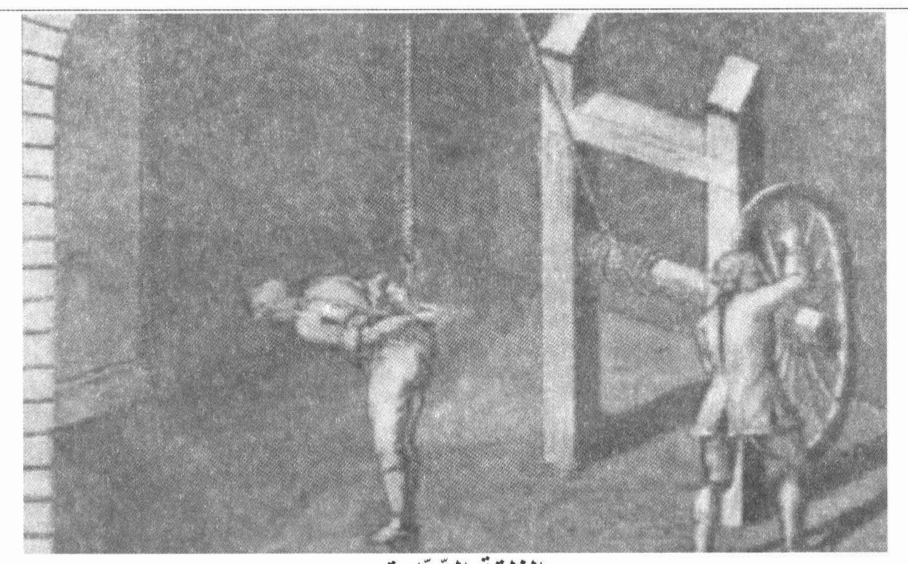
الفلقة الدوّارة :
ومشاهد التعذيب حرقا بمشاعل النار ، لواحدٍ من المسلمين ،
على أيدى أدعياء المحبّة النصرانية ، فى محاكم التفتيش الكنسيّة بإسبانيا والبرتغال



الموت غرَقا ، وسَمْل العيون :
ونماذج قد تعدّدت لقتل المسلمين ، وسَمْل عيونهم أحياءً ،
والإغراق فى الماء لإزهاق الأرواح ، بخنق أنفاس مَنْ رفضوا الدخول فى النصرانية



جِهازُ المَلخ :
لملخ أكتاف المسلمين وصُدورهم ،
لحملهم على التنصر ، فى محاكم التفتيش الكنسية



الفلقة الدّوّارة :
واحدة من أدوات تعذيب المسلمين ،
بالتعليق طويلاً ، فى قاعات محاكم التفتيش الكنسية الإسبانية والبرتغالية



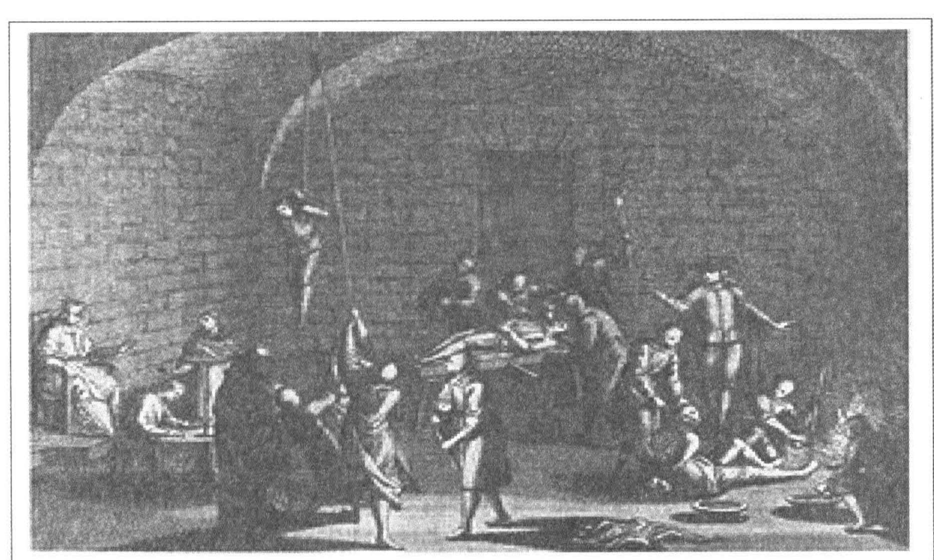
المشانق الجماعية :
لشنق المسلمين بالجملة ، على أيدى زبانية الجَحيم



تمزيقُ الأبدان بقوة ٤ حصان :
عُبّاد الصُّلبان والأوثان ، وتمزيق أبدان المسلمين ،
بالخيل التى تُزجَى فى اتجاه أطراف الضَّحايا ، ونماذج من الهَوان العربى



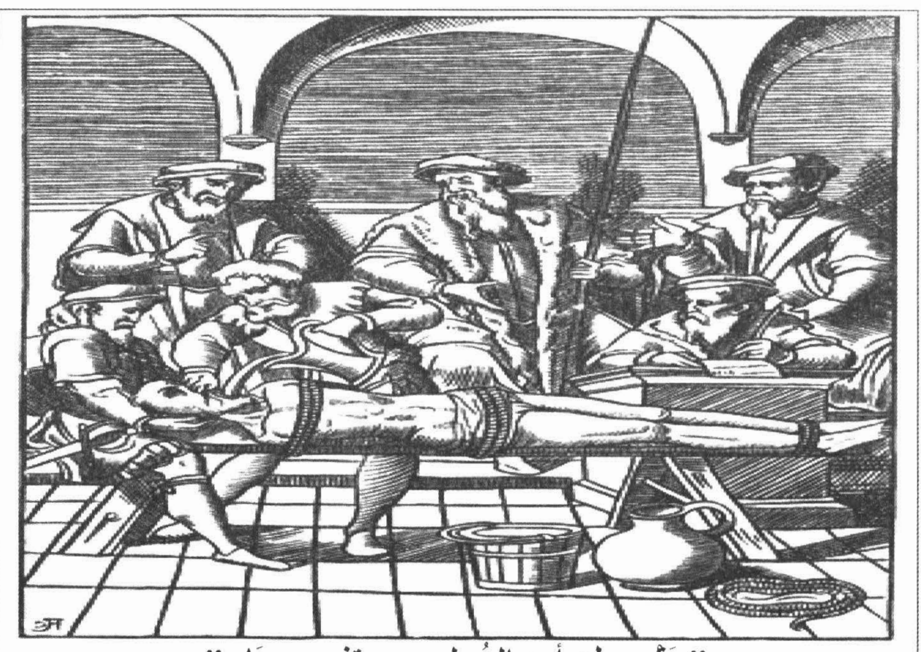
المهرجانات الدينية : لحرق المسلمين
(لتطهيرهم من اعتناق الإسلام ، وحتى لا تُعرف لهم قبور)
على أيدى أدعياء المحبّة الكنسيّة ، فى الميادين العامة بالعواصم الإسبانية والبرتغالية



نموذجٌ لقاعة تعذيب :
واحدة من قاعات التعذيب البالغة الكثرة ،
باتساع العواصم الإسبانية والبرتغالية ، لتعذيب المسلمين ،
على أيدى رجال الدين الكاثوليك ، فى محاكم التفتيش الكنسية



لأن المحارق المُخصّصة للمُسلمات لم تكن كافية ، فإنهم يحرقون المسلمات ، فى المحارق التى كانت مُخصّصة ، لحرق الساحرات النّصرانيات



" بَقْر بطن أحد المُسلمين ، بتفجير مِعَاه "

بإجباره على شُرب كَميّات هائلة من الماء ، ثم الوقوف على ظهره بينما وَجهُه إلى أسفل ، (وقد يُدفعُ الماء كذلك إلى بطون المسلمين ، من أدبارهم بالأقماع)

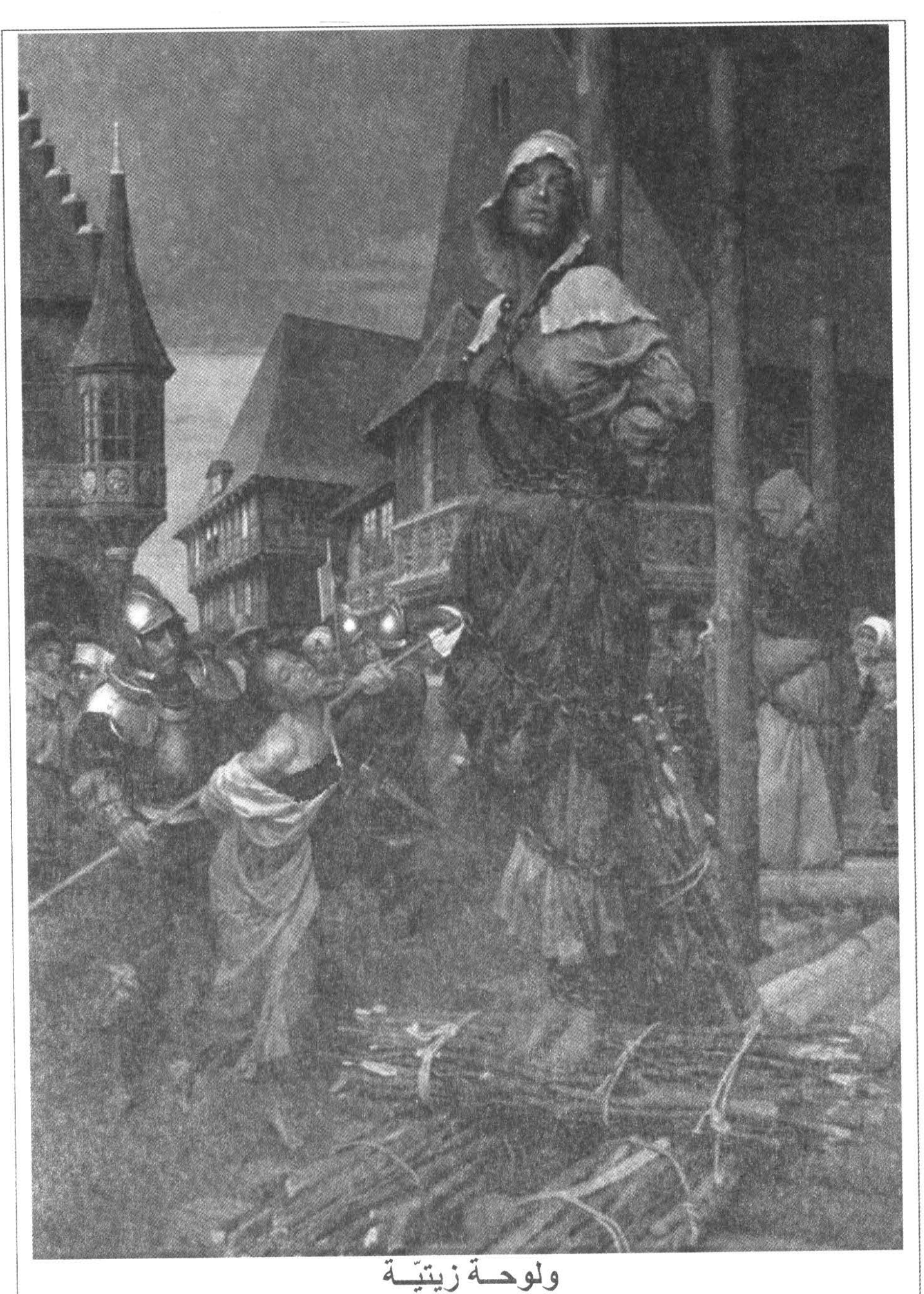


أحد ألوان التعذيب المُعتادة ، فى محاكم التفتيش الكنسية ،
(لاحظ بشاعة العذاب ، الناتج عن شد الأطراف الأربعة بقوة ، وكسر الظهر)



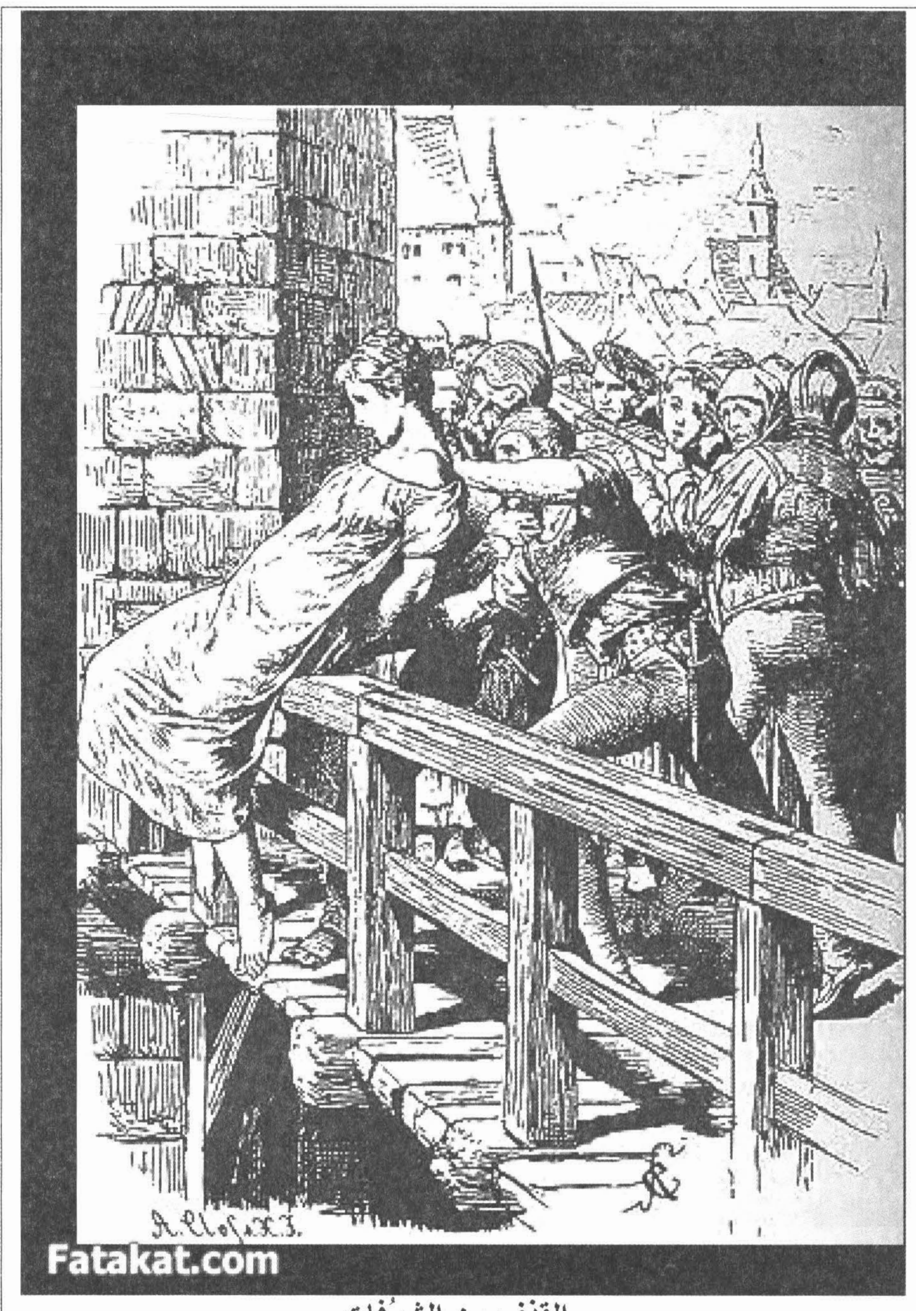
لوحــة زيتيّــة

توضح قيام ثُلة من أعضاء محاكم التفتيش الإسبانية ،
بإحراق المصاحف الشريفة ، والكتب العلمية وكتب التراث الإسلاميّ



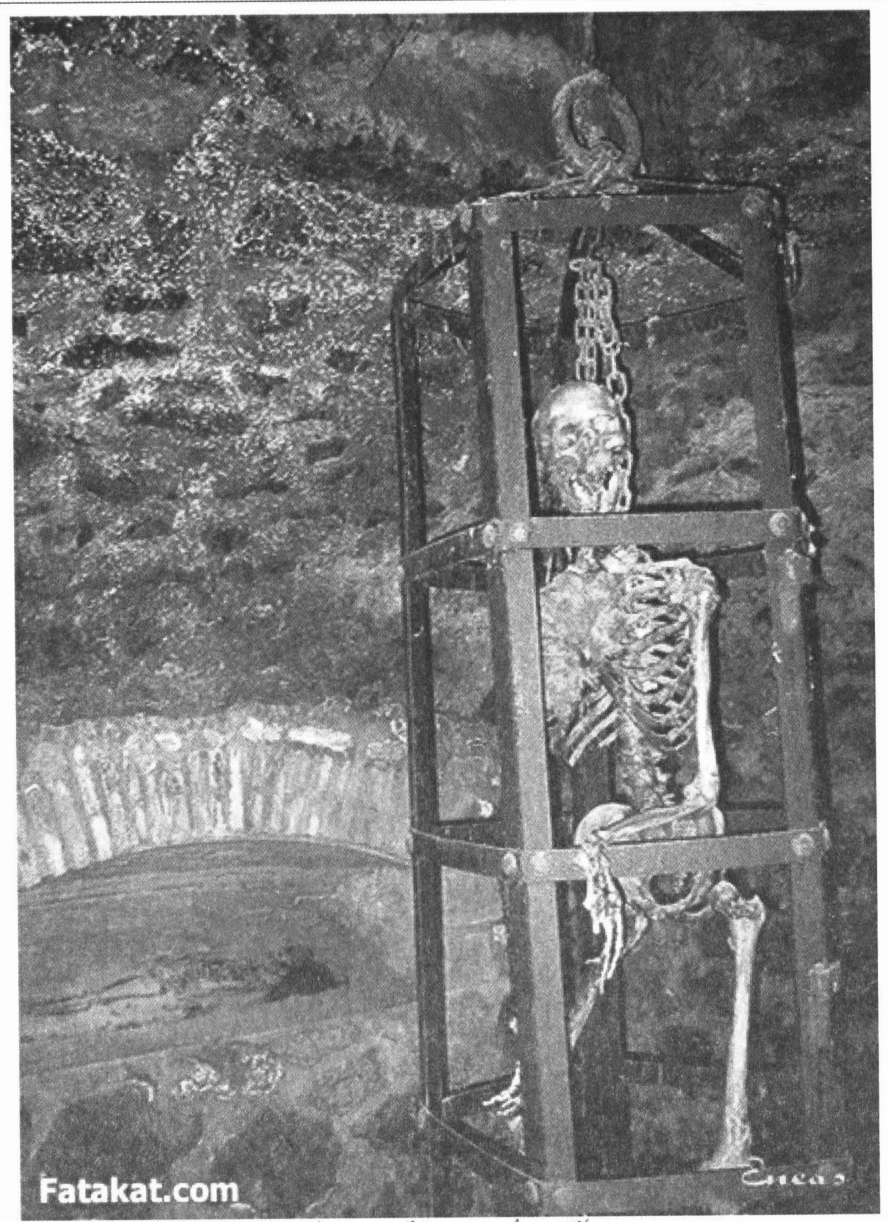
ولوحـــة زيتيّـــة

من عمل الفنان الفرنسى : باسكال زفير كوست ، فى القرن ١٨ م ،
لتوثيق الإحراق الجماعى للمسلمات ، فى ميادين العواصم الإسبانية والبرتغالية
(لاحظ زُمَر المسلمات فى خلفية اللوحة ، اللاتى حُشِدن ، تنتظرن دورهن فى الإحراق)



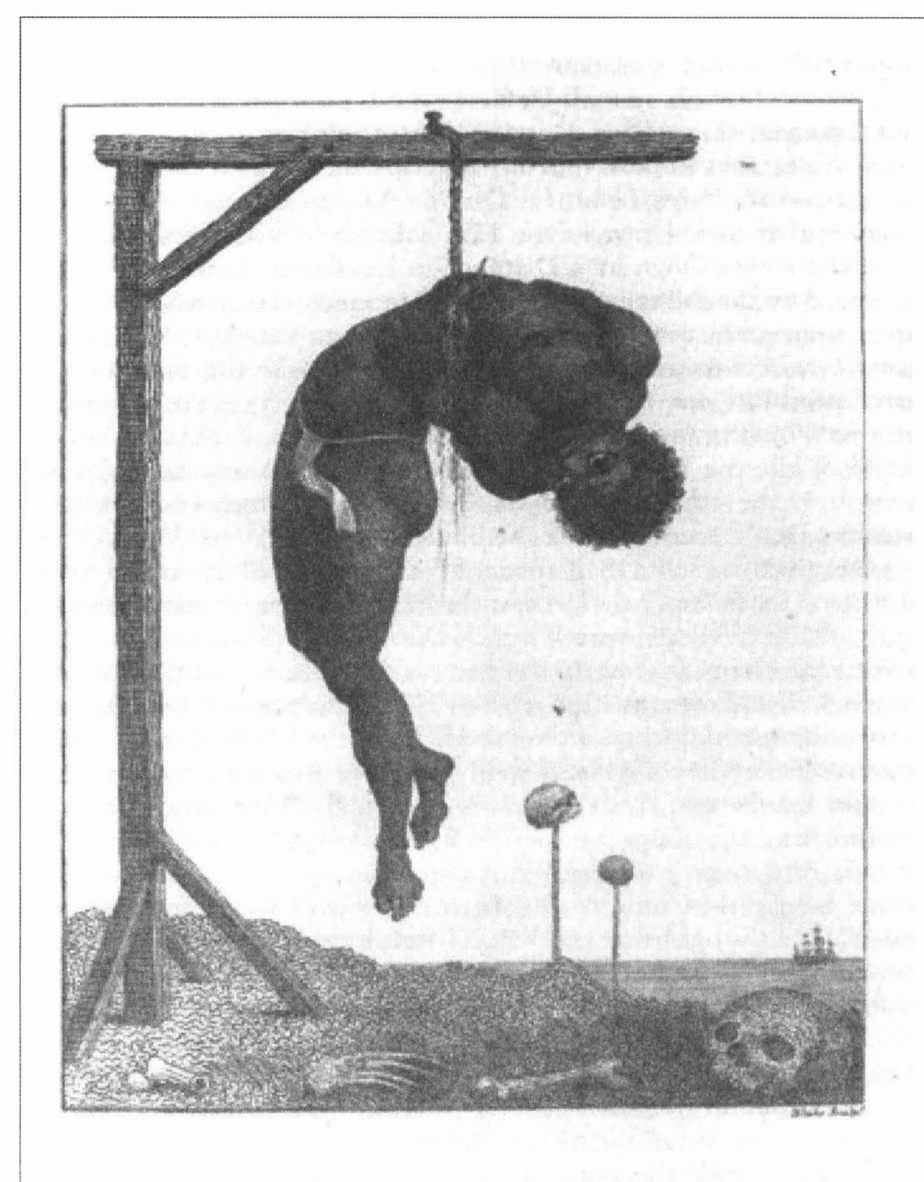
القذف من الشرُفات

وصورة معروضة فى " مُتحف أدوات التعذيب " فى قرطبة :
لمُسلمة مكتوفة اليدين ، يدفعها الزبانية من شرُفة أحد الأبنية العالية



الأقفاصُ الحَديديّة الضيّقة :

يضعون فيها المُسلم حتى الموت ، بعد مُحاكماتٍ صورية :
يطلبون فيها منه ، أن يشرب الخمر ، ويأكل لحم الخنزير ، ويُؤدى الصلوات المسيحية ، ليتحقق الزبانية من دخوله الكاثوليكية !! ... والصورة ما زالت معروضة بمُتحف أدوات التعذيب فى قرطبة ، وما زالت العظام موجودة هناك ، خير شاهد على مَنْ بدأ الإرهاب !!



A Negro hung alive by the Ribs to a Gallows.

بغير الحياء يقولون : الإسلام هو دين الإرهاب !!
وفى الأمثال نقـول : " رمتنى بدائها وانسلّتْ "

ربط يدى المُتهم وراء ظهره ، ثم لفّ الحبل حول راحتيه وبطنه ، ثم يُترك مُعلقًا حتى الموت
(لاحظ : الجماجم المُعلقة ، وغير المعلقة تحت الصورة ، وأداة تمشيط الجلد إلى اليسار)



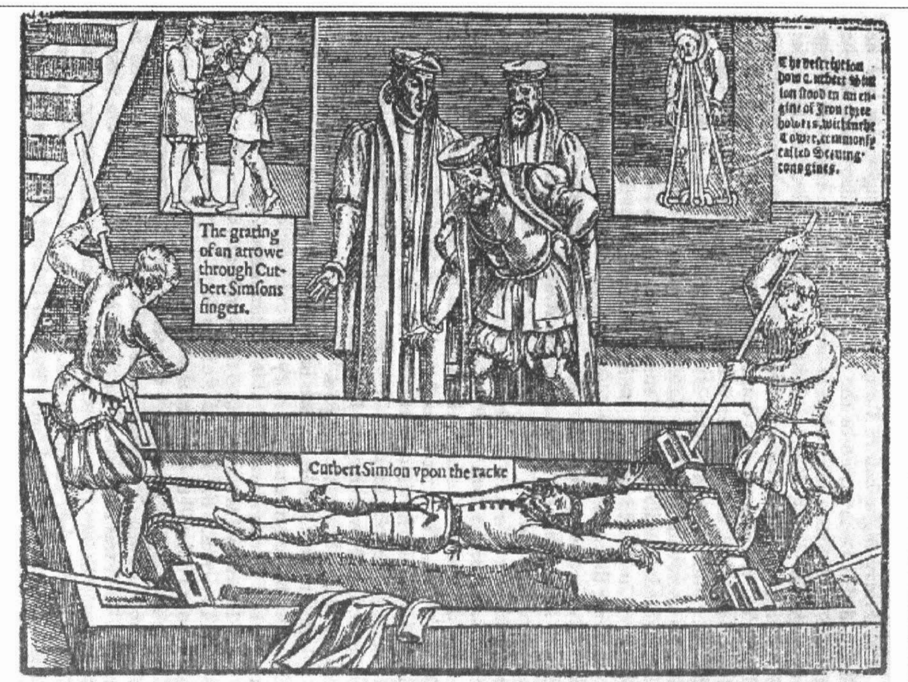
" مُسلمٌ على الخازوق ، أحدُ ألوان تعذيب المسلمين وقتلهم "

يُترك المسلم على الخازوق طويلاً ، يُكابد آلامًا بغير حدود حتى يُفارق الحياة .
وهى بعضٌ من سماحة النصرانية الكاثوليكية !! أو هى على الحقيقة النزعة الصليبية للعنف وإراقة الدماء ، التى يُغذيها رجال الدين ، الذين أفسدوا مثالية عيسى - عليه السلام - بادّعاءاتهم عليه زورًا ، فى أناجيلهم التى كتبوها بأيديهم ، ثم صدقوا أكاذيبها :

- **" أمّا أعدائى : أولئك الذين لم يُريدوا أن أملك عليهم، فأتو بهم إلىّ هنا ، واذبحوهم قُدّامى "** . [إنجيل لوقا ، الإصحاح ١٩ (٢٧)]

- **" لا تظنوا : أنّى جئت لألقى سلامًا على الأرض ، ما جئت لألقى سلامًا بَل سَيفًا "** . [إنجيل متى ، الإصحاح١٠ (٣٤)]

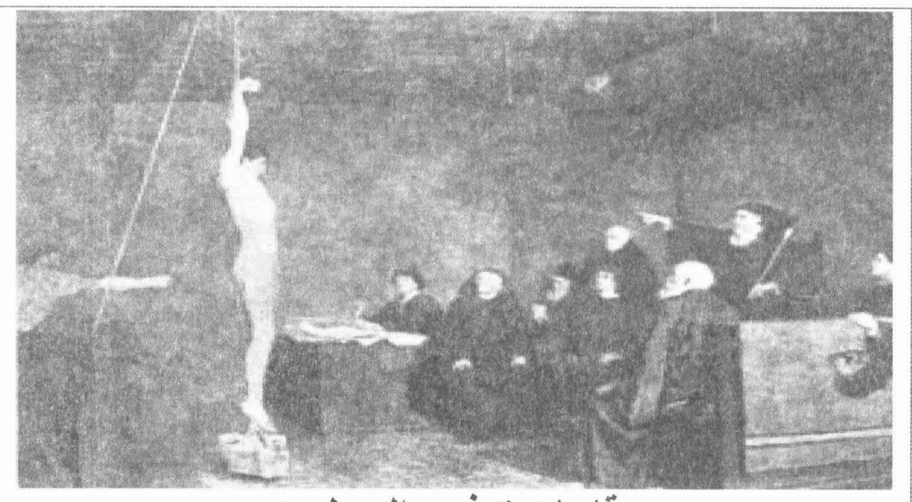
الطريقة الكاثوليكية نفسها ، التى قتلوا بها الطالب الأزهرى السّورى : سليمان الحلبى ، فى يونيو ١٨٠٠م بعد أن قتل الجنرال : كليبر (قائد الحملة الفرنسية فى مصر، بعد هرب نابليون إلى فرنسا) .



'A true description of the racking and cruell handeling of Cutbert Simson in the Tower.'

قطع الأوصال بالجرائد الدّوّارة فى اتجاهٍ واحد

أو آلة تمزيق العضلات وخلع المفاصل ، ويُترك المسلم مشدودًا ، يُكابد الهوان حتى الموت

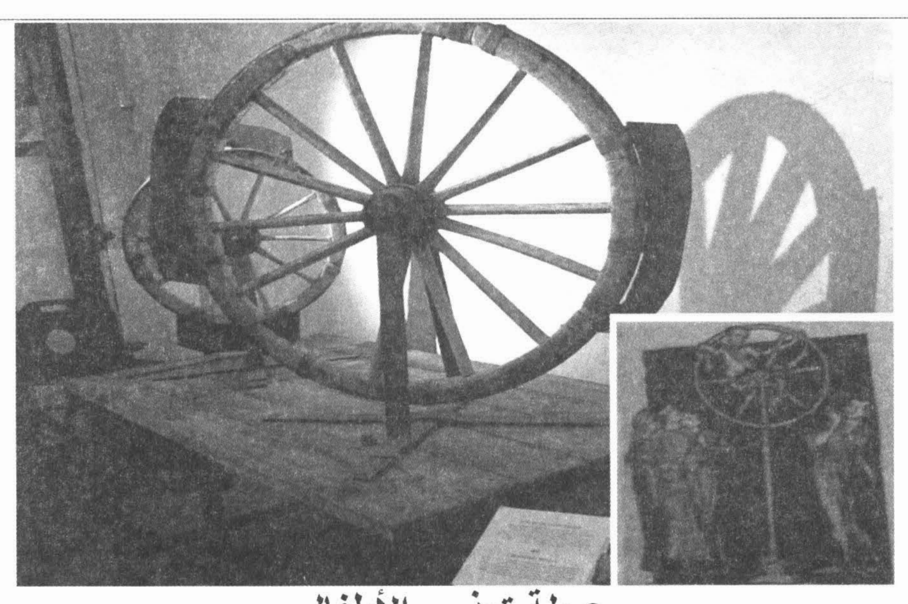


قاعات تعذيب المسلمين

والعار الذى يُلاحق الكنيسة الكاثوليكية : كم أزهقت من أرواح ، وعذبت وشوهت من أبدان ؟ وأشعلت حروبًا كمذبحة سان بارتلمى فى فرنسا ، و ٨ حملات صليبية على المسلمين فى قرنين

المَحبّة الكاثوليكية المزعومة

وتعذيب المسلمين على الخازوق ، يتقرب بها الأشرار إلى المسيح بزعمهم



عجلة تعذيب الأطفال

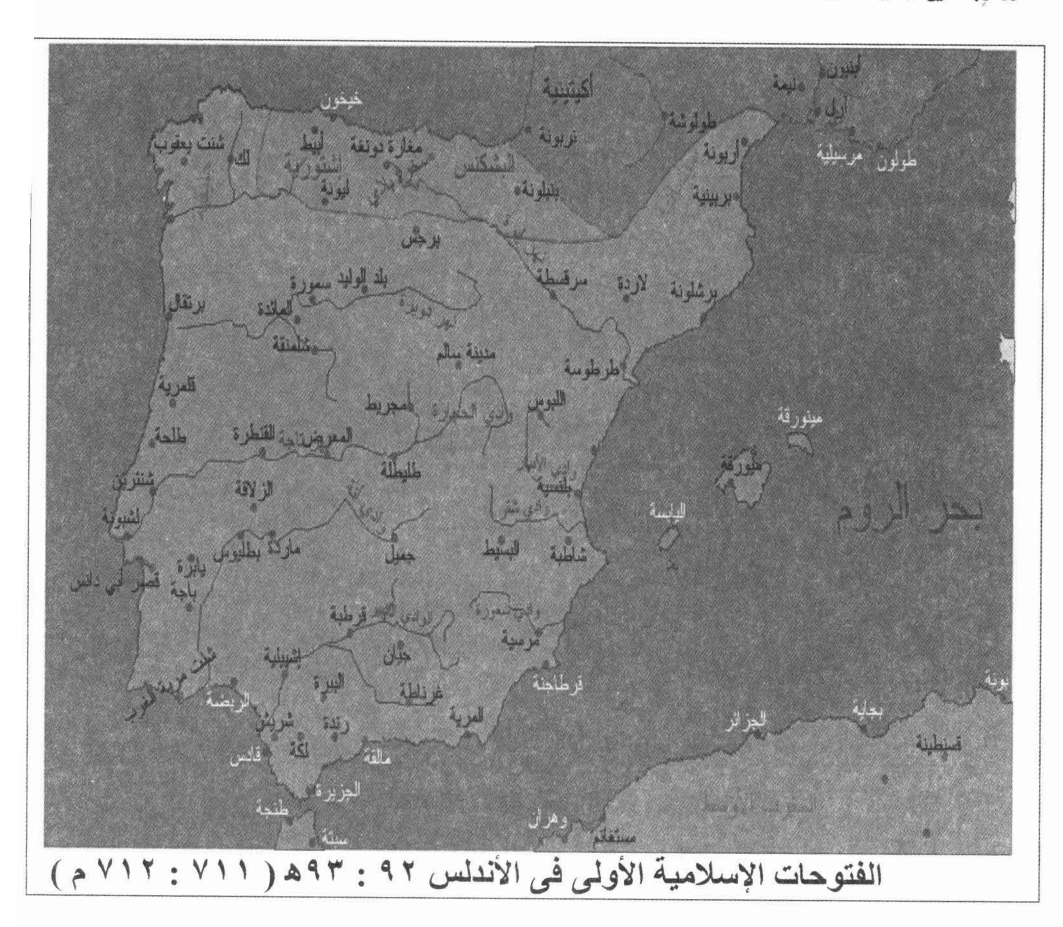
القلوب المريضة بالشيفونيّة والسّاديّة ، لم تتسع لرحمة الصغار ، فابتلوهم بعجلة تعذيبٍ خاصة

" حِــزْمَةُ الخَـــرائـــط "
" ولوحَـــات الأنســـاب "

١- خريطة الفتوحات الإسلامية الأولى بالأندلس .
٢- خريطة دول الطوائف الأولى .
٣- خريطة دول الطوائف الثانية .
٤- خريطة دولة المُرابطين .
٥- خريطة دولة المُوحدين .
٦- الخرائط الأربعة لمراحل الاسترداد الرئيسية .
٧- خريطة شبه جزيرة البلقان .
٨- خريطة العالم الإسلامى (بمقدّمة الكتاب) .

....

٩- لوحة أنساب أمم العرب البائدة .
١٠- لوحة الأنساب البعيدة لقريش .
١١- لوحة الأنساب القريبة لقريش .
١٢- لوحة أنساب وائل بن ربيعة .

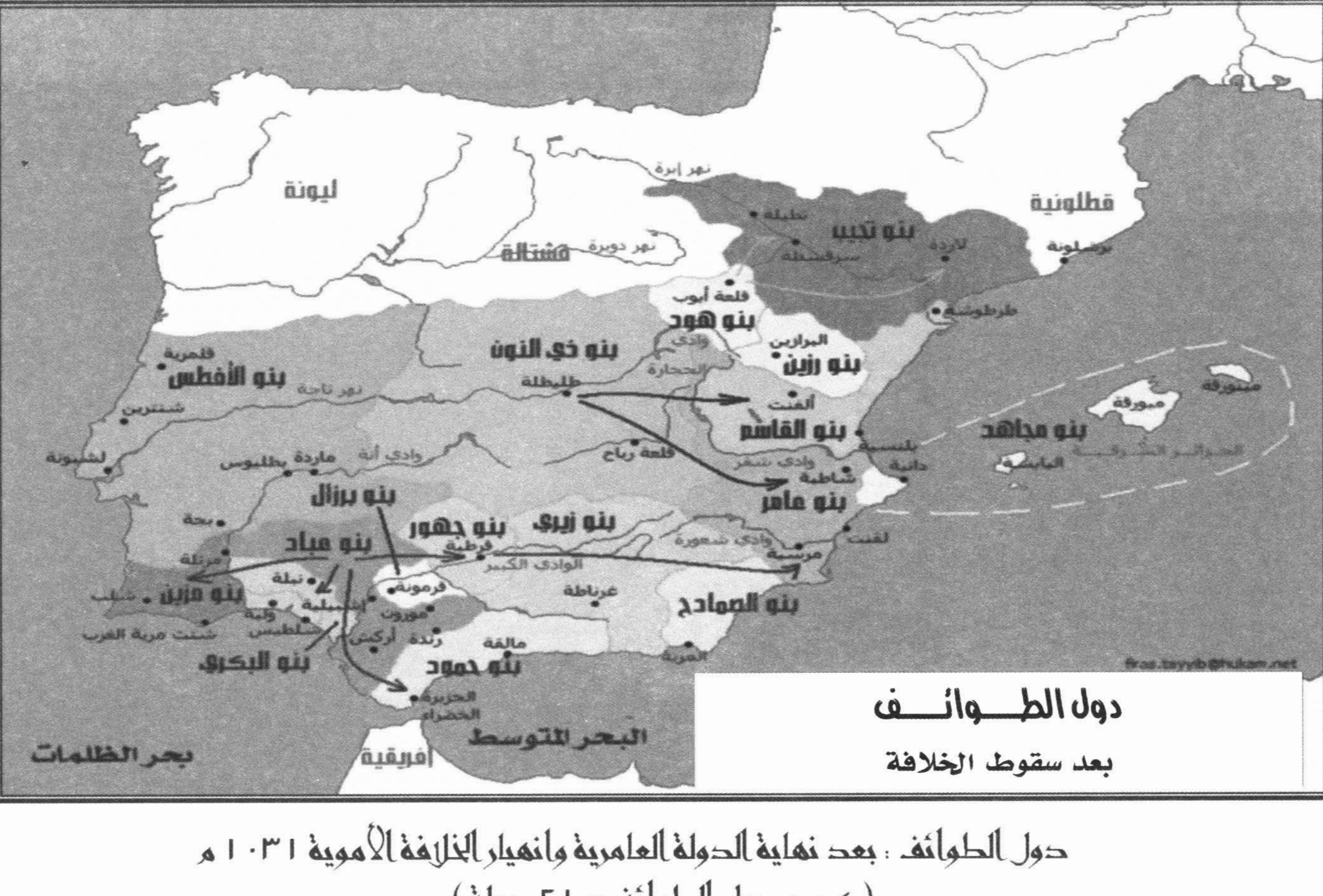


الفتوحات الإسلامية الأولى فى الأندلس ٩٢ : ٩٣هـ (٧١١ : ٧١٢ م)

قد يكون لبعض المدن - أو الإمارات أو الدول - أكثر من مُسمّى ، رأينا أن نُدوّنه لعموم الفائدة :

لورقة = لورشة = لوشة . غرناطة = ألبيرة . البسيطة = بسطة .
قطالونيا = كتالونيا (الذين يُطالبون - حاليًا - بالانفصال) . مرسية = تدمير .
البشكنس = بسكونية = بسكونة = غسقونية = نافار = نبرّة (الباسك المُطالبون - حاليًا - بالانفصال)
طولوشة = تولوشة = تولوز . سبتمانية = لانجدوك (عاصمتها أربونة = ناربون) .
أكيتانيا = أقطانيا = أكوتين = غاليس = غالة = بلاد الغال = بلاد الفِرنْجة = FRANGE = FRANCE فرنسا .
جليقيّة = أشتوريّة = أشتوريس = برودااليا الغربية .
بوردو = البردال (عاصمة أكوتين -أكيتانيا) .
قِشْتالة = القلاع = كاستيلا = كانتابريا = بروداليا الشرقية .
بحر أو خليج بسكونية (بسكونة) = بحر أو خليج كانتابريا (كانتابرية) .

المؤلف

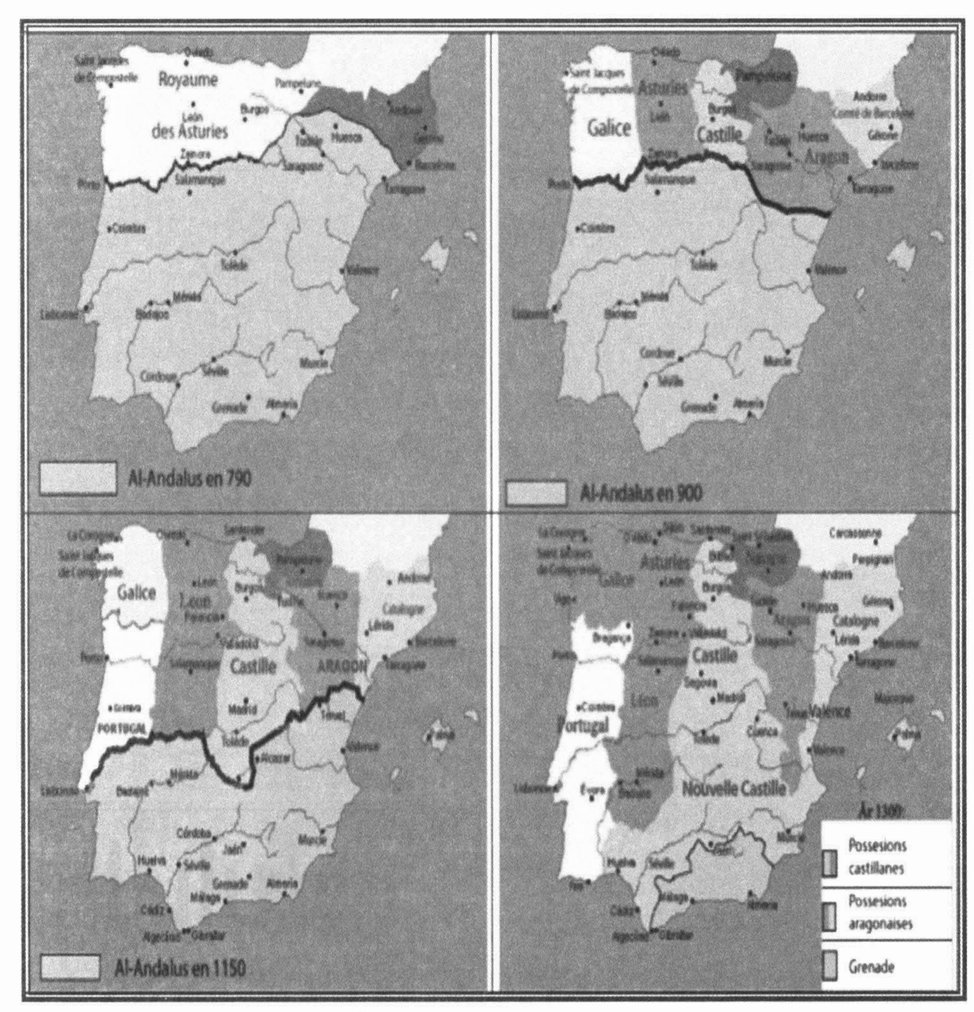


دول الطوائف : بعد نهاية الدولة العامرية وانهيار الخلافة الأموية ١٠٣١ م
(عدد دول الطوائف = ٢١ دولة)



دول الطوائف : بعد توسّع الممالك القوية على حساب الإمارات الصغيرة بنهاية القرن ١١ م


ليونة
نافار
أرغون
قشتالة
قطلونية
البرتغال
النورمن
طليطلة
بلنسية
الزلاقة
قرطبة
إشبيلية
بجاية
الجزائر
تونس
طنجة
آشير
المدية
المهدية
القيروان
القلعة
تلمسان
الحماديون
صفاقس
الزيريون
فاس
بسكرة
قابس
طرابلس
المرابطون
مراكش
غرداية
سجلماسة
الاباضيون
أوداغست
المرابطون
و شمال إفريقية والأندلس
في القرن الحادي عشر للميلاد
مناطق نزاع
دولة المرابطين
مملكة قشتالة وليونة
دولة الزيريين (972-1160 م)
مملكة أرجونة
دولة الحماديين (1014-1152 م)
firas.tayyib@hukam.net



عام ٧٩٠ م : فى عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل (٧٨٨ : ٧٩٦ م)

عام ٩٠٠ م : فى عهد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثانى (٨٨٩ : ٩١٢ م)

عام ١١٥٠ م : فى عهد عبد المؤمن بن تومرت – فى عصر الموحدين (١١٣٣ : ١١٦٣ م)

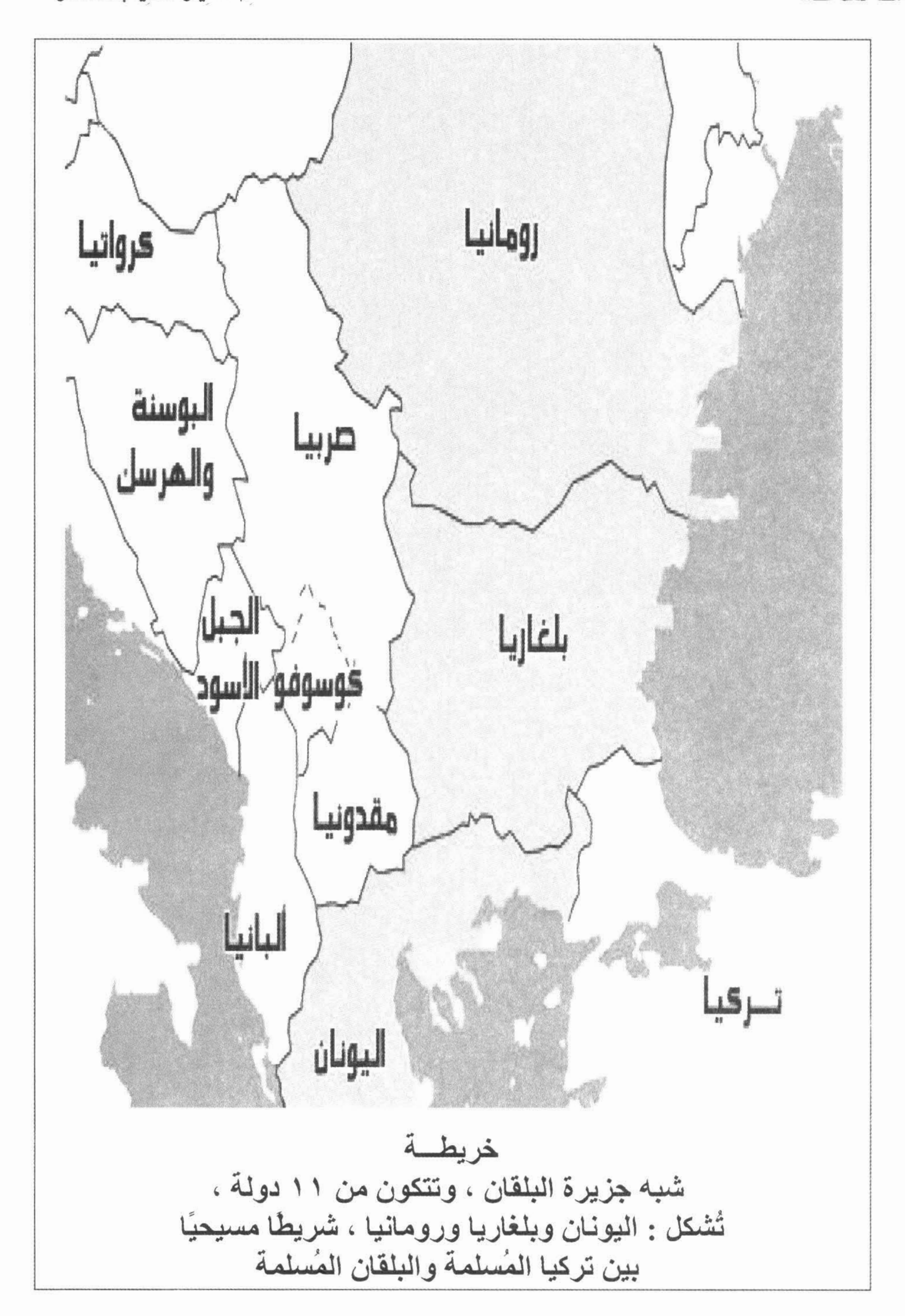
عام ١٣٠٠ م : فى عهد محمد الثانى بن الأحمر – فى عصر بنى الأحمر (١٢٧٣ : ١٣٠٦ م)

فى عصر الطوائف سقطت طليطلة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) .

وفى عصر الموحدين سقطت قرطبة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) .

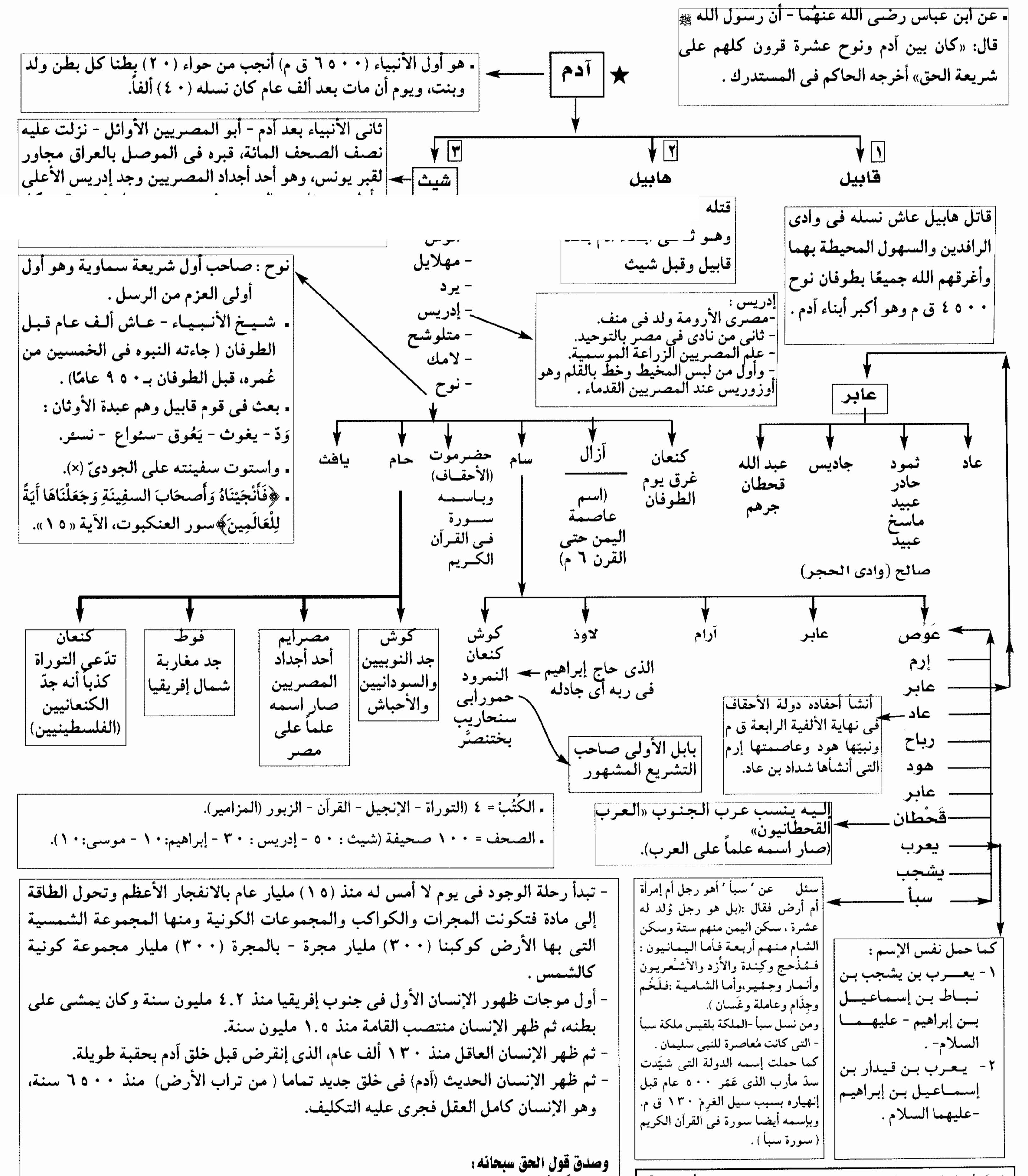
وفى آخر زمان بنى الأحمر سقطت غرناطة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م) وبسقوطها سقطت الأندلس

" هذه الخرائط الأربعة : تُمثل مراحل الاسترداد الرئيسية "



خريطــة
شبه جزيرة البلقان ، وتتكون من ١١ دولة ،
تُشكل : اليونان وبلغاريا ورومانيا ، شريطًا مسيحيًا
بين تركيا المُسلمة والبلقان المُسلمة

أنســاب أمــم العــرب البائــدة



وصدق قول الحق سبحانه :

﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ سورة السجدة ، الآية (٧) .

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ سورة نوح ، الآية (١٧) .

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ سورة الإنفطار ، الآيتان (٦ : ٧)

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ ﴾ سورة الحجر الآية (٢٩)، سورة ص (الآية ٧٢)

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة العنكبوت ، الآية (٢٠) .

(×) وُجدَتْ سفينة نوح سنة ١٩٤٨ ميلادية على جبل الجُودىّ، كما أشار القرآن الكريم وليس على جبل أراراط كما تقول التوراة . وجدها راعى الغنم الكردى: رشيد سرحان - تسابقت مراكز البحوث الأوروبية والأمريكية والروسية فى التحقق منها، وكشفت تحاليل أخشابها بالكربون المشع أن عمرها ٤٥٠٠ ق م وهى مازالت فى مكانها على الجودى تشهد بصدق الرسالة وصدق القرآن الكريم ومن أصدق من الله قيلاً : ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ سورة القمر ، الآيات «١٣ - ١٥»(*).

راجع كتابنا : « الإسلام والمعاندون».

الأنسابُ القريبةُ لقُريْش

- النضر بن كنانة : قُريش الأول .
- فهـر بن مـالك : قريش الثانى .
- قصى بن كلاب : قريش الثالث .

- إذا ذهبنا فى النسَب بعيدًا إلى فِهر دخل بنو مخزوم قبيلة خالد بن الوليد ونُفيل قبيلة عمر بن الخطاب فى قريش .
- كما أنه إذا ذهبنا أبعد إلى النضر بن كنانة دخلت بطون قريش الباقية فيها .

قُصَـــىّ

قصىّ أو قريش الثالث
ولد سنة (٤٠٠) ميلادية

عبد الدار
- أكبر أبناء قصى
- من سلالته أبو عبيدة بن الجراح ومصعب بن عمير

عبد مناف

هاشم

- **عبد المطلب**
  - الذى أعاد حفر زمزم .
  - أكبر أبنائه الحارث.
  - أصغرهم عبد الله صاحب الفداء أبو المصطفى ﷺ الذى سافر إلى الشام بعد «٣» أيام من زواجه ومات فى يثرب فولد المصطفى ﷺ يتيماً فكفله لجد عبد المطلب ثم العم بو طالب .
- **أسد**
  - فاطمة بنت أسد أم الإمام علىّ بن أبى طالب زوج الزهراء وأبو الحسنين والسيدة زينب التى باسمها حىّ السيدة فى القاهرة ورأس الحسين فى مسجده بحى الحسين بالقاهرة.

عبد شمس

- **ربيعة**
  - **عتبة**: الذى أنجب هند زوجة أبى سفيان كما أنجب الوليد الذى قتل فى بدر مع أبيه عتبة وعمه شيبة
  - **شيبة**: قتل يوم بدر فى ١٧ رمضان فى السنة الثانية من الهجرة مع أخيه عتبة والوليد بن عتبة
- **أمية**
  - عبد العزىّ ← الربيع ← **العاص**: الذى تزوج زينب كبرى بناته ﷺ وأنجب منها أمامة وعليًا.
  - حرب ← أبو سفيان ← **معاوية**: مؤسس الدولة الأموية فى الشام سنة ٤٠هـ التى أسقطها العباسيون سنة ١٣٢هـ وهى دولة الفتوح بحق. ومعاوية أحد دهاة العرب الأربعة [(1)]
  - العاص ← سعيد ← **أبان**: الذى أجار عثمان بن عفان يوم الحديبية.
  - أبو العاص ← عفان ← عثمان: ذو النورين لزواجه من رقية ثم أم كلثوم ابنتى المصطفى ﷺ. وهاجر الهجرتين إلى الحبشة . وموّل وحده جيش العُسرة فى غزوة تبوك سنة (٩)هـ
  - ذكوان ← أبو معيط ← عُقبة: أم كلثوم زوجة عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة أحد العشرة المبشرين بالجنة

نوفل

المطلب
- المطلب هو الجد الأعلى للإمام محمد بن إدريس الشافعى أحد أئمة أهل السُنّة الأربعة (أبو حنيفة الإمام الأعظم ومالك والشافعى وأحمد).

عبد العُزّى

أسد — برة أم آمنة بنت وهب (جدّته ﷺ لأمّه)

خويلد

- **خديجة**
  - أم المؤمنين الأولى حاضنة الإسلام .
  - كانت أغنى نساء العرب .
  - أنفقت كل مالها على الدعوة الإسلامية
  - توفيت «٣» ق هـ
- **هالة**: أم أبى العاص بن الربيع زوج زينب كبرى بناته ﷺ
- **العوّام** ← الزبير ← **عبد الله**: الذى قتله الحجاج بن يوسف الثقفى قائد جيش بنى أمية يوم ضرب الكعبة بالمنجنيق وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق.
- **حزام** ← **حكيم**
  - الذى أهدى زيد بن حارثة لعمته خديجة
  - صاحب دار الندوة.
  - الذى كان يُرسل الميرة ليلا إلى شعب أبى طالب إكرامًا لعمته خديجة فى الحصار.

عمرو: ولىُّ خديجة فى الزواج من المصطفى ﷺ .

جحش ← **زينب**: أم المؤمنين زواجها من زيد بن حارثة كان لتحريم التبنى فى الإسلام .

الحويرث ← **عثمان**: كان قد ملَّكه قيصر الروم على تهامة لكن قومه رفضوه لنفرتهم من الولاء للروم.

(عمود مقطوع: ...ة / ...بشر / ...ة ﷺ / ...أ / ...تب / ...ارى / ...ود / أن ... / ...سالة / لكن ... / ...ها .)

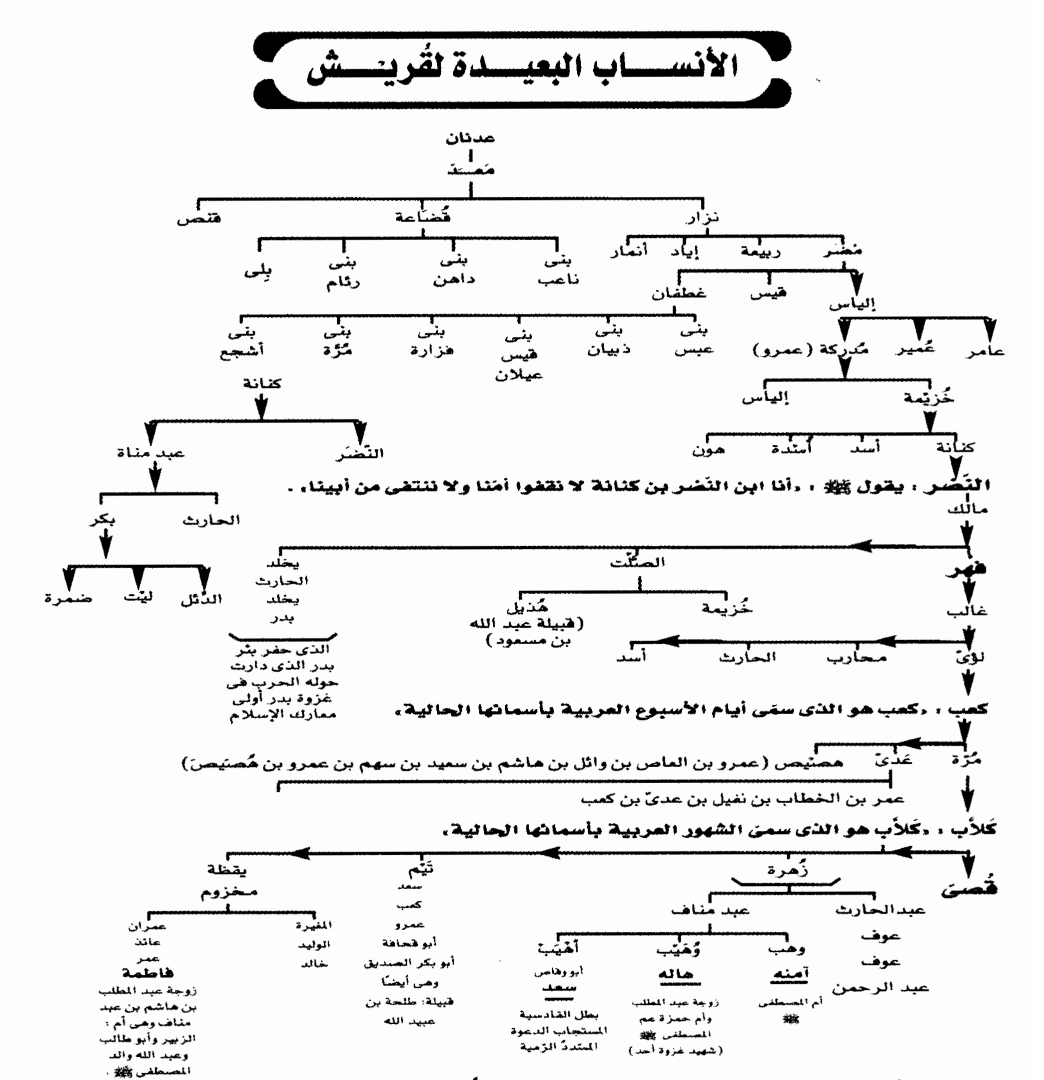
نوفل
- عدىّ
- ★ المطعم
- ■ جُبَيْر

★ مات المطعم بن عَدِىّ مشركًا فى مكة قبل بدر، وقد شارك فى نقض صحيفة المقاطعة لبنى هاشم التى أكلتها الأرَضَة .

◆ جُبير : كان خطيب عائشة وفسخ خطبتها لإسلام أبى بكر.

إعداد المهندس : حمدى سلامة

(1) دهاة العرب أربعة : (عمرو بن العاص بن وائل السهمى – معاوية بن ابى سفيان – المغيرة بن شعبة الثّقفى – زياد بن أبيه «ابن أبى سفيان»)



يقول ﷺ : «أنا ابن المنافين» : (عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زُهرة) .

- **الثلاثة الذين لقّبوا بقريش :** النّضر بن كنانة - فهْر بن مالك - قصى بن كلاب بن مرة .

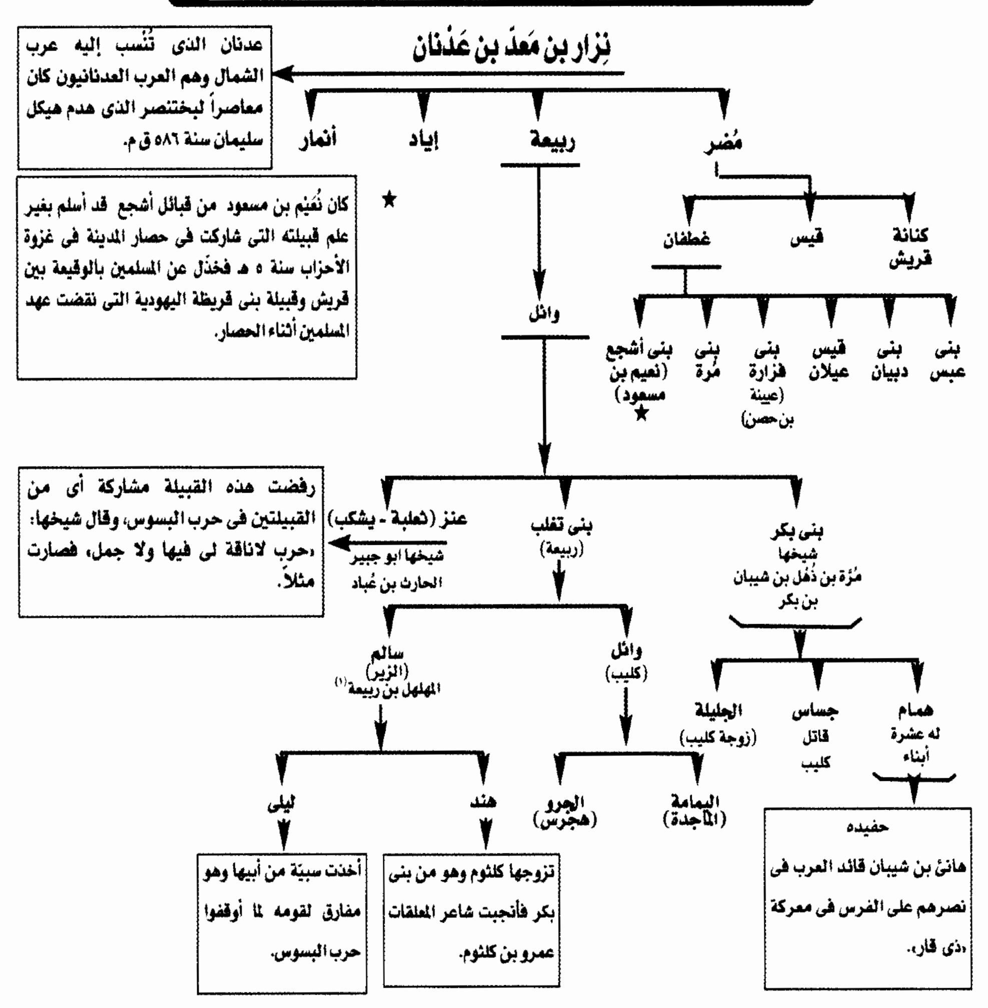
- **بطون قريش التى آل إليها الشرف - عشرةُ بيوت :** هاشم وأمية ونوفل، وأسد وتيْم ومخْزوم، وعَدىّ وجُمَحْ، وزُهْرة وسَهْم .

- يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : ● (نحن معاشر قريش من نباط) نباط بن إسماعيل بن إبراهيم .
● (بين عدنان وإسماعيل عشرون أباً لا يعرفون) .

- عمرو وعامر وعُميْر أبناء إلياس بن مُضر، وهم المشار إلى اثنين منهما فى قول العاضد جدّ المعتمد بن عباد ، ملك إشبلية:

ولابد أن أسود على الورى   ولو رُدّ عمرو للزمان وعامر

(إعداد المهندس : حمدى سلامة)



- سُئل أعرابى : لماذا لا تحسنون تسمية أبنائكم ؟ فتسموهم - مُرّة وكلب وجرو وأسد ونمر - بينما تحسنون تسمية غِلمانكم- رباح وميسرة - فقال الأعرابى : إنما نُسمى أبناءنا لأعدائنا ، بينما نسمى غلماننا لأنفسنا .

---

(١)- هلهل الشعر أى لم يُنقّحه - المعجم الوجيز ص ٦٥١ .

- كما عُرف سالم بالزير : لأن الناس كانوا يشربون الخمر فى الكئوس، وهو يشربه فى الزير، فما كانت الكئوس لتُسعفه .

" فِهْـرِسْت الكتــاب "

" مُقدّمَــة الكتــاب "

- الغرض من دراسة تاريخنا فى الأندلس ANDALUSIA - قبل أن نضرب فى موضوع محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية - هو التذكير حتى لا ننسى ، واستنباط العبرة حتى لا تتكرر مأساتنا هناك مرّة أخرى ، فى أى بقعة من بقاع الإسلام ، فضلاً عن حتمية استعادة فردوسنا المُغتصب .
- وفلسطين لن تكون أبدًا أندلسًا أخرى ، لأن الشعب الفلسطينى ما زال حاضرًا مُصرًا على حقه فى العودة ، ولم يُعطِ العدو الاسرائيلىّ يومًا فرصة واحدة ، للاسترخاء العسكرى منذ جثم على ترابه الوطنى ، فى أرض الأجداد من الكَنعانيين والعَموريّين العرب .
- **للمزيد عن عُروبة أرض فلسطين (أرض كنعان العربية) ، راجع الصفحات الأولى من كتابنا : " رؤية جديدة فى تاريخ ، بنى إسرائيل واليهود والعبرانيين " (ط ٢) .**
- لقد أدرك عُتاة إجرام العصور الوسطى فى دولة الفاتيكان بروما - معقل الكاثوليكية ومركزها - ونصارى ملوك الأندلس من عُباد الصليب (إسبانيا والبرتغال) ، هؤلاء المُتعصبون الكاشحة بالسّواد والشيفونية والسّادية قلوبهم .
- **الشيفونيّة، هى : التعصّب القومى ، والسّادية، هى : التلذذ بتعذيب الآخرين .**
- أدركوا حتمية القضاء على المورسكيين (المغاربة السّود كما يُسمونهم) المسلمين ، بغرض إخماد بل إسكات أصواتهم إلى الأبد ، حتى لا يُطالبوا يومًا بحق العودة ، فتعقبوهم بالتنصير، والتشتيت ، ومُصادرة الأموال ، والتقتيل بكُلّ وَضيع السّبُل ، على نحو ما سنرى حالاً .
- **والمورسكيون MORISCOS** : هم هؤلاء المسلمون ، الذين أفلتوا من التنصير والقتل ، والذين يقيمون - حاليًا - فى عُدوة المغرب على الشاطئ المغربى المواجه لجنوب الأندلس وعيونهم على الفردوس المُغتصب، فى تعدادٍ يفوق ٤ ملايين مسلم .
- ولأن التاريخ ليس سَردًا للوقائع أو سردًا للدسائس السياسية ، وإنما هو لاستنباط العِبَرة ، ذلك ما أعلَمَنا به الحق - سبحانه - فى خواتيم سورة يوسف ، بقوله الكريم :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

سورة يوسف آية (١١١)

وأمتنا الإسلامية قد عاث بتاريخها المُستشرقون ، فعلينا أن نعتبر بماضينا حتى لا نفقد مستقبلنا ، فأمة تعى تاريخها ، هى أمة تُحسِنُ صياغة مُستقبلها .

- وإذا لم نتدارك من الآن أمورنا ، وعلّمنا أبناءنا تاريخهم ، فإننا سوف نخسر غَدَ الأجيال القادمة من أبنائنا ، فلقد دمّر همج إسبانيا ، الحضارة الإسلامية فى الأندلس ، التى هى أعظم حضارة عرفتها أوروبا ، باعتراف المُنصفين من مُفكريهم ومُؤرخيهم وعلمائهم ، على نحو ما سنرى حالاً .

- ولسوف يبقى فردوس الأندلس جُرحًا لا يندمل فى صفحات التاريخ العربى ، حتى يعود الأندلس عربيًا ، ولسوف يبقى سَقمًا فى بدن الأمة العربية لا يُرجى البرء منه ، إلا باستعادة دياره شبرًا شبرًا ، وإنّ غدًا لِناظرهِ قريب .
- وحِقبة محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية فى فردوسنا الذى فقدناه ، هى أسوأ حقب التاريخ الإنسانى دموية ، وهى الصفحات البالغة السّواد فى التاريخ الأوروبى الكَريه كُله ، ولن نُطالب بالتعويض أحدًا على غرار اليهود والهولوكوست النازى - فنحن لسنا يهودًا بغير رصيدٍ حضارى - لاسترداد معالمنا الحضارية ومساجدنا التاريخية هناك ، حصاد ثمانية قرونٍ بطولها .
- وإنما علينا أن نسعى جادين وبكل سُبل القوة والبأس ، لاستعادة كاملِ تراب فردوسنا المفقود غير منقوص ، بما عليه من معالم حضارتنا العربية الزاهرة ومساجدنا الجامعة الكبرى .
- وإن نَهلك فلنْ نُملك ومَنذا خالدًا أبدًا، ولن نتباكى أبدًا على ماضٍ قد اندثر ، ولن نجترّ يومًا أحزانًا قد انقضت ، ولكنها العبرة ضالتنا ، وما دُمنا نعى تاريخنا ونحن أمّة اقرأ ، فالمستقبل لنا وسنستعيد فردوسنا وإن طال الزمن .
- **والآتى بعد ، قليلٌ من صفحات تاريخنا الزاهر فى الأندلس . وللمزيد ، نُحِيل القارئ إلى كتابنا : " رؤية جديدة فى تاريخ ، الإسلام فى إسبانيا وفرنسا ، وصقلية وجنوب إيطاليا ".**
- **وللمزيد عن حضارتنا فى الأندلس ، راجع كتابنا : " كَىْ يستقيم وعينا بالتاريخ ، الحضارة الإسلامية " .**



[بالخريطة : مجموعة الدول التى بها أغلبية مُسلمة ، أو للمسلمين فيها النسبة المئوية الأعلى]

وليرحم الله شاعرنا العربى ، حين قال :

إذا اشتكى مُسلمٌ فى الشام أرّقنى ... وإذا بَكَى مُسلمٌ فى الهندِ أبكَانى

وحيثمَـا ذُكـرَ اسـم الله فى بَلَـدٍ ... عَدَدتُ أرجاءهُ مِن لُبّ أوطانى

- **للتعرّف على ديار الإسلام ، راجع كتابنا : " الإسلام فى أوروبا وآسيا ، والأقليات المسلمة حول العالم " ، وكتابنا : " نحو وعى بالتاريخ وأمةٍ مُنتصرة ، أفريقيا قارة الإسلام ".**

- لقد فتح الأجداد من الفاتحين العِظام ، شبه جزيرة أيبيريا (الأندلس- إسبانيا والبرتغال) فى أقل من عامين ، فكان عملاً خارقاً ، باعتراف جميع مؤرخى العصور الوسطى والعصر الحديث ، ونجحوا فى نشر دينهم فى أنحاء كثيرة من القارة الأوروبية .
- ومكث العرب فى صقلية وجنوب إيطاليا نحو ٣٠٠ عام ، فاستعرب أهل تلك المناطق، وتكلموا العربية ، وكان الفتح العربى لأوروبا ، أروع صفحات التاريخ الحضارى للإنسانية ، لكونه مثَّل فتحًا حضاريًا أُمَمِيًا ، ولم يكن فتحًا استعماريًا أنانيًا ، يستنزف خيرات الشعوب .
- وبشهادة جميع مؤرخى أوروبا : كان معظم سُكانها من البدو - والبدو من بدائى - ليس لهم حكومات متحضرة ، ويفتقدون الأمن والأمان ، والمدنية والثقافة ، وكانت منازلهم - حتى منازل الأكابر منهم - من الطين .
- وكان شرلمان أمّيًا [وهو أعظم ملوك أوروبا قاطبة ، ويحكم دولة نصارى غرب أوروبا ، دولة الفرنجة، العظيمة الاتساع من الأطلسى إلى الألب، ووريثة الإمبراطورية الرومانية الغربية]، وكان مُعاصره : هارون الرشيد بن المهدى بن أبى جعفر المنصور، على قدر عظيم من العلم والثقافة .
- وكانت العاصمة العباسية بغداد [التى شادها ١٤٤هـ (٧٦٢ م) جدّه أبو جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس - رضى الله عنهما - وهو أى المنصور المؤسس الحقيقى للدولة العباسية]، حافلة بالمكتبات العامة ، فى ظل حكومة قوية وراقية ، كفلت لمواطنيها الأمن ، وبسطت لهم سُبل العيش والرخاء وتحصيل العلوم .
- وكانت الشعوب العربية والإسلامية ولسبعة قرون متوالية - اعتباراً من القرن الثانى الهجرى - هى قاطرة الحضارة العالمية ، فكانت أساساً لنهضة أوروبا كلها ، التى كانت تُرسل بعثاتها إلى الأندلس لتلقى علوم العصر ، تمامًا كما نُرسل نحن الآن بعثاتنا للعالم الغربى لتلقى علوم العصر ، باعتبار الحضارة الغربية هى السائدة فى العالم الآن، ثم هى بعد " **بضاعتنا رُدّت إلينا** "، كما يقول علامة الأدب العربىّ الأستاذ : عباس محمود العقاد ، وظلت الحضارة العربية أساسًا للنهضة الأوروبية ، حتى بعد أن تقلص النفوذ السياسى والعسكرى للعرب والمسلمين .

- لقد كانت أوروبا فى حاجة للحضارة العربية ، لافتقادها الحضارة والمدنية والثقافة ، يشهد بذلك المؤرخ الفرنسى سينيّيه : " كان الرومان فاتحين مستعمرين، لا يفكرون إلا فيما ينفعهم وحدهم ، لا ما ينفع الشعوب المستعمَرة ، كالنموّ الثقافى والتقدم الاجتماعى ، فهى إذًا حضارة أنانيّة وليست حضارة أممية ، ترعرعت فى أحضان غطرسة أباطرةٍ وقوّادٍ جبابرة " .
- ولم يستفد العالم الكثير من الحضارة الإغريقية ، تلك الحضارة الفلسفية، لكونها تحتاج لعقول مُدربة ، تُحسن تلقيها - كما يقول أستاذنا فى معهد الدراسات الإسلامية أ.د. على حسنى الخربوطلى ، أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة عين شمس .
- ولذلك عجزت أوروبا عن استيعابها وهضمها ، وهى التى كانت بين أيدى الرومان وكافة الشعوب الأوروبية ، لكنهم نبذوها لعجزهم عن استيعابها ، أمَّا العرب فقد تلقوها فى يُسر، فهضمتها وتمثلتها عقولهم ، واستخرجوا منها الكثير من المعارف .
- لقد وجد الأوروبيون فى الحضارة العربية ما يُناسب حاجاتهم ، لكونها حضارة عملية وواقعية ، قدمت لهم الصناعات الضرورية اللازمة لحياتهم اليومية .
- ويُقدم لنا الأستاذ : طه المدور ، فى كتابه : " **بين الديانات والحضارات** "، نماذج ممّا أبدعته الحضارة العربية فى أوروبا وجعلته واقعًا ملموسًا بين أيدى الأوروبيين ، أدوّنها وأنا أتيه بها فخراً :

١- إن أعظم جسر أقيم على نهر التايمز فى قلب لندن ، كان من صنع مهندسي العرب .
٢- وإن قباب معظم الكنائس الشهيرة فى بفاريا فى قلب ألمانيا ، كانت من صنع العرب.
٣- إن الأسطول البحرى الهولندى ، الذى قهر الأسطول الإنجليزى فى معركة ليزبونة ١٥١٢م ، كان من صنع العرب .
٤- إن الورق الذى كانت تستخدمه كل البلاد الأوروبية ، لتأليف الكتب ونشر التعليمات الرسمية ، كان من صنع العرب .
٥- إن علوم الجبر والفلك ، والجغرافيا والمثلثات ، والتشريح والكيمياء ، كانت من صنع العرب.
٦- إن أول خريطة وُضعت للكرة الأرضية ، كانت – أيضاً - من صنع العرب . وهى الخريطة التى أبدعها : الإدريسى ، الجغرافى والمؤرخ العربى الأندلسى .

- قدّر الله للدولة الأموية ، أن تكون دولة الفتوح ، وأن يكون عصرها هو العصر الإمبراطورى ، فهى مُنشئة أعظم وأوسع إمبراطورية فى العصور الوسطى (٤٧٥ : ١٤٥٣م)، ففى عام ٥٠هـ أمدّ الخليفة الأموى : مُعاوية بن أبى سفيان - بن حرب بن

أمية بن عبد شمس، بن عبد مناف بن قُصيّ - أمد عامله على إفريقية عُقبة بن نافع الفهرى ، بعشرة آلاف مقاتل ، فاخترق المغرب إلى أقصاه حتى المحيط ، وبنى القيروان قاعدة للفتوح .

- وتتابع على المغرب - من برقة إلى المحيط - أعظم القادة استبْسالاً ، كان أعظمهم ولا ريب : موسى بن نصير ، الذى دفع بالقائد الأمازيغى الجسور : طارق بن زياد الزناتى - من قبيلة زناتة - إلى الأندلس ٩٢هـ (٧١١ م)، ثم لحق به بعد عام واحد ٧١٢ م ليُعجّل وتيرة الفتح ، ويضع مشروعه الاستراتيجى لفتح أوروبا كلها .
- ويُجمل لنا المؤرخ الأمريكى سكوت الموقف فى كلمات : " فى أقل من ١٤ شهراً ، قضى العرب على مملكة القوط قضاءً تامًا ، وفى أقل من عامين فقط توطدت سُلطة العرب ، فيما بين البحر المتوسط - بحر الروم - والبرانس " .
- لقد كان استدعاء خلفاء بنى أمية للفاتحين العظيمين ، حَسدًا صريحًا ، فهدأت موجة الفتوح ، وتعطل المشروع الاستراتيجى الذى وضعه موسى بن نصير ، لاختراق أوروبا وفتح روما والقسطنطينية - أعظم الحواضر الرومانية الغربية والشرقية - وصولاً إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية عبْر أوروبا .
- **وصوّر لنفسك أخى القارئ :** لو قدّر الله لهذا الفتح أن يكون ، لكان الأذان يُرفع الآن من كل العواصم العالمية ، الأوروبية منها والأمريكية والأسترالية ، ومن باقى العواصم الإفريقية والآسيوية ، وكأنّى بالفاتح العظيم - موسى بن نصير - يقول :

لا تلم كفى إذا السّيف نَبَا   صَحّ مِنّى العَزم والدّهر أبَى

- ولو لم يتم استدعاء الفاتحين العظيمين إلى دمشق ، لقضيا على مطاريد القوط والفرنجة الذين لاذوا بالفرار إلى هضاب الشمال الإسبانى ، فى بلاد البشكنس (الباسك ، التى تُطالب - حاليًا - بالاستقلال عن إسبانيا) وجلّيقيّة ، وشكلوا هناك نواة الدولة النصرانية التى تعاظم خطرها قرناً بعد قرن ، وتولت عملية الاسترداد المسيحى التدريجى ، إلى أن أقصت الإسلام نهائيًا عن فردوسه فى الأندلس ١٤٩٢م .
- وإنه لمن العجب أن تسقط الدولة الأموية ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) وهى فى إبان فتوتها ، وبسقوطها استقلت عند أطرافها فى أقصى المغرب ، أجزاء من الإمبراطورية العربية ، وانكسرت موجة الفتوح العاتية ، وهدأت صولة الفتوح الأولى .

- وما زال المؤرخون حيارى !! كيف يلتقى الفُرس العلويون - دُعاة الدّولة العباسية - فى عشرين ألف مقاتل فقط ، فى موقعة الزّاب جنوب شرق العراق ، مع مائة وعشرين ألف مقاتل ، يقودهم العاهل الأموى بنفسه : مروان بن محمد (مروان الثانى) ، ثم تَهزم هذه القلة تلك الجموع الحاشدة ، ليهرب بعدها العاهل الأموى فتتعقبه - فى غير رحمة - مُسوّدة العباسيين فيقتلوه حرقا فى قرية بوصير ، بمحافظة الجيزة المصرية ؟ !
- وإنه لمن العجب أيضاً ، أن تُوالى الدولة العباسية بالقتل الأمراء الأمويين وهم أبناء العم ، حتى الموالى منهم والنساء والأطفال ، ثم تتجاوز بعد ذلك كافة الحدود ، فتنبش قبور بنى أمية جميعهم بغير استثناء ، ولم يفلت من ذلك الاستثناء ، إلا قبر الخليفة الراشد الخامس : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وكأنّ الدولة العباسية تُحارب موتّى .
- قدّر الله لعمر بن عبد العزيز وحده ، أن ينجو قبره من عبثهم ، فقد كان - رضى الله عنه - لما أحس بدنوّ أجله ، قد غادر دمشق ، بعد أن سرى السّم فى بدنه ، بدسيسة من عصبته بنى أمية الذين جردهم من أموالهم وضياعهم وكنوزهم .
- خرج عمر من قصر الخلافة مُفارقاً لدمشق ، ومعه صُرّة من مال ، حتى دخل ديرًا للنصارى ، فقال لكاهن الدير بعد أن دفع إليه صُرة المال : " يا صاحب الدير هذا مالٌ غير مغصوب ، فإذا أنا مِتّ ، فاقبرنى عندك تحت هذا الحَرْث (الزرع) فإذا مضى عام على مثواى ، فانثر الحب على جَدَثى واطلق عليه الماء " .
- والجدث هو القبر أو الرّمْس ، يقول شهيد مؤتة ، الصحابىّ : عبد الله بن رواحة :

حتى يقولوا إذا مَرّوا على جَدَثى ... أرشدك الله من غازٍ ، وقد رشدا

- ويقول عن الرّمس شاعر الخضراء ، أبو القاسم الشابى ، الذى فارق عالمنا ، وهو على أعتاب الشباب :

ثم تحت الصنوبر الناضر الحُلو ... تخُطّ السّيول حُفـرة رَمْسى
وتظل الطيور تلغوا على قبْرى ... ويشدو النسيم فوقى بهمْس

- **ولقد دخل العرب فرنسا** - لأول مرة - ٩٣ هـ (٧١٢ م) ، على يد الفاتح العظيم : موسى بن نصير ، الذى اجتاز جبال البرانس إلى فرنسا ، فغزا إقليم سبتمانيا ، الذى كان يومها تابعا للقوط حكام إسبانيا ، ثم غزا دولة الفرنجة حتى ليون - فى حوض الرّون - ليضع الخطوط الأولى ويدرس على الطبيعة ، إمكانية وضع مشروعه

الاستراتيجى لفتح أوروبا والوصول عَبْرها إلى الشام . كما استعادها من بعده ، والى الأندلس الجديد : **الحر بن عبد الرحمن الثقفى** .

- ثم دخلها الفاتحون العرب لثالث مرة ١٠٠هـ (٧١٩ م) بقيادة والى الأندلس : **السمح بن مالك الخولانى** ، فى عهد الخليفة الأموى الراشد : عمر بن عبد العزيز، ثم دخلوها مرة رابعة بقيادة والى الأندلس : **عُنبسة بن سُحيْم** ، ١٠٧هـ (٧٢٥ م) الذى وصل إلى مدينة سانس جنوب باريس بخمسين كم فقط .
- فاستمر بقاء العرب فى فرنسا ٢٨ عاماً بالتقويم الهجرى ، بعد موقعة بُواتيِيه (بلاط الشهداء) ١١٤هـ (٧٣٢م) ، التى وقعت بين قائد الفِرنْجة : شارل مارتل ، والفاتح العربى القحطانىّ الأسطورى : **عبد الرحمن الغافقى** (الذى فتح نصف فرنسا الجنوبى كله - قبل دخوله معركة بواتييه - من الشرق إلى الغرب فى بضعة شهورٍ فقط) .
- ولأن سبتمانيا (لانجدوك : التى عاصمتها ثغر أربونة) فى الجنوب الفرنسى ، بها بدأ دخول فرنسا ، فبها أيضا انتهى الخروج الأخير - على يد : بِبنْ بن شارل مارتل - ١٤٢هـ (٧٥٩م) ليكون بقاء العرب فى فرنسا ٤٩ عاماً بالتقويم الهجرى ، و٤٨ عاماً بالتقويم الميلادى .
- **وبعد بواتييه** ، ارتدّت الجيوش العربية تدريجيًا ، إلى الأندلس جنوبى البرانس ، وهم الذين وصلوا بالفتوح إلى جنوب باريس بمسافة ٥٠ كم فقط - عندما غزا مدينة سانس SENS : عُنبسة بن سُحيم ١٠٧هـ (٧٢٥ م) ، كما بلغتها كتائب : عبد الرحمن الغافقى ، ١١٤هـ (٧٣٢ م) ، قبل دخوله معركة بواتييه بقليل .
- ثم انحسرت رُقعة الوطن الأندلسى فى منتصف القرن ٧هـ (منتصف القرن ١٣ م)، وارتدت إلى ما وراء نهر الوادى الكبير فى الجنوب ، لتنحصر فى مملكة غرناطة الصغيرة ، وغدت باقى الحواضر العربية ممالك نصرانية ، مال بعدها ميزان القوى لصالح مملكة قشتالة النصرانية .
- **ثم انفرطت فرائد عقد الأندلس** ١٠١٠ م إلى طوائف واحدة بعد الأخرى ، أى قبل سقوط آخر الخلفاء الأمويين فى قرطبة : وهو المعتمد هشام بن محمد المستكفى ١٠٣١م (هشام أخو ولادة التى أحبها الوزير الشاعر : الوليد بن زيدون) .
- ولم يبق إلا غَرْناطة فريدة وحيدة ، تحمل وحدها ثِقل الشمال النصرانى كله ،

وضغوط خمس دول نصرانية على كيانها النحيل ، وتُحاصرها بفكيها وسمومها الناقعات ، مملكة قشتالة حية الشمال الرقطاء .

- لهَفى عليها : غَرْناطة (آخر معاقل الإسلام فى الأندلس ، فرْدوْسنا العربى الذى فقدناه) هَوَتْ العروبة عنها والإسلام ، ففى ضُحى يوم بائسٍ من أيام سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م) وبعد صمودها وحيدة نحو ٢٥٠ عاماً (١٢٥٠ : ١٤٩٢ م) ، سلم عاهلها العربى ، الأمير : أبو عبد الله بن الحسن بن الأحمر - الخزْرجى الأصل - مفاتيحها لقوات إيزابيلا وفرديناند ، ملكىْ قشتالة وأوراجون ، وتحولت مساجدها العظيمة ، إلى كاتدرائيات - كنائس كُبرى - وعاثت بساحات قصر الحمراء الزاهر ، همج أوروبا . وأستعير هنا أبياتاً من نظم شاعرنا العربى حينما سقطت طليطلة - أخْت غرناطة - فى يد مَلك قِشتالة :

فليس مثالها إيوان كسرى ... ولا منها الخَورْنقُ والسّدير
مساجدها كنائس ؟ أى قلب ... على هذا يَقرّ ولا يطير
مضى الإسلام فابك دمًا عليه ... فما ينفى الجَوى الدّمْع الغزير

....

- **والخورنق والسّدير : أسماء فارسية لقصرين عربيين ، شادهما مؤسس إمارة الحيرة العربية التاريخية ، [التى كانت قبل الإسلام مُوالية للفرس ، زمان أن كانت إمارة الغساسنة العربية فى الشام ، موالية للروم] وهو : النعمان بن امرؤ القيس بن عمرو بن عدىّ بن نصر اللخمىّ (وهو النعمان الأول ، بداية القرن ٥ م) .**
- **خلفه فى الحكم ولده المُنذر (أول المناذرة) الذى هو الجد الأعلى لأمير الحيرة العربى القحطانى (اليمنىّ) : النعمان بن المنذر ، الذى قتله العاهل الفارسى : كسرى أنوشروان .**
- **راجع أنساب العرب، بلوحات الأنساب الثلاث بحزمة : الخرائط ولوحات الأنساب (قبل المُقدمة) .**
- **فقامت لمقتله بين العرب والفرس " موقعة ذى قار "، التى انتصر فيها عرب ربيعة انتصارًا ساحقًا على الفرس ، قبل الهجرة بخمس سنوات ، وهما قبيلتا : بنى بكر وبنى تغلب ، طرفا حرب الباسوس .**
- **راجع لوحة أنساب بنى وائل بن ربيعة ، بحزمة : الخرائط ولوحات الأنساب (قبل المُقدمة).**
- **فكان يوم ذى قار يومًا له ما بعده ، فبعد بضعة عقودٍ فقط صارت ديار الفرس جزءًا من امبراطورية العرب سادة العالم الجُدد ، بعد انتصارهم الاسطورى فى القادسية ٦٣٧م بقيادة سيّدِ بنى زُهرة : سعد بن أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة - خال المصطفى (ﷺ) .**
- **والنعمان بن امرؤ القيس (النعمان الأول) هو قاتل المهندس الرومى : سِنِمار الذى شاد له قصريْه ، فارتبط اسمه بالمثل الشعبى : " جَزاءُ سِنِمار "، على تفاصيل لا يتسع المقام لذكرها .**
- **للمزيد ، راجع كتابنا : " نحو وعى بالعسكرية الإسلامية ، معارك الإسلام الكبرى " .**

- لقد تحولت ، محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، إلى سلطة سياسية واقتصادية ، وتخلت عن مبادئ الأناجيل التى تُمجّد الفقر وتدعو إلى الزهد ، وكل مفكر مسيحى يدعوها إلى العودة إلى بساطة الأناجيل وحُب الفقراء ، وعدم الانحراف عن المبادئ الأخلاقية ، اعتبرته عدوًا ، ثم تسعى لتصفيته باسم الزندقة .
- وفى سبيل ذلك قمعت محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية المفكرين والعلماء ، من أمثال كوبرنيكوس ، وجاليليو ، وجيوردانو برينو ، وديكارت ، ومعظم فلاسفة التنوير فى القرون ١٧ : ١٩م هذا عدا من أزهقت أرواحهم بالملايين .
- وبفضل استنارة العقول ، ماتت هذه المحاكم سيئة السمعة ، ولم يبق منها فى قلب دولة الفاتيكان، إلا ما يُعرف باسم : "المجمع المُقدس"، بدعوى المحافظة على عقيدة الإيمان المسيحى ! .
- حقًا لم تعد تلك المحاكم بعد ، قادرة على حرق المفكرين وكُتبهم ، لكنها تُراقب أى خروج على العقيدة بحسب مفهومها ، فتُعاقب بالفصل من العمل ، أو المنع من العمل الأساتذة ، كما حدث للمفكر اللاهوتى الشهير : هانز كونج ، الذى أمر المجمع المقدس بمنعه من تدريس مادة اللاهوت .
- وإلى الآن ما زال البابا فى المسيحية ، يتجلى بالقداسة الإلهية - العصمة - فى نظر جمهور المسيحيين ، وعليه فكل ما يأمر به أو يفعله مقدس ولا راد له .
- صحيح أن هذه المحاكم قد بدأت عملها مُبكرًا فى القرن ١٣م ، بغرض إرهاب الهراطقة والسحرة الكاثوليك ، لكن أبشع فصولها قد اتسع بسقوط غرناطة فى ١٤٩٢م ، فوقع مسلمو الأندلس فى أحابيل من لا عهد لهم ولا ميثاق : بابا الفاتيكان ، وملوك قشتالة وأوراجون ، وهم الثلاثة الذين وقعوا معاهدة تسليم غرناطة ، وأقسموا على الالتزام بما جاء ببنودها .
- كأنهم كانوا يُقسمون على نقض بنودها ، ويصف المؤرخ بروسكوت عملية نقض بنود معاهدة غرناطة ، بقوله : " **كانت أفضل مثلٍ للغدر الإسبانى** " ، ويقول د. جوستاف لوبون ، مُعلقا على عملية حرق الكتب العلمية العربية :

" لقد ظن رئيس الأساقفة ، أنه بحرقه ما قدر على جمعه من كُتب العرب (٨٠ ألف كتاب)، قد محى ذكراهم من الأندلس ، وما درى أن ما تركه العرب من آثار ملأت بقاع الأندلس ، إنما يكفى تخليد ذكراهم إلى الأبد ".

- إنها وحق الله ، تلك النزعة الصليبية المنحرفة ، التى أسبغت على إسبانيا سجية الغدر بالمواثيق ، فغدروا بالمسلمين بكل وضيع السبل لحملهم على التنصر ، ونظرة على مرسوم ١٥٠١م الذى أصدرته إيزابيلا وفرديناند ، تكفى لبيان خبل رجال الإكليروس الكاثوليك :

" إنه لمّا كان الرب ، قد اختارنا لتطهير غرناطة من الكفرة - المسلمين - فإنه يُحظر وجود المسلمين فيها ، ويُعاقب المُخالفون بالموت ومُصادرة الأموال " .

- فهاجرت أفواج المسلمين إلى المغرب ، ناجية بدينها ، وما بقى أخفى إسلامه وأبدى تنصّره ، فنشطت محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، تُفتش فى قلوب المسلمين (الموريسكيين)، وتزج بهم فى السجون وأتون المحارق ، التى كانت تُجرى فى مهرجانات يحضرها الملوك .
- لقد كان فى إسبانيا يوم سقطت غرناطة ، نحو ٦ ملايين مسلم ، كان فى غرناطة وحدها منهم نحو مليون مُسلم ، ثم جاء زمانٌ لم يعد فيها مُسلمٌ واحد ، لقد ضمن الإسلام لنصارى الأندلس حرية المُعتقد ثمانية قرون ، وحين صارت السيادة لنصارى الأندلس ، شنوا على الإسلام وأهله حربَ تنصيرٍ قهرية ، لم يعرف التاريخ لها مثيلاً فاقتُلِع الإسلام وأهله من الأندلس .
- **للمزيد ، راجع كتابنا : " رؤية جديدة فى تاريخ ، الإسلام فى إسبانيا وفرنسا ، وصِقلية وجنوب إيطاليا " .**

وكتابنا : " كَىْ يستقيم وعينا بالتاريخ ، الحضارة الإسلامية " .

الباب الأول

" الخلافة الأمويّة فى الأندلس "

محتويات هذا الباب :

- الفصل الأول : من دخول الأندلس ، حتى سقوط الخلافـــة الأمويـــة فى دمشق :
  - الفتح العربى لفرنسا .
  - كلمة قصيرة عن معركة بواتييه ٧٣٢م .
  - شهادة د. جوستاف لوبون .
  - ما الذى جرى بعد بواتييه ؟

- الفصل الثانى : من سقوط الخلافة الأمويّـة فى دمشق ، حتى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس :

أولاً : عصر الإمارة الأموية فى قرطبة : (٧٥٦: ٩٢٩م)

- عبد الرحمن الداخل والثورة الفهرية .
- عبد الرحمن الداخل والثورة فى إشبيلية وطليْطلة .
- عبد الرحمن الداخل ، ودُعاة العباسيين .
- موقعة مَمَرّ الرونسفال (باب الشيزروا) .
- كلمة عن عبد الرحمن الداخل .

ثانيًا : عصر الخلافة الأموية فى قرطبة : (٩٢٩ : ١٠٣١م)

- أبرز الأحداث فى عصر الناصر :
  أولاً : توحيد الأندلس .
  ثانيًا : انتصاراته على الإسبان فى الشمال .
  ثالثًا : بناء مدينة الزهراء .
  رابعًا : حسم الصراع مع عمر بن حفصون .
  خامسًا : رد خطر الدولة العبيدية (الفاطمية) .
- الدولة العامرية فى عهد مؤسسها الحاجب المنصور : (٩٧٧ : ١٠٠٢م)
- خُلفاء الحاجب المنصور : (١٠٠٢ : ١٠٠٩م) .

- **الفصل الثالث : من سقـوط الخلافـة الأمويـة فى الأندلس ، حتى خروج المسلمين نـهائيًا من الأندلس :**

أولاً : عصر الطوائف : (١٠٠٩ : ١٠٩١م) .

١- بنو جهور فى قرطبة .
٢- بنو عباد إشبيلية .
٣- بنو الأفطس فى بطليوس .

ثانيًا : عصر المرابطين فى الأندلس : (١٠٩١ : ١١٤٥م) .
(عُمر دولة المُرابطين : ١٠٦٠ : ١١٤٥م) .

ثالثًا : عصر الموحدين : (١١٤٧ : ١٢٦٩م) .

رابعًا : عصر الاسترداد المسيحى : (٧١٨ : ١٤٩٢م)

معارك الاسترداد المسيحى :

١- معركة كوفادونجا : (٧١٨ م) .
٢- سقوط طليطلة : (١٠٨٥م) .
٣- معركة الزلاقة : (١٠٨٦م) .
٤- معركة إقليش : (١١٠٨م) .
٥- معركة الأركَ : (١١٩٥م) .
٦- معركة العُقاب : (١٢١٢م) .
٧- معركة الدونونية : (١٢٧٦م) .
٨- معركة غرناطة : (١٤٩٢م) .

الباب الأول

" الخلافة الأموية فى الأندلس "

الفتح الحضارى العربى لإسبانيا [٩٢ : ٨٩٧ هـ - ٧١١ : ١٤٩٢م]

(ثلاثة فصول : حتى سقوطها فى دمشق – حتى سقوطها فى قرطبة - حتى الخروج الإسلامىّ نهائيًا من الأنـــدلس)

- الفصل الأول - من دخول الأندلس حتى سقوط الخلافـة الأمويـة فى دمشـق :

- **الأندلس :** هى شبه جزيرة أيبيربا (إسبانيا والبرتغال حاليًا) ، مُحرّفة من وَنْدلس (إذ اعتادت العرب إبدال الواو ألفا) ، والأندلس لدى قدماء العرب هم قبائل الوندال ، وهو شعب جرمانى نزح من جرمانيا (ألمانيا وبولندا الحالية) ، إلى شبه جزيرة أيبيريا .
- وانتقل جزء كبير من الوندال إلى شمال إفريقية ، هربا من القوط الغربيين عند غزوهم شبه جزيرة أيبيريا (والقوط الغربيون : قبائل آرية ، كانوا قد استوطنوا منطقة البحر الأسود)، ويرى البعض أن كلمة أندلس ترجع إلى : أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح .
- **ووَحْده ثغر سِبْتة** ، على الطرف الشرقى لِلسان المغربى ، هو الذى لم يكن قد فتحه العرب فى إفريقية لمناعته ، وكان يحكمه حاكم قوطي ، هو : الكونت لوليان ، حيث كان القوط يحكمون إسبانيا ، وسبتمانيا - فى جنوب فرنسا شمال جبال البرانس - وكان الملك القوطي : لذريق ، ملكًا مُتسلطًا .
- وكان موسى بن نصير واليًا على إفريقية ، وبينما كان يفكر فى كيفية اقتحام سبتة ، جاءته رسالة من الكونت لوليان ، يعرض عليه فيها تسليمه ثغر سبتة ، وأكثر من ذلك يدعوه لفتح إسبانيا ، لإسقاط حُكم : لذريق ملك القوط ، وراح يصور له مدى ضعفها وكثرة نزاعاتها الداخلية ، كما عرض عليه عونه بالسفن لنقل قواته إليها ، ومرافقته لقوات الغزو ليدلها على مواطن الضعف فيها .
- **استجاب موسى لدعوة الكونت** ، وكتب من فوره للخليفة الأموى : الوليد بن عبد الملك ، الذى وافق موسى على أن يبدأ بحملات صغير قليلة الجند ، فجهز موسى حملة صغيرة ، بقيادة ضابط صغير من البربر(الأمازيغ)هو :

طريف بن مالك ، فعبر البحر ٩١ هـ (٧١٠ م) على سفن يوليان والى سبتة .

- **عبر طريف يصحبه يوليان** إلى عُدوة إسبانيا ، فسُميت المنطقة التى نزل فيها باسمه : طريف ، وهى إلى اليوم تحمل الاسم نفسه ، وبمعاونة يوليان وإرشاده ، دخل طريف ثغر الجزيرة الخضراء وعاد محملاً بالغنائم .
- تفاءل موسى وجهز ٩٢ هـ (٧١١ م) جيشًا فى ٧ آلاف مقاتل من العرب والبربر ، ودفع القيادة للقائد الأمازيغى الذى كان حاكمًا لطنجة ، وهو : طارق بن زياد الزناتى - من قبيلة زناتة البربرية .
- **عبر طارق من سبتة على سفن يوليان** ، ونزل بالأرض الصخرية المقابلة لها فى عُدوة إسبانيا ، فعرفت من يومها **بجبل طارق** ، فاتجه غربًا وفتح ثغر الجزيرة الخضراء ، ثم اخترق سهل الفرنتيرة متجهًا إلى طليطلة - عاصمة القوط - حيث اصطدم بجيش القوط فى معركة شذونة (معركة وادى لكة).
- **راجع : خرائط الأندلس ، بحزمة : الخرائط ولوحات الأنساب (قبل المقدمة) .**
- **وفى شذونة التقى طارق** فى رمضان ٩٢هـ (٧١١ م) - بعد أن أمده موسى بخمسة آلاف مقاتل جُدُد - بلذريق ملك القوط ، فى مائة ألف مقاتل ، فى سهول الفرنتيرة على ضفاف نهر لكة ، واستمرت المعركة بين الفريقين ٤ أيام ، استمال فيها يوليان وبعض أساقفته الذين كانوا يصاحبون جيش طارق ، كثيراً من جند لذريق .
- **واستمر القتال ضارياً بين القوتين** ، حتى اليوم السابع الذى رجحت فيه كفة جيش طارق ، وهُزم القوط شر هزيمة ، ومات لذريق غريقًا ، وأرسلت رأسه إلى عُدوة المغرب ثم إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية .
- ولمّا اجتمع الفارّون من معركة شذونة - وادى لكة - من جيش القوط مرة أخرى ، التقوا بطارق فى " استجة " ، فهزمهم طارق وشتت جموعهم .
- بعدها عزم طارق على أن يسير بنفسه إلى طليطلة ، فأرسل : مُغيثا الرومى - أحد موالى الوليد بن عبد الملك - إلى قرطبة فاستولى عليها ، كما استولى على غرناطة ومالقة ، وعقد صلحاً مع أمير مرسية .
- **واصل طارق تقدمه إلى طليطلة** ، مخترقًا الجبال والوهاد فاستولى عليها ، ثم عبر هضاب أشتوريس حتى وصل خليج بسكونية ، ثم عاد إلى طليطلة ينتظر

أوامر جديدة من موسى بن نصير ، الذى كان قد كتب إليه كى يتوقف عن الفتح حتى يلحق به ، خوفاً على الجيش من التوغل فى الهضاب المجهولة .

- **عبر موسى ٩٣هـ (٧١٢ م)** إلى عُدوة إسبانيا فى ١٨ ألف مقاتل من العرب والبربر ، فافتتح إشبيلية وماردة ، وعلى مقربة من طليطلة التقى طارق ، حيث وضعا معاً خطة افتتاح ما بقى من بقاع إسبانيا ، ثم تقدما سوياً وافتتحا سرقسطة وبرشلونة .
- ثم افترقا فسار طارق إلى جليقية واخترق موسى جبال البرانس إلى ولاية سبتمانيا - جنوب غرب فرنسا الحالية - وكانت تابعة لملوك القوط حُكام إسبانيا ، فاستولى على جميع قلاعها بما فيها أربونة العاصمة ، ثم نفذ بعد ذلك إلى دولة الفرنجة عبر جبال البرانس حتى ليون .
- **وهناك استكمل الفاتح العظيم : موسى بن نصير،** تصوره لمشروعه الاستراتيجى لفتح أوروبا كلها والوصول عبرها إلى عاصمة الخلافة بالشام ، وذلك بجيش قوى وأسطول ضخم ؛ حيث يبدأ بفتح دولة الفرنجة عظيمة الاتساع حتى الألب ، ثم مملكة اللومبارد شمال إيطاليا ، ثم الإمبراطورية البيزنطية ، ثم آسيا الصغرى - تركيا الآن - ثم يتجه جنوبًا إلى الشام .
- فهل كان مشروع موسى مُمكن التنفيذ ، والإجابة : كان ممكنًا بكل تأكيد ، فقد كانت الخلافة الأموية فى ذروة فتوتها قادرة على حشد الجيوش والأساطيل ، تملك أقوى إمبراطورية على الأرض فى ذاك الزمان ، وعلى النقيض كانت مملكة الفرنجة برغم اتساعها ، ممزقة الأوصال تكتنفها النزاعات الداخلية والثورات ، غير قادرة على الحشد وتعبئة الجيوش .
- لكن الوليد بن عبد الملك ، كتب للفاتحين العظيمين مُحذرًا ، وأمر كليهما بالتوقف عن الفتح ، والعودة فورًا إلى دمشق ، فتوقفت حملات الإسلام على مطاريد القوط فى الشمال الإسبانى ، الذين اعتصموا بجبال بلاد البشكنس الوعرة وهضاب جلّيقيّة ، فكانوا نواة لدولة النصارى فى الشمال الإسبانى ، التى زاد خطرها على دولة الإسلام فى الأندلس قرنًا بعد قرن ، حتى هوت غرناطة آخر قلاع الإسلام فى فردوس الأندلس ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م) .
- **عاد موسى وطارق إلى دمشق** لمّا أتاهما استعجال : الوليد بن عبد الملك ، فخلّف موسى ولده : عبد العزيز واليًا على الأندلس - أول والٍ للأندلس - من

حاضرتها إشبيلية التى كانت حاضرة الرومان - كما استخلف ولده : عبد الملك على المغرب الأقصى ، وولده : عبد الله على إفريقية .

- وفى أواخر أيام الوليد بن عبد الملك وصل الفاتحان العظيمان إلى دمشق ، فى أغسطس ٧١٥م وفى ركابهما نفائس قوط الأندلس وغنائم بلا حدود ، ومن أشراف السبى الكثير .
- ومات الوليد بن عبد الملك وخلفه أخوه سليمان ، الذى أقر ولاية : عبد العزيز بن موسى بن نصير، كأول والٍ على الأندلس ، كما أقر ولاية : عبد الله بن موسى بن نصير ، واليًا جديدًا على إفريقية .
- ومات كمدًا فاتح الأندلس - موسى بن نصير - وقد تجاوز الثمانين من عمره ، وهو حبيسٌ يرافق سليمان بن عبد الملك فى رحلة حج إلى الحجاز ، بعد سجن طويل بغير سجان ، فى بلاط دمشق ، ولم يجد فى بلاط الخلافة من يُقدره حق قدره ، أو يُطلقه كما تُطلقُ الأسود : لإخضاع الفرنجة فى عمق أوروبا وشرقها - كما أخضع القوط فى غربها - وتحقيق مشروعه ونشر الإسلام فى ربوعها .
- وإذا كان الفاتح العظيم قد غُمط حقه فمات هكذا كمدًا ، دون أن يَلقى من التكريم ما يجب أن يلقاه مثله ، فإن للناس ربًا لا تضيع عنده البطولات والمروءات، ولا تُبخس فى ميزانه الحسنات ، وهو وحده جلت قدرته عنده حسن الثواب .
- لقد غُمط حق موسى ، وصار أمره إلى من لا تضيع عنده الحقوق ، فماذا عن تلميذه الفاتح العظيم : طارق بن زياد ؟ .
- وكل الروايات - حتى الإسلامية منها - تصمت صمتًا غريبًا فلا تقول لنا متى ولا أين مات ؟ . ومع ذلك يبقى اسمه فى سجل العسكرية الإسلامية ، واحدًا من أعظم الفاتحين ، ونبراسًا يُقتدى به على مر العصور . ولله وحده الأمر من قبل ومن بعد .
- **ولقد نعِم نصارى إسبانيا واليهود فيها ، بالعدل والتسامح الدينى** ، ونستعير أقوال عدد من الأساتذة المستشرقين ، فهى خير ما يُستشهد به فى هذا المقام .

يقول الأستاذ دوزى :

" لم تكن حال النصارى فى ظل الحكم الإسلامى ، مما يدعو إلى كثير من الشكوى ، بالنسبة لما كانت عليه من قبل ، أضف إلى ذلك ، أن العرب كانوا

يتحلون بكثير من التسامح ، فلم يرهقوا أحدًا فى شئون الدين " .

- كما يقول الأستاذ دوزى فى موضع آخر ، عن العدل الاجتماعى : " كان الفتح الإسلامى فى بعض الوجوه نعمة لإسبانيا، فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية مهمة ، تحطمت فيها سلطة الأشراف والطبقات الممتازة ، ووزعت الأراضى توزيعاً عادلاً ، فكان ذلك حسنة سابغة وعاملاً كبيرًا فى ازدهار الزراعة ، وتحسين أحوال الطبقات المُستعبدة ، إذ كان الإسلام أكثر تعضيدًا من النصرانية لتحرير الرقيق " .

- كما يقول الأستاذ لاين بول : " أنشأ العرب حكومة قرطبة التى ظلت أعجوبة العصورالوسطى، بينما كانت أوروبا تتخبط فى ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منابر للعلم والمدنية " ، ثم أضاف هذا الأستاذ :

" ما كـان المسلمـون كالبرابـرة من القـوط والوندال ، يتركون وراءهم الخراب والموت، حاشا ، فلم تشهد الأندلس قط ، أعدل ولا أصلح منهم " .

- **كان هذا عن الإسبان والنصارى ، أمَّا عن الجانب الآخر وهم المسلمون ،** فكانت الخلافات والنزاعات وليدة العصبية تُمزق الأندلس الإسلامية ، وتؤدى إلى التفكك والانحلال . فقد كان الخلاف بين العرب والبربر ، كما كان بين العرب والعرب : يَمنيّة ومُضرية وقيْسية ، تمزقهم عوامل الحسد والغيرة وعصبية القبائل والبطون .

- **راجع : لوحات الأنساب ، بحزمة : الخرائط ولوحات الأنساب (قبل المقدمة) .**

- وترجع خلافات العرب والبربر لاستئثار العرب بالحكم والرئاسة ، واستئثارهم أيضًا بالأراضى فى السهول الخصبة ، وقيادات الجيش ، والوظائف المدنية . وترجع النزاعات بين العرب والعرب لآماد بعيدة ، كانت الأحقاد فيها بين حِمْير فى الجنوب اليمنى ، ومُضر فى الشمال التى كانت تخضع لحمير ، وأكثر من ذلك ، فقد كانت مُضر تؤدى الجزية لحِمْير .

- وحتى الإمارات والرئاسات التى قامت فى الشمال ؛ حيث مواطن مُضر، كانت كلها يمنية : فقد كانت الإمارة فى الحيرة جنوب غرب العراق ، لبنى لخم فى بنى المنذر (من بنى نصر)، وكانت الإمارة فى غسّان بالشام ، لبنى جفنة ، كما كانت الرئاسة فى يثرب للأوس والخزرج ، وكلها قبائل يمنية الأصل، هاجرت من اليمن بعد انهيار سد مأرب واندفاع سيل العَرم ١٣٠ق م .

- **فلما جاء الإسلام عادت الدولة لمُضر** ، وأكثر من ذلك ، **كانت النبوة فيها** ، فتحولت الرئاسة بظهور الإسلام إلى مُضر ، حتى انتهت إلى قريش صفوة القبائل المُضرية ، كما كانت اللغة سبباً آخر : وهى نزول القرآن أساساً بلهجة قريش المُضرية ، وهى أى اللغة كانت من مفاخر قريش ، وأنشأت لها سوقاً دعته سوق عُكاظ ، ليتعاكظ - يتفاخر - فيه علماؤها وهم الشعراء .
- **ثم هى بعد قريش :** التى دامت مواطنها فى عمق الجزيرة - بعيدة عن الأطراف - حيث يكثر اللحن فى اللغة ، وما كاد يمضى القرن الأول الهجرى ، حتى أطلت الإحن القديمة من مراقدها .
- كما كان لهروب خوارج المشرق ، من سيوف الخلفاء الأمويين ، إلى المغرب فى إفريقية حيث البربر ، تأثير جارف فى حَض البربر على الثورة .
- أقرّ سليمان بن عبد الملك ولاية : عبد العزيز بن موسى بن نصير ، كأول والٍ على الأندلس ، فشجع الزواج بين العرب والإسبان ، وتزوج أرملة لذريق ملك القوط ، الذى قتله : طارق بن زياد فى موقعة شذونة .
- وتؤكد الروايات الإسلامية والنصرانية ، أنه كان لديه مشروع استقلال بالأندلس عن الخلافة الأموية فى دمشق ، كانت تُزكيه زوجته التى كانت تحلم بالعودة إلى أبهة المُلك ، فقُتل بدسيسة من سليمان بن عبد الملك ، أثناء أدائه الصلاة فى أحد مساجد إشبيلية ٩٧هـ (٧١٦م) ، فقضى عبد العزيز مدة ولايته فى التنظيم والإدارة وتقوية الجيش ، ولم يمهله القدر ، للغزو فى الجنوب الفرنسى عبر سبتمانيا .
- ولا نرى أسباباً تدعونا إلى نفى رواية استقلال عبد العزيز بالأندلس : فأبوه هو فاتح الأندلس ، وهو أى عبد العزيز أول ولاتها ، ووراءه زوجة تستعجل العودة إلى عرشها ، وما جرى وما زال يجرى لأبيه من الهوان فى بلاط دمشق ، ليس بخاف عليه ولا بعيد .
- تولى ولاية الأندلس بعد ذلك : أيوب بن حبيب اللخمى، وهو بن أخت موسى بن نصير، وكان صالحًا مهيبًا فهدأت بولايته الخواطر حينًا ، ثم ولى الأندلس : الحر بن عبد الرحمن الثقفى ، الذى سار إلى ما وراء البرانس ، وغزا سبتمانيا ٩٩ هـ (٧١٨ م) ، وكانت قد دأبت على العصيان منذ غزاها موسى بن نصير .

- ثم ولى الأندلس : السمح بن مالك الخولانى بأمر عمر بن عبد العزيز ، فى ١٠٠ هـ (٧١٩م) ، فلما انتهى السمح من مهام التنظيم والإدارة التى أوصاه بها عمر ، زحف إلى سبتمانيا ٧١٩ م واستعادها فى ١٠١ هـ (٧٢٠ م) ، ثم اتجه لغزو مملكة أكوتين - مملكة الفرنجة الجنوبية - حتى وصل إلى تولوز .
- **وهنا يا سادة :** يبدأ الصدام الدامى والمواجهة الرهيبة بين الإسلام والنصرانية فى وديان الجنوب الفرنسي ووهاده (غاليس - أكيتانيا) فى محاولةٍ من العرب لإخضاع الفرنجة ، بعد نجاحهم الباهر فى إخضاع القوط .

- **الفتح العربى لفرنسا :**
- ولنا مع الفتح العربى لفرنسا وقفة لا بُدّ منها ، وهى وقفة لن تطول ، لكونها خارج ديار الأندلس التى هى موضع بحثنا ، فإن شاء المزيد فليرجع كتابنا :
" رؤية جديدة فى ، الإسلام فى إسبانيا وفرنسا وصقلية وجنوب إيطاليا " .
- فعندما اخترق الإسلام أراضى إمبراطوريتى الفرس والروم (الإمبراطورية الرومانية الشرقية - البيزنطية) وقفت أسوار القسطنطينية المنيعة فى المشرق الأوروبى - آخر القلاع الرومانية البيزنطية - حجر عثرة أمام التقدم الإسلامى من مشرق أوروبا : كانت الحملة الأولى فى عهد معاوية بن أبى سفيان ٤٩ هـ (٦٦٩م) وابتدأت الثانية فى آخر عهد سليمان بن عبد الملك ٩٨ هـ (٧١٧ م) وارتدت فى زمان : عمر بن عبد العزيز .
- وأمام مناعة أسوار القسطنطينية فى مُواجهة جيوش العرب ، قاموا باختراق أوروبا من مغربها ؛ حيث عبرت جيوشهم إلى إسبانيا ٧١١ م ، واخترقتها فى أقل من عامين ، ثم تجاوزت البرانس إلى غاليس (فرنسا) وتجاوزت قواتهم وسط فرنسا حتى صارت على أعتاب شمالها .
- لكن حسد خلفاء بنى أمية للفاتحين العظيمين - طارق بن زياد وموسى بن نصير - كان سبباً فى تعطيل المشروع الاستراتيجى لفتح أوروبا، وانكسار موجة الفتوح العاتية ، وارتداد الإسلام تدريجياً إلى جنوب جبال البرانس ؛ حيث الأندلس التى كانت قد أصبحت عربية تمامًا .

- كلمة قصيرة عن معركة بُوَاتيّيه : (٧٣٢م)

- فلن نذهب لتفصيل موقعة بواتييه (بلاط الشهداء) فى سهول الجنوب الفرنسى ، حيث الاقتراب والحشد ، والتحضير والتراشق ، ثم المواجهة والقتال ، الذى انتهى بانسحاب طرفيه من ميدان المعركة ، **ولكننا سنذهب لآثارها مباشرة :**

١- إن الجيش الإسلامى ثبت للقتال حتى ثانى أيام القتال ، التى اكتشف فيها العدو الغنائم الهائلة بالمعسكر الإسلامى ، حتى بعد ارتداد جزء من فرسانه ، للدفاع عنها ، بالمنطقة الإدارية خلف المعسكر الإسلامى .

٢- انسحب الجيش الإسلامى من ميدان القتال انسحابًا مُنظمًا ، وليس تحت ضغط العدو ومطاردته ، الذى عادة ما يكون وبالاً على المُنسحب ، حيث تكثر فيه خسائره لعدم قدرته فيه ، على تنظيمه بسبب الضغط المستمر والملاحقة من العدو (لو لم يكن الانسحاب منظمًا ، لما حقق المفاجأة للعدو) .

٣- بسبب القرار الصائب بالانسحاب المُنظم ، خرج الجيش الإسلامى بقواته الرئيسة سليمة - الرّجّالة / المشاة والفرسان - والدليل هو خلو معسكره صباح ثالث يوم ، الذى لم يقع فيه قتال .

٤- كان من آثار قرار الانسحاب الصائب ، وخروج الجيش الإسلامى ، بقواته الرئيسة سليمة :

أ- عجلة قوات العدو فى إخلاء ميدان القتال بعد انسحاب الجيش الإسلامى (فلم يكن لدى الفرنجة تصورٌ بما يمكن أن يحدث لهم من خسائر ، إن بقى جيشهم وحيداً فى الميدان) ، بسبب اعتقادهم بأن وراء الانسحاب خدعة حربية .

ب- قيام الجيش الإسلامى بعد الانسحاب - وهروب العدو من ميدان القتال - باسترداد جميع المدن التى وقعت بأيدى الفرنجة ، فى زحفهم المتثاقل لأرض المعركة ، لكون المعركة قد جرت فى عمق الأراضى العربية فى وسط فرنسا ، التى سبق أن أخضعها المسلمون .

٥- لم يُهزم الجيش الإسلامى ، حتى مع كثرة شهدائه وخسائره فى المؤن والغنائم ، بدليل بقائه فى الجنوب الفرنسى ٢٧ عامًا ، بعد معركة بواتييه . [كان الخروج ٧٥٩ م على يد بينْ بن شارل مارتل ، من ثغر أربونة الإسلامى - أول وآخر قلاع الإسلام فى الجنوب الفرنسى - بينما كانت موقعة بواتييه فى٧٣٢ م] .

- **وأقصى ما يمكن أن يقال ، فى نتيجة القتال فى بواتييه :**

أ- إن الجيش الإسلامى لم يُهزم ، وإن جيش الفرنجة لم ينتصر .

ب- إن جيش الفرنجة ، قد عاق تقدم الجيش الإسلامى عن التقدم فى العمق الفرنسى .

- لقد كانت ومن قديم آفة العرب فى كل عصر : الغنائم وعصبية الجاهلية. فالغنائم : والحرص عليها عند العرب، معروف من قديم، قِدم غزوة أُحُد ٣ هـ ، أمَّا عصبية الجاهلية : فهى الآفة الكبرى التى أخرجتنا من الأندلس ، والتى نهى عنها الرسول (ﷺ) بقوله الكريم : **[لا عصبية فى الإسلام]**، وبسببها ارتقى بنسب صفيِّه : سلمان الفارسى إلى الذّرْوة ، فنسبه إلى آل البيت بقوله الشريف : **[سلمان مِنّا آل البيت]** ليُجْهز على عصبية الجاهلية، التى لم تغمرها أبدًا - وإلى يومنا هذا - أنوار الإسلام .

- **شهادة المستشرق الفرنسى د. جوستاف لوبون :**

- صاحب موسوعة " حضارة العرب " الذى من المؤكد أنه ، لن يكون لنا لأنه فرنسى ولا علينا لأنه أحد أشهر المُنصفين ، فقد راح هذا العالم الفذ يقول : (والخير ما شهدت به الأعداء) :

١- " إن النصر الذى أحرزه شارل مارتل ، لم يكن نصرًا مُهمًا ، بدليل عجزه عن استرداد أى مدينة استولى عليها عسكريًا فى فرنسا ، وبدليل آخر : هو بقاء العرب بعد معركة بواتييه فى الجنوب الفرنسى ، وأكثر من ذلك : هو تحالف العديد من أمراء فرنسا مع العرب ، على شارل مارتل الذى نهب بلادهم" .

٢- " إن النتيجة المهمة ، التى أسفر عنها انتصار شارل مارتل ، هو جعل العرب ، أقل جرأة على غزو شمال فرنسا ، ونتيجة مثل هذه لا تكفى لتكبير أهمية انتصاره" .

٣- **" ولنفرض جدلاً أن النصارى قد عجزوا عن دحر العرب ، فماذا يكون قد أصاب أوروبا ؟ والجواب : كان يصيب أوروبا المتبربرة ، مثل ما أصاب إسبانيا من الحضارة الزاهرة ، تحت راية النبى العربى، وكان لا يحدث فى أوروبا - التى تكون قد وهنت - ما حدث فيها من الكبائر: كالحروب الدينية وملحمة سان بارتملى ومظالم محاكم التفتيش ، وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع ، التى ضرّجت أوروبا بالدماء عدة قرون .**

٤- وتمنّى العلامة الفرنسى المُنصف ، أن يكون العرب قد استولوا على العالم كله بما فيه أوروبا ، لما فيهم من نُبل الطباع ، فراح يقول :

" يُروى مع التوكيد أن : موسى بن نصير ، فكر بعد فتح إسبانيا، فى العودة إلى سوريا من فرنسا وألمانيا والاستيلاء على القسطنطينية ، وإخضاع العالم القديم لأحكام القرآن، وإن لم يعقه عن هذا العمل العظيم ، سوى استدعاء الخليفة له فى دمشق . فلو وُفق موسى بن نصير لذلك ، لجعل أوروبا مسلمة ، ولحقق للأمم المتمدّنة وحدتها الدينية ، ولأنقذ أوروبا من فوضى القرون الوسطى ، الذى لم تعرفه إسبانيا بفضل العرب " .

• **ما الـذى جـرى بعـد بواتييـه :** (تداعى الأحداث)

- تعاقب على ولاية الأندلس عددٌ من الولاة ، إلى أن ظفر يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ١٢٧ هـ ، بولاية الأندلس ١٠ سنوات ، بالاتفاق حتى مقتله ١٤٠هـ ، كان ابن عمه قد انتزع كذلك ١٢٧هـ ، ولاية إفريقية ١٠ سنوات أُخَر ، وهو : عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى - فاتح إفريقية .
- سَيّر يوسف جيشا إلى سبتمانيا ، لمعاونة حاميتها فى صد هجوم ببنْ بن شارل مارتل ٧٥٣م ، لكن كل مواقعها آلت إلى قوات الفرنجة ، عدا ثغر أربونة الذى استعصى على قوات الفرنجة.
- **فى هذه الأثناء سقطت الخلافة الأموية فى دمشق** ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) ، وبعد سنوات قلائل من الحروب الأهلية بالأندلس، ظهر ليوسف وصديقه المُضرى: الصُميْل بن حاتم بن شمر الكلابى [جَدّه ذاك الفاسق : شمر بن ذى الجوشن ، من الكوفة وهو أحد قتلة الإمام : الحسين بن الإمام : على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - الذى نزح بأسرته من العراق، خوف الانتقام] .
- ظهر لهما خطرٌ قادم عبر عُدوة المغرب وهو وصول الأمير الأموى : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، إلى جنوب الأندلس ، واجتماع موالى بنى أمية إليه ، فى ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) .
- **حاصر ببنْ بن شارل مارتل ، ثغر أربونة الإسلامى ١٤٢ هـ (٧٥٩ م) عاصمة إقليم سبتمانيا الإسلامى ، واستطاع بمعاونة النصارى داخلها ، الفتك بالحامية الإسلامية، وفتح أبوابها أمام قواته، التى فتكت بسكانها**

المسلمين وخربت مساجدها ، وبذلك سقطت آخر قلاع الإسلام فى فرنسا فى يد النصارى ، وانتهت سيادة الإسلام نهائيًا ، فيما وراء البرانس ، بعد أن دامت نحو نصف قرن .

- قد يكون من اللازم أن نُدوّن هذا الاستطراد ، عن مدة بقاء العرب فى فرنسا بعد بواتييه ، فقط لكونه صادرًا عن علامة مستشرق ، بقامة د. جوستاف لوبون [راجع : ص ٣١٦ موسوعة "حضارة العرب" : " **وقد أقام العرب بفرنسا قرنين بعد بواتييه** ، وقد سلم حاكم مرسيليا مقاطعة البروفانس إليهم فى سنة ٧٣٧م ، ودخلوا مقاطعة سان ترويز فى سنة ٨٨٩م ، ودامت إقامتهم فى مقاطعة البروفانس إلى نهاية القرن العاشر الميلادى ، وأوغلوا فى مقاطعة الغال وسويسرة سنة ٩٣٥م ، وروى بعض المؤرخين أنهم وصلوا مدينة ميس ".

- ثم راح العلامة جوستاف لوبون - وهو يُعلق على آثار معركة بواتييه - يؤكد مرة أخرى بقاء العرب فى فرنسا قرنين من الزمان : " **وتثبت إقامة العرب بفرنسا ، مدة تزيد على قرنين** ، بعد شارل مارتل ، أن النصر الذى أحرزه فى بواتييه ، لم يكن مهماً كما زعم المؤرخون ...".

- لم يبق إلا أن نُدوّن كلمة أسى للعلامة المصرى الأستاذ : محمد عبد الله عنان :

" **لم تُتح للإسلام المُتحد فرصة أخرى ، لينفذ منها إلى قلب أوروبا ، فى مثل كثرته وعزمه يوم مسيره إلى بواتييه : لأنه أصيب غير بعيد بتفرّق الكلمة . وبينما شُغلت إسبانيا المسلمة ، بمنازعاتها الداخلية ، قامت فيما وراء جبال البرانس : إمبراطورية فرنجية موحّدة الكلمة ، تُهدّد الإسلام فى الغرب ، وتُنازعه السيادة والنفوذ** ".

- الفصل الثانى – من سقوط الخلافـة الأمويـة فى دمشق ، حتى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس :

(وهما عصران : عصر الإمارة الأموية – عصر الخلافة الأموية)

- أولاً – عصر الإمارة الأموية فى قرطبة : (١٣٨ : ٣١٦هـ – ٧٥٦ : ٩٢٩م)

- كان حُكم الأندلس قد غدا منذ سقوط الخلافة الأموية فى دمشق ١٣٢ هـ(٧٥٠ م) يتنازعه الزعماء ، وكانت الفتن قد عصفت بالسلطة العليا، واستقل الزعماء والأقوياء بالعديد من النواحى ، وقضى يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، معظم ولايته فى إخماد الفتن واستخلاص المُلك لنفسه ، فلما ظهر صقر قريش ، كان صرح الأندلس يهتز بقوة فوق دعائم واهية ، وكان توطيده يحتاج لرجل من طراز فريد .
- وكانت الأقدار قد ساقت قبل ذلك : يوسف الفهرى ، لولاية الأندلس بغير مصادقة شرعية - مدة ١٠ سنوات ١٢٧ : ١٣٧هـ (٧٤٥ : ٧٥٥م) وذلك لسقوط السلطة الشرعية فى دمشق فصارت الأندلس إمارة مستقلة ، وكان فيها من يدعو لبنى العباس ، طمعًا فى الولاية .
- ظل يوسف الفهرى يناهض الخارجين عليه ، حرصًا على السلطان الذى ألقاه إليه القدر ليؤسس مُلكًا له ، يكون من بعده فى بنيه وعقبه، لكن كانت للأقدار تصاريف أخرى ، فإن بنى العباس بعد أن آلت الخلافة إليهم ، قد أخذوا فى القضاء على الأحياء من بنى أمية ، بأمر من السفاح : أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس .
- وكان ممّن نجا من مذابحهم ، فتى من حفدة هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وُلد فى إحدى قرى قنسرين ١١٣ هـ (٧٣١ م) ، وكان فى نحو العشرين من عمره ، لما سقطت دولة الأجداد، وقد توفى أبوه شابًا فى حياة الجد هشام ١١٨هـ فكفله جده .
- فلما انهار صرح الخلافة الأموية ، فرّ عبد الرحمن إلى الفرات ، ثم قصد المغرب عبر فلسطين ومصر ، مستهدفًا الأندلس يملأه الأمل بالشأن العظيم هناك ، مصداقًا لنبوءة قومه - بنى أمية - التى اعتادوا ترديدها قبل سقوط دولتهم .
- **كانت أخته : أم الإصبع** ، قد وافته قبل مسيره إلى المغرب ، بالكثير من المال والجوهر ، وألحقت به موليه بدر وسالم ، فجاز إلى طرابلس ، والتجأ إلى أخواله بنى

نفرة ، وهم بطن من بطون قبيلة زناتة البربرية ، أسرة والدته : راح .

- كان عبد الرحمن بن حبيب الفهرى - حفيد عقبة بن نافع - قد انتزع ولاية إفريقية لنفسه ١٢٧هـ ، ومن غير شك : فقد ورد على خاطر عبد الرحمن بن معاوية ، فكرة الاستقلال بإفريقية بعد الاستيلاء عليها ، ولكن يقظة عبد الرحمن الفهرى قد حالت دون ذلك، وهو الذى دعا للعباسيين وقتل عددًا من أمراء بنى أمية ، واعتقل آخرين منهم وصادر أموالهم، وقد تناهت إليه ، أنباء وصول عبد الرحمن بن معاوية ، ولكنه عجز عن الوصول إلى مكمنه .
- أقام عبد الرحمن بن معاوية عند أخواله من زناتة ، على شاطئ البحر المقابل لعُدوة الأندلس، وفى أواخر ١٣٨هـ (٧٥٦ م) بلغته أنباء الخلاف بين اليمنية والمُضرية فى الأندلس ، فأرسل مولاه بدر يدعو إليه بين موالى بنى أمية وأهل الشام ، فنزل بدر بغرناطة ، منزل جند الشام وعصبة بنى أمية . وكانت رئاسة الأمويين والشاميين ، لزعيمين من موالى بنى أمية هما : أبى عثمان عبيد الله بن عثمان ، وصهره : عبد الله بن خالد .
- عاد بدر إلى عبد الرحمن بن معاوية فى عُدوة المغرب ، يبشره بنجاح دعوته وانتشارها ، فعبر البحر ١٣٨هـ (٧٥٦ م) ونزل ضيفاً على أبى عثمان ، وأخذت من يومها بيعات الجند تتقاطر عليه ، واجتمع إليه فى إشبيلية ٣٠ ألف فارس ، وتوافد عليه المتطوعة ، من اليمنية والمُضرية والشامية .
- أدرك عبد الرحمن بما اجتمعت إليه من حشود الفرسان ، أنه قادر على مُبادأة : يوسف الفهرى، وحليفه المُضرى : الصُميْل بن حاتم ، فاتجه إلى قرطبة ؛ حيث جموع الفهرية وحلفائهم ، بقيادة يوسف والصُّميْل فى منطقة المسارة .
- **وفى المسارة :** مزق عبد الرحمن ، صفوف الحشود التى التفت حول يوسف والصميل، ففرا من أرض المعركة ، فاتجه عبد الرحمن من فوره ، إلى قرطبة العاصمة ، وأعلن نفسه أميرًا على الأندلس فى ذى الحجة ١٣٨هـ (٧٥٦ م) .
- بعد الانتصار الساحق فى المسارة ، تيسر لعبد الرحمن دخول قرطبة ، وإعلان نفسه أميرًا على الأندلس، وتلقب بالداخل ، ذلك اللقب الذى أطلقه عليه مولاه بدر ، لكن الأندلس كانت تنام على الفتن، وكانت الثورات فيها جاثمة فى كل مكان، وقد

تجاوزت الخصومات فيها اليمنية والمضربة والبربر ، إلى القبائل والبطون ، التى تأبى كل منها الخضوع لأى سلطة محلية .

- كان عبد الرحمن الداخل ، يطمح إلى دولة موحدة ، يستطيع بها أن يواجه الخطر الجاثم، فى الشمال الإسبانى؛ حيث دولة النصارى الإسبان ، والخطر الكامن وراء البرانس؛ حيث دولة الفرنجة ، التى انتزعت كافة الأراضى الإسلامية فيما وراء البرانس، عدا ثغر أربونة - عاصمة سبتمانية - الذى سقط فيما بعد فى عام ٧٥٩ م ، على يد بينْ بن شارل مارتل .
- كان عبد الرحمن الداخل ، حين جاز إلى قرطبة ، لا يتجاوز عمره ٢٦ عامًا ، قد عقد العزم أن يقضى بقية عمره - ٣٢ عامًا - فى كفاح لا ينتهى ، فلم تبق قرية أو مدينة إلا ثارت عليه ، ولا قبيلة ولا بطن إلا نازعته الرئاسة . ومع ذلك فقد قبض عبد الرحمن بيد فولاذية ، على ناصية الأندلس ، وأحيا سلطان أسرة قد اندثر ، ليزدهر من جديد نحو ثلاثة قرون ، بعد أن قضى على خصومه واحدًا بعد الآخر .

- **عبد الرحمن الداخل ، والثورة الفهرية :**

- بداية لم يكن فى الأفق كله من أعداء لعبد الرحمن الداخل ، غير يوسف وحليفه الصّميل، اللذين حشدا قواتهما فى غرناطة ، فلما علم بمسيرهما إليه ، غادر قرطبة فى قواته ، وترك لحمايتها قائده أبى عثمان ، فأرسل يوسف أحد أولاده ، فى قوة إلى قرطبة ، فاقتحمها وأسر أبى عثمان وأهل عبد الرحمن وحريمه .
- قصد عبد الرحمن إلى غرناطة ، وحاصر يوسف والصميل، وبعد حصار قد طال، طلبا الصلح والعيش فى قرطبة، فى كنف عبد الرحمن وتحت بصره ، وقدّما الرهائن من أبنائهما، فانفضت الحشود من حولهما .
- هرب يوسف من قرطبة ، وراح يحشد الحشود من أنصاره فى طليطلة ، فأمر عبد الرحمن بإدخال الصميل إلى السجن ، ودفع إليه من دس له السم فقتله ، ثم دفع عبد الرحمن إلى طليطلة من ألب على يوسف خلصاءه وأصفياءه، فقتلوه وحملوا رأسه إليه فى قرطبة ١٤٢ هـ، ثم قتل عبد الرحمن ولد يوسف الذى كان رهينة عنده ، واقتحمت جيوشه طليطلة فى يسر، وهى التى كان يمتنع بها يوسف والصميل .
- لكن القاسم بن يوسف الفهرى ، كان قد امتنع بإشبيلية فواجهه عبد الرحمن فى قوة

كبيرة يقودها بنفسه، فحاصره فيها ثم اقتحمتها قواته ودخلها عبد الرحمن منتصرًا ١٤٣هـ ، وأخذ القاسم أسيراً إلى سجون قرطبة ، وبذلك انتهت الثورة الفهرية .

- **عبد الرحمن الداخل ، والثورة فى إشبيلية وطليطلة :**
- عاودت الثورة إشبيلية بقيادة : عبد الغافر اليمانى ، واندفع بقواته يهدد قرطبة فلقيه عبد الرحمن خارج قرطبة ، وبدد قواته ١٤٤ هـ . ثم عادت إشبيلية إلى الثورة هذه المرة بقيادة : حيوة بن ملامس الحضرمى ، فحاصرها عبد الرحمن ، حتى فرق جموعهم وهرب زعيمهم ١٤٤ هـ .
- كانت طليطلة معقلاً دائماً للفهرية حتى بعد مقتل يوسف الفهرى، فعادت للثورة بقيادة : هشام بن عزرة الفهرى، فحاصرها عبد الرحمن ، ولما طال حصارها ، طلب هشام الفهرى الصلح وأرسل ولده رهينة ، فلما عاد إلى الثورة أعاد عبد الرحمن حصارها ، وقتل ولده وحز رأسه وأطلقها بالمنجنيق داخل أسوار طليطلة ، ودخلت جيوش عبد الرحمن طليطلة .
- وفى تاريخ لاحق - ١٥٨ هـ - قامت من جديد ثورة فى إشبيلية بقيادة زعيمها القديم : حيوة بن ملامس الحضرمى ، فانتصر عليه عبد الرحمن انتصاراً ساحقًا ، وقتل من حشوده زهاء ٣٠ ألف مقاتل ، ثم قبض عبد الرحمن على ٣٠ زعيماً من زعماء إشبيلية ، ممن كانوا مع جيش حيوة وأمر بإعدامهم .

- **عبد الرحمن الداخل ، ودُعاة العباسيين :**
- من عُدوة المغرب ١٤٦هـ ، كاتب العلاء بن مُغيث اليحصبى ، الخليفة العباسى : أبى جعفر المنصور ليكون داعية له فى الأندلس ، وأصدر المنصور له مرسوم ولاية الأندلس عن العباسيين، فعبر العلاء إلى الأندلس ودعا لبنى العباس ورفع علمهم الأسود ، فانضوت تحته كل خصوم عبد الرحمن من الفهرية واليمنية ... وغيرهم ، كما انضم إليه : أمية بن عبد الملك بن قطن، والى الأندلس الأسبق .
- واجه عبد الرحمن حشودهم الكثيفة بنفسه ، وفرق جموعهم ، وقتل العلاء وأسر أمية بن قطن، وجمع رؤوس زعماء دعاة العباسيين ، وألقاها فى القيروان ، بعُدوة المغرب . كما وضع رأس العلاء ، ومرسوم الولاية العباسى ، وعلم العباسيين الأسود ، فى سفط (قفص) وحمله بعض التجار الثقاة إلى مكة؛ حيث كان المنصور

يؤدى فريضة الحج ١٤٧هـ ، فلما ألقىَ السفط بما فيه أمام سُرادق المنصور ، قال : **" الحمد لله ، الذى جعل البحر بيننا ، وبين هذا الشيطان " .**

- أنفق عبد الرحمن كل عمره فى الأندلس ، يقمع الثورات ، التى لم تسلم منها مدينة فى الأندلس ، كان النصر فيها جميعاً يلازمه ، ولا نملك أن نتابعها حتى لا نخرج عن مضمون الكتاب ، لكن هناك حادثة ينبغى أن نتوقف عندها طويلاً ، وقعت فى الشمال المواجه لدولة النصارى ودولة الفرنجة عبر البرانس ، وهى موقعة ممر الرونسفال ، عند بابه الجنوبى المعروف عند العرب ، بباب الشيزروا .
- **موقعة مَمَرّ الرونسفال :** (باب الشيزروا)
- فى ١٥٧ هـ (٧٧٤ م) ، تحالف على قتال عبد الرحمن وخلعه ، حاكمان من حكام الولايات الإسلامية الشمالية ، وهما : سليمان بن يقظان ، والى برشلونة ، والحسين الأنصارى ، والى سرقسطة ، وكان عبد الرحمن الداخل ، مشغولاً بقمع ثورات الجنوب كما أسلفنا ، فأرسل إلى الشمال جيشًا بقيادة : ثعلبة بن عُبيد الجذامى ، فهزمه وأسره حليفا الشمال ١٥٨هـ (٧٧٥م) .
- خشى حليفا الشمال من انتقام عبد الرحمن الداخل ، فاستنصرا بشرلمان ملك الفرنجة وكانت حاضرته بادربون ، فى أقصى الشمال الغربى من ألمانيا الحالية - شمال شرق هولندا الحالية - وافق شرلمان على غزو الأندلس ، بعد استشارة ألفونسو أمير ليون النصرانية (جليقيّة)، كما قام سليمان بتسليم ثعلبة إلى شرلمان ، فأودعه شرلمان أحد سجون العاصمة الفرنجية .
- اخترق شرلمان بجيشه الضخم جبال البرانس ، عازماً على غزو الأندلس ، عَبْر ولاية أكوتين الفرنجية جنوبى فرنسا الحالية ، فقسم جيشه قسمين ، عبَر أولهما البرانس من الممرات الشرقية يقوده أحد قواده ، وعبر القسم الثانى بقيادته من الممرات الغربية ، باتفاق أن يكون لقاء القسمين فى سرقسطة بالحليفين المسلمين .
- عبر شرلمان البرانس من ممر الرونسفال ، واخترق بلاد البشكنس النصرانية - نافار - واستولى على عاصمتها بلبلونة ، بعد قتال مرير ، ثم تقدم بقواته ومعه سليمان إلى سرقسطة، فى الوقت الذى لحق به ، القسم الشرقى من قواته ، الذى لم يلق

مقاومة بالمرة لمروره بأراضٍ نصرانية، ثم إسلامية حليفة هى إمارة برشلونة .

- نقض حسين تحالفه مع شرلمان وسليمان ، وتحصن بسرقسطة ، ورفض تسليمها ، فهاجمها شرلمان بجيشه وقوات حليفه سليمان ، لكنها استعصت على الحليفين وردت جيوشهما ، بعدها ارتاب شرلمان فى نوايا سليمان ، فقبض عليه وارتد سريعاً إلى الشمال خوف المفاجأة، يبغى الوصول إلى بلاده ، ليتجنب خديعة كان يتوقعها ، وفى سبيل ذلك ، فك حصاره عن سرقسطة الإسلامية ، وبلبلونة النصرانية .
- خرَّب شرلمان عند ارتداده بلاد البشكنس ليضمن ارتداداً آمنا لقواته ، وعلى باب الشزرى الذى يسميه العرب باب الشزروا - الباب الجنوبى لممر الرونسفال عبر البرانس من الجهة الغربية – هاجم مطروح وعيشون ولدا سليمان ، مؤخرة جيش شرلمان ، بعد أن اجتاز الممر كل من القلب والمقدمة ، فسهل عليهما الانفراد بها وعزلها .
- بتعاون القوات الموتورة من شرلمان وجيشه ، وهى قوات برشلونة وسرقسطة وبلاد البشكنس، استخلص مطروح وعيشون أباهما بسهولة ، وانتزعا كل الرهائن والأسلاب ، كما انتزعا الخزانة الملكية فى ١٦١هـ (٧٧٨ م) .
- لقد كان الخطأ الذى وقع فيه شرلمان ، هو ترك المؤخرة وحيدة أثناء عبور المضيق فقد كان عليه أن يضعها فى ترتيب العبور ، فى وسط قواته بين المقدمة والقلب ، لثقلها المعتاد وضعف تسليحها وقلة قواتها ، وعجزها عن الدفاع منفردة عن نفسها (فهذه طبيعة مؤخرات كل الجيوش) .
- **وفيما بعد :** أطلق شرلمان سراح ثعلبة بن عبيد الله ، من سجون عاصمته ، مقابل فدية كبيرة، دفعها عبد الرحمن الداخل ، ولم يجرؤ شرلمان بعدها على غزو الشمال الأندلسى ، خاصة أن القبائل المناوئة له عبر الراين ، قد عاودت ثوراتها عليه .
- أمضى عبد الرحمن الداخل أعوامًا فى الجنوب يقاوم ثورات الخصوم ، ثم اتجه إلى الشمال ، فحاصر سرقسطة ، وضربها ضربًا عنيفًا بالمنجنيق ، ونجح فيما لم ينجح فيه شرلمان وحليفه سليمان ، وقبض على واليها حسين وجماعته ، وقتلهم جميعًا ، وعين عليها قائده : ثعلبة بن عبيد الله ، الذى سبق افتداؤه من أسر شرلمان بفدية كبيرة .

- كان يرى عبد الرحمن أن مهادنة الفرنجة أمر حتمى ، لكثرة الخوارج والنزاعات والثورات بالأندلس ، فبعث إلى شرلمان يُكاشفه برغبته فى صداقته ومصاهرته ، واستمر السلام معقودًا بين العاهلين حتى وفاة عبد الرحمن .
- **كلمة عن عبد الرحمن الداخل :**
- لا يفوتنا التنويه إلى أن عبد الرحمن الداخل ، وفاءً منه لقرابته بنى أمية، قد استقدم الكثير منهم ، مثل أخويه الوليد وأبان ، وابن عمه عبد السلام بن يزيد، وحدث أن تآمر عليه أبناء أحد إخوته، فقتلهم ورحّل الباقين إلى إفريقية ، ويُذكر أنه قال وهو مُغتم ساعة قتلهم :

" ما عجبى إلا من هؤلاء القوم ، سَعينا فيما يُضجعهم فى مِهاد النّعم ، فأقبلوا علينا بسيوفهم ، ونازعونا منحة الله إلينا ، فخذلهم الله بكفرهم النعم ".

- أنفق عبد الرحمن جميع سنوات حكمه - ٣٢ عامًا - فى نضال لم ينقطع ، وحيدًا بغير صحب ولا أنصار ، أقام مُلكاً على أرض من الزلازل والبراكين التى لا يخبو أوارها أبدًا ، فى قصة فريدة بغير شبيه ، قد لا نجد لها مثيلاً فى التاريخ الإنسانى كله ، ورحل عن الدنيا هذا الفذ سليل العواهل العِظام ، بُناة أعظم إمبراطورية فى التاريخ ، عن عمر يناهز ٥٨ عاماً، فى ١٧٢ هـ (٧٨٧ م) ، فخلفه ولده هشام ، ثم خمسة أمراء آخرين ، إلى أن أعلن حفيده : عبد الرحمن الناصر ، الخلافة التى تنتهى بالخليفة العاشر ، المعتمد : هشام بن المستكفى : محمد ١٠٣١م.
- **والخليفة المستكفى** : هو أبو ولاّدة ، التى كان لها صالون أدبى ، التى كان قد أحبها الوليد بن زيدون ، الشاعر والوزير الأندلسى الشهير فى عصر الطوائف ، وله فى حبها أشعار عُدّت من عيون الشعر العربى .
- كان عبد الرحمن مديد القامة ، نحيف القوام ، أصهب كأخواله الأمازيغ ، له ضفيرتان ، خفيف العارضين ، كثير الخال فى الوجه . ولا نجد وصفًا له أبلغ مما قاله فيه ، عدوه اللدود الخليفة العباسى : أبو جعفر المنصور ، الذى لقبه بصقر قريش . قال المنصور يوماً لبعض خاصته : مَنْ صقر قريش من الملوك ؟ فلما عجزوا عن الإجابة التى كان يقصدها ، قال لهم :

" هو عبد الرحمن بن معاوية : الذى تخلص بكيده عن سنن الأسنة وظباة السيوف (حدّها) يعبر القفر ويركب البحر ، حتى دخل بلداً أعجمياً منفرداً بنفسه ، فمصّر

الأمصار ، وجند الأجناد، ودون الدواوين ، وأقام مُلكًا عظيمًا بعد انقطاع وهو منفرد بنفسه مؤيد برأيه ، مستصحب لعزمه ، وطد الخلافة بالأندلس وافتتح الثغور ، وقتل المارقين ، وأذل الجبابرة الثائرين .

- وعاش عبد الرحمن ما قدر الله له أن يعيش ، فى حنين لا ينقطع إلى مواطنه الأولى فى الشام ، فكان يقول :

أيــها العاقــب المُيمّم أرضى — أقـرئ مـن بعضى السـلام لبعضى
إن جسمى كما علمت بأرضٍ — وفــؤادى ومــالكيـــه بــأرض
قُـدِّر البَيْــن بيننـــا فافترقنـــا — وطـوى البين عن جفونى غمضى
قـد قضى الله بالفـراق علينا — فعـسى باجتماعنـــا سـوف يقضى

- وفى سبيل ذلك أنشأ فى حاضرته قرطبة ، ضاحية الرصافة الجديدة ، تخليدًا لضاحية الرصافة التى أنشأها جده هشام ، كما أنشأ المسجد الأموى - المسجد الجامع - فى قرطبة ، وأنشأ لقرطبة سورها العظيم . وللداخل نصب تذكارى حاليًا فى المنكب فى إسبانيا . وسبحان من له الدوام .

- وقبل أن نضرب فيما بقى من أبواب الكتاب ، ينبغى أن نتوقف قليلاً ، أمام أهم شخصيتين ، فى عصر الخلافة الأموية وهما : عبد الرحمن الناصر (الناصر لدين الله - الثالث - الأخير) الذى أعلن الخلافة الأموية من قرطبة ٩٢٩م ، ومحمد بن أبى عامر (الحاجب المنصور) .

- **ثانيًا – عصر الخلافة الأموية فى قرطبة :** (٣١٦ : ٤٢٢هـ - ٩٢٩ : ١٠٣١م)

- ولد عبد الرحمن الناصر فى ٢٧٧هـ (٨٩١ م) وتوفى ٣٥٠هـ ، ودام حكمه ٥٠ عامًا ، وهو ثامن أمراء بنى أمية ، وأول من تسمى بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين فى الأندلس ، بعد أن أعلن الخلافة الأموية فى الأندلس من قرطبة ، فصار للمسلمين ٣ خلافاتٍ ، هى الخلافة العباسية من بغداد ، والخلافة الأموية من قُرطبة ، والخلافة الفاطمية من القاهرة .
- ويعتبر عبد الرحمن الناصر أقوى الأمراء فى تاريخ الأندلس ، وعصره هو العصر الذهبى ، واشتهرت قرطبة فى عهده بجامعتها الشهيرة ، التى عرفت بمنارة العلم والعلماء ، وأمه - أم ولد - واسمها ماريّا .
- تولى الناصر إمارة الأندلس بعد وفاة جده الأمير : عبد الله بن محمد ، ٣٠٠ هـ ، وكان عمره ٢٢ عاماً ، فاستطاع توحيد الأندلس بعد التمزق وأعاد القوة والعظمة إليها ، واتسم عهده بالنهضة العمرانية : فقد أخضع حكام أوروبا آنذاك ، وبنى مدينة الزهراء ، خارج أسوار قرطبة ، وهو أول من تلقب بالخليفة من أمراء الدولة الأموية فى الأندلس، بعد أن آلت الخلافة العباسية للوهن .
- وبعد أن أعاد الوحدة السياسية للأندلس ، وعظم شأنه وقويت دولته ، وأصبح أقوى حاكم مسلم فى ذلك العصر ، أصدر مرسوم الخلافة فى ٣١٦ هـ، وجمع الناس وبيّن لهم ، سبْق بنى أمية على بنى العباس بالخلافة ، واتخذ لقب أمير المؤ منين وجرى هذا اللقب على من بعده.
- **أبرز الأحداث فى عصر الناصر :**
- **أولاً- توحيد الأندلس :** فقد قضى على الفتن والثورات داخل الأندلس ، فبادر الخارجون والمتمردون بالخضوع له ، وكان من خُلقه الرفيع إقراره حكامها المستسلمين وإكرامهم ، مثل حكام سرقسطة وإشبيلية ، ولذلك توحدت الأندلس سريعًا فى عهده .
- **ثانياً- انتصاراته على الأسبان فى الشمال :** فقد وجه وزيره : أحمد بن عبد ربه ٣٠٤ هـ ، بجيش ضخم ، فاصطدم فى عدة معارك بالشمال الإسبانى النصرانى ، فانتصر فيها جميعاً انتصارًا ساحقًا .
- ثم قاد جيوش الأندلس بنفسه فى ٣٠٤ هـ فى معركة " الفرج " ، ليفاجئ جموع

ليون ونافار وجليقية ، فأباد قواتهم ، ثم تابع اندفاعه ليلتقى بقوات النصارى فى " موبش "، حقق فيها هيبة الخلافة ، واستمرت هذه الغزوة ٣ شهور .

- **ثالثاً- بناء مدينة الزهراء :** وهى مدينة ملكية بناها الناصر على مثال دمشق ٣٢٥ هـ ، على بعد ٣٠ كم من قرطبة ، ثم بنى فيها قصر الزهراء ، وحمل إليها الرخام والمرمر من أقطار أوروبا ، وأقام فيها ٤٣٠٠ سارية ، وأهدى له ملك الفرنجة ٤٠ سارية من الرخام.
- **رابعاً- حسم الصراع مع عمر بن حفصون :** حدثت فوضى ، بعد وفاة عبد الرحمن الثانى (الأوسط) استغلها عمر بن حفصون ، وراح يهدد العاصمة قرطبة ، وعندما تسلم الناصر الخلافة قضى عليه فى ٣٠٥ هـ .
- **خامساً - رد خطر الدولة العبيدية :** (الفاطمية - والعبيدية : نسبة لعُبيد الله المهدى)
- بعد قيامها فى الشمال الإفريقى ، صارت تتطلع إلى غزو الأندلس ، فقام الناصر بدرء خطرها ببناء أسطول قوى ، والتحالف مع القبائل المغربية فى عدوة المغرب .
- وقد صارت قرطبة فى عصره من أكبر مدن العالم ، وبلغ عدد المساجد فيها ٣ آلاف مسجد، وصارت شوارعها مضاءة ، فى زمن كانت فيه أكبر المدن الأوروبية تنام فى الظلام ، وعرف الناس فى زمانه فنون الطعام الراقى والملابس والغناء ، خاصة بعد قدوم زرْياب - الموسيقى المبدع تلميذ المَوْصلىّ - من بغداد .
- وتوفى الناصر ٣٥٠ هـ، بعد أن حكم ٥٠ عامًا ، أعاد فيها للأندلس مجدها القديم ، لذا **يعتبر هو المؤسس الثانى لها** ، ولم يركن إلى الراحة إلا قليلاً ، ويُروى أنه كتب بخط يده : " حكمت الأندلس ٥٠ عاماً ، لم أعرف الراحة إلا ١٤ يوماً ، وسائر الأيام قضيتها فى الجهاد والعمل لبناء الدولة والجيش " . وقد احتفلت إسبانيا بذكرى وفاته ١٩٦٠ م ، باعتباره أفضل حُكامها على مر العصور .

- **الدولة العامريــــة ، فى عهـــــد مؤسسـها**

محمد بن أبى عامر - الحاجب المنصور : (٣٦٦ : ٣٩٢ هـ - ٩٧٧ : ١٠٠٢ م)

- فى ظل الخلافة الأموية فى قرطبة ، وبعد وفاة الحاكم المستنصر ٣٦٦ هـ (٩٧٧ م) تولى ابنه : هشام المؤيد الخلافة الأموية وكان ما زال حدثـًا - كان عمره ١١ عاماً فقط - وكان محمد بن أبى عامر، محل ثقة واحترام : صُبح البشكنسية - أمّ هشام المؤيد ، التى كانت جارية بشكنسية - نافارية - للحاكم المستنصر .

- ولذلك فقد انتُدب ليكون قائماً على أملاك الأمير : هشام المؤيد ، واستطاع سريعاً أن يصل إلى سدة الحكم فى الأندلس ، ثم المتصرف فى كل شئونها .
- فكان الحاكم الفعلى للخلافة الأموية فى الأندلس ، فى عهد هذا الخليفة الأموى الصغير : هشام المؤيد بالله . وهو الذى أسس الدولة العامرية ولقب نفسه بالحاجب المنصور ، وبلغت الدولة فى عهده ذروة قوتها .
- خاض الحاجب المنصور أكثر من ٥٠ معركة بنفسه ، كان النصر دائماً فى ركابه : منها معركة ليون ٣٧٣ هـ ، التى أسر فيها ٣ آلاف وأعاد الأذان إلى جنباتها بعد انقطاع ٢٠٠ سنة ، ثم انتزع المغرب الأقصى من أيدى الفاطميين ٣٧٥ هـ ، وعين عليها والياً بربرياً هو : زيرى بن عطية المغراوى الذى استأثر بالحكم فيها ، لكن المنصور أعادها تحت لوائه ٣٦٨ هـ ، فبلغت الدولة الأموية أقصى اتساعها فى عهده .
- كما استطاع المنصور الاستيلاء على برشلونة وانتزاعها من أيدى نصارى الإسبان ٣٧٤ هـ ، ثم انتصر فى معركة " شنت يعقوب " حيث يوجد قبر رمزى ، لأحد تلاميذ المسيح يحج إليه نصارى الشمال، وقد دخلها المنصور بجيش برى ، وأسطول بحرى لمناعتها ، كما استطاع الاستيلاء على " صخرة بلاى " التى عجز جميع ولاة الأندلس عن الاستيلاء عليها .
- وله نصب تذكارى واقفاً حيث توفى فى إحدى غزواته ، فى مدينة سالم (القريبة من طليطلة) ولا يزال قبره معروفًا هناك ؛ حيث دُفن فى ساحة قصره ، ونُقش على قبره البيت التالى :

آثاره تُنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه

- **خُلفاء الحاكم المنصور :** (١٠٠٢ : ١٠٠٩م)

[وبداية عصر الطوائف ١٠٠٩م ، فى ظل الخلافة الأموية التى سقطت بعد ٢٢ سنة فى ١٠٣١م]

- لما توفى الحاجب المنصور ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) وتولى الحكم من بعده ابنه : عبد الملك ٣٩٢ : ٣٩٩ هـ (١٠٠٢ : ١٠٠٩ م) الذى بوفاته سقطت الدولة العامرية - بسبب الثورة الكاسحة فى قرطبة - ليبدأ عصر الطوائف .
- ولمّا توفى عبد الملك (المظفر) خلفه أخوه عبد الرحمن لبضعة شهور فقط ؛ حيث استولى على الخلافة ، وتلقب بالناصر ، بعد أن خلع هشام المؤيد ، وأشاع فى الناس

وفاته ، فقامت ثورة عارمة بين المُضريين (عشيرة الأمويين) وبين القحطانيين (عشيرة العامريين) قُتل فيها عبد الرحمن بن الحاجب المنصور، في عام ولايته نفسه ٣٩٩ هـ (١٠٠٩م) بعد بضعة شهور من توليه الحُكم .

- الفصل الثالث – من سقوط الخلافة الأمويّـــة فى الأندلس ، حتى خروج المُسلمين نهائيًا من الأندلس :

(وهى أربعة عُصُــور : الطـوائف – المُـرابطين – المُـوحدين – عَصر الاسترداد المسيحى وسقوط غرناطة ١٤٩٢م)

- أولاً : عصـر الطـوائـف : (١٠٠٩ : ١٠٩١م)

- إنه لمن العجب ، أن تتقلب الأندلس فى فترة وجيزة ، لا تتجاوز نصف قرن ، بين مرحلتين متباينتين غاية التباين ، ففى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، تبلغ ذروة القوة فى ظل أعاظم الرجال من أمثال : عبد الرحمن الناصر ، والحَكم المستنصر ، والحاجب المنصور، ثم تنحدر فجأة منذ أوائل القرن الخامس الهجرى ، إلى الفتن والحروب المدمرة ، لتخرج بعد ذلك وقد انفرط عقدها .
- فغدت الأندلس دولاً متفرقة متباغضة ، تقوم فى كلٍّ منها حكومة ضعيفة ، على رأسها حاكم من أهل العصبة أو الرياسة ، يسيطر لحساب نفسه على مقاديرها ، وجميعهم بغير استثناء قد تناسوا القضية الأندلسية الكبرى ، وهى العدو الرابض فى الشمال النصرانى .
- وفى سبيل الاستئثار بالسلطة والسلطان من قديم ، كان قد أوْقد عبد الرحمن الداخل ، النزعة القبلية وتتبع العصبة العربية فقضى عليها ، وكذلك فعل الحاجب المنصور (محمد بن أبى عامر) بالرغم من أن كليهما من أصلاب عربية ، ومن أعراق عربية كريمة ، وهذه النزعة فى الحكم هى التى أوجدت عوامل التفكك من قديم ، وإن توارت تحت الرماد إلى حين .
- وقد لاحت عوامل التفكك وخرجت من مراقدها ، فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، فيما عُرف **بالفتنة الكبرى** ، زمان الأمير الأموى : عبد الله بن محمد (٢٧٥ : ٣٠٠هـ)، حينما استقل عدد من الزعماء العرب والبربر بعدد من الحواضر الأندلسية .
- وقد استطاع الأمير : عبد الله بن محمد ، وحفيده الذى أعقبه فى الإمارة الخليفة : عبد الرحمن الناصر ، القضاء على جذور الفتنة ، فاشتدا فى مطاردة **القبائل العربية ، والأسر العربية ذات العصبية والرياسة** ، فقضيا عليها إلى

حين ، واصطنع الناصر بدائل من الموالى والصقالبة ، فانصرفت القبائل العربية عن الولاء للدولة الأموية .

- وكذلك فعل الحاجب المنصور لمّا آلت إليه السلطة والسلطان ، فقد واصل التخلص من القبائل العربية ، واعتمد على البربر ، وامتد هذا الاعتماد إلى عُمّاله على المغرب ، فتوارت القبائل العربية كما توارت من عهد الداخل والناصر ، ولبثت فى مكامنها من بعيد ، ترقب ما يجرى وتتحين الفرص للظهور .

- وحتى العناصر التى اعتمد عليها المنصور ، فى تدعيم حكمه ، كانت تتربص ببعضها البعض، كالبربر والفتيان العامريين من **الصقالبة** :

وهم فى الأصل أسرى من السُّلاف اشتراهم النخاسسة اليهود فى سن الطفولة ، وقاموا بخصى جزء منهم ، فى معامل يهودية فى فرنسا ، ثم علموهم العربية ، ولقنوهم الإسلام - الفحول منهم والخصيان - توطئة لبيعهم فى أسواق الأندلس ، وقد بلغوا بعد ذلك شأوًا بعيدًا فى الحكم ، فكان منهم الوزراء، كما كان منهم العديد من قادة الجيوش ، وكان الخصيان منهم يعملون فى القصور الملكية فى أجنحة الحريم .

- ففى عصر عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) ، اشتهر : **نصر الصقلبى** ، الذى قاد الجيش ضد النورمان ، وفى عهد عبد الرحمن الناصر ، اشتهر : **نجدة الصقلبى** ، الذى قاد الجيش ضد ملك ليون ٣٢٧ هـ، ولما انهارت الخلافة الأموية ، فرّ الصقالبة إلى شرق الأندلس؛ حيث قامت لهم دويلات صقلبية : **مجاهد العامرى** ، حاكمًا على ولاية دانية ، **ولبيب الصقلبى**، حاكمًا على طرطوشة ، **ومبارك ومظفر** حُكامًا على بلنسية ، **وخيران وزهير** ، حُكاماً على المرية .

- وكان الأمويون يميلون إلى مواليهم الصقالبة ، ويكرهون البربر الذين ساندوا الحاجب المنصور فى الاستيلاء على الحكم ، وكانت البطون العربية بالطبع تكره البربر والصقالبة معاً . فلما حلت الفتنة وجاءت الفوضى بوفاة الحاجب المنصور ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) ظهرت من وراء الحُجب ، القوى الأربع : الأمويون والقبائل العربية ، والبربر والصقالبة .

- ولم يصبر بنو أمية طويلاً فى الصراع على الحكم بعد سقوط الدولة العامرية ٣٩٩ هـ ، فحتى ٤٠٧ هـ ، تولى الخلافة ثلاثة خلفاء ، ثم انتزعها منهم بنو حمود لمدة قصيرة، ثم عاد خلفاء بنى أمية للحكم ٤١٤ : ٤٣٢ هـ ، المرتضى والمستظهر والمستكفى ، ثم الأخير المعتمد هشام الذى بالثورة عليه فى قرطبة وخلعه ٤٢٢هـ (١٠٣١ م) ، بزعامة أبى الحزم بن جَهْور سقطت الخلافة الأموية نهائياً، وهى التى شادها عبد الرحمن الداخل ١٣٨هـ (٧٥٦م) لتُعمّر ٢٨٤ عامًا .

- ثم تواجهت العَصَبة العربية والبربر ، فاستطاع البربر السيطرة على الجنوب وأن يقيموا مُلكًا ، وأكثر من ذلك فقد استولوا على الخلافة - بنو حمود - فى قرطبة وإشبيلية ومالقة وغرناطة ، فلما انتهت دولتهم ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) بعد خُسارتهم الكبيرة فى قرطبة ، بسطت القبائل العربية سلطانها جنوب نهر الوادى الكبير ، فربحت بذلك القبائل العربية الحواضر الكبرى فى الأندلس كله .

- وهكذا ، فبنهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، صار على ثرى الأندلس ٢١ دولة صغيرة متباغضة ، يترأسها قادة وقضاة من عصر الخلافة ، جميعهم يسعى لتأسيس مُلك عضود يكون فى الأعقاب .

- والواقع أن تاريخ الطوائف يبدأ منذ سقوط الدولة العامرية ٣٩٩هـ (١٠٠٩م) ، ذلك أن قيام الخلافة الأموية فى أعقاب الفتنة لم يتعد قرطبة ولفترة قصيرة ، وفى هذه الفترة كانت الدولة الحمودية البربرية ، قد قامت فى قرطبة وإشبيلية ومالقة والجزيرة الخضراء ، وكذلك دولة بنى مُنادٍ البربرية فى غرناطة ، فسيطر البربر على غالبية جنوب نهر الوادى الكبير ، بيد أن هذه الدول البربرية ، ظلت على ولائها للخلافة ، حتى سقوطها بعد نحو عقدين فى ١٠٣١م .

- وكانت أشهر دول الطوائف ثلاث :

١- بنو جَهْور فى قرطبة .

٢- وبنو عبّاد فى إشبيلية .

٣- بنو الأفطس فى بطليوس .

١- بنو جَهْوَر فى قرطبة :

- غدت قرطبة لأول مرة بغير خلافة ولا حكومة ، فاختاروا الوزير : أبا الحزم بن جهور حاكمًا عليهم ، وهو الذى ينتمى إلى بيت من أعرق بيوتات الموالى الأندلسية (الموالى : المسلمون من غير العرب) فكان جده الأعلى فارسياً ، وكان أحد موالى الخليفة الأموى : عبد الملك بن مروان ، وكان من أنصار عبد الرحمن الداخل ، فولاه حجابته - رئاسة الوزارة - ثم تولى القيادة فى عهد ولده هشام .

- ألفى ابن جهور نفسه رئيساً لحكومة قرطبة ، فوطد الأمن واستمال زعماء البربر ، وفرق السلاح فى الناس، حتى يستطيعوا الدفاع عن مدينتهم ، فلما استتب الأمن فى قرطبة تحقق الرخاء فيها .

- ولقد نجحت حكومة قرطبة فى إدارة البلاد نحو ١٢ عاماً ، حتى صارت واحة للأمن ، فلجأ إليها الزعماء الهاربون من دول الطوائف الأخرى ، بعد أن انتُزعت منهم دولهم [لقد استولى بنو عباد وحدهم - مملكة إشبيلية - على ١١ دولة من دول الطوائف المجاورة ، وضموها إلى دولتهم ، قبل أن يستولى عليها المرابطون] .

- توفى أبو الحزم بن جهور بن محمد فى ٤٣٥هـ (١٠٤٤م) فخلفه أبو الوليد محمد بن جهور، وكان من معاونيه المؤرخ الكبير : أبو مروان بن حيان ، والكاتب والشاعر الوزير : أبو الوليد بن زيدون ، الذى اشتهر بروائع نظمه ، وهو الذى هام طويلاً فى حب : ولادة بنت المستكفى، الخليفة قبل الأخير فى سلسلة خلفاء بنى أمية (الأخير هو : هشام المعتمد الذى بعزله سقطت الخلافة الأموية سنة ١٠٣١م).

- كانت ولادة قد ظهرت فى مجتمع قرطبة الأدبى، بصالونها الذى كان يزدان بشعرها ، وكان ابن زيدون عاشقًا لها ، فأشعل بشعره فيها نوعًا من الفضيحة فى مجتمع قرطبة ، فسخط عليه ابن جهور ووضعه فى السجن ، فهرب ولحق بالمعتضد بن عباد فى إشبيلية، فولاه إحدى وزاراته ٤٤١هـ (١٠٤٩م) ولا بأس من أن نستروح قليلاً مع العاشقين التاريخيين ، قال الصّبُ وهو يتعجّل لقاءها :

أضحى التنائى بديـلاً عـن تدانينـا ... ونـاب عن طِيب لقيانا تـجـافينـا
بالأمـس كنـا وما يُخشى تفرقنـا ... والآن نحن ومـا يُـرجى تـلاقينـا
بِنْتُم وبِنّـا فمـا ابتلـت جوانحنـا ... شـوقا إليكـم ومـا جفـت مآقينـا
لا تحسبـوا نأيكـم عنّـا يُغيّرنـا ... أنْ طالمـا غيّر النأى المُـحبّينا
ويا نسيم الصّبـا بلّـغ تحـيتنـا ... منْ لوْ كان على البُعد حيًا كان يُحيينا
إن كان قد عز فى الدنيا اللقاء بكم ... فى مـوقف الحشر نلقاكم وتلقونا
لكِ منّا سلام اللـه مـا بقـيَـتْ ... صبابة بِكِ نُخفيـها فتُـخـفـيـنـا

فراحت ولاّدة تصدّه ثم تستجديه ، بل تُغريه بها :

أنـا والله أصلـح للـمـعـالى ... وأمشـى مـشيـتى وأتيـه تِيها
وأمَكّن عاشقى من صَحْـن خـدّى ... وأعطـى قُبلتى مـن يشتـهيـها

ثم انبرت تعتب عليه نزواته :

لو كنتَ تُنصف فى الهوى ما بيننا ... لم تهـوَ جاريتى ولـم تـتخيّـر
وتـركـتَ غُصـنًـا بجمـالـه ... وجنحت للغصن الـذى لم يُثمر
ولقـد علمـتَ أنّنى بـدْرُ السّمَا ... ولكن ولعتُ لشقوتى بالمشترى

وسبحان الله وحده ، مُصرّفُ القلوب !

- هذا إلى أن سقطت قرطبة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) فى يد المعتمد بن عباد ، وانتهى فيها حكم آل جهْور بعد حكم دام ٤٠ عاماً ، وباستيلاء المعتمد عليها ، فقد المأمون بن ذى النون – مَلك طليطلة - الأمل نهائيًا فى الاستيلاء عليها .

٢ - بنو عباد فى إشبيلية :

كانت مملكة إشبيلية ، أهم ممالك الطوائف منذ انهيار الدولة العامرية ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م)، وبينما كانت الفوضى تعم قرطبة العاصمة ، كان قاضى قرطبة : أبو الوليد إسماعيل بن عباد، يعمل فى هدوء للاستئثار بالحكم .

- وابن عباد هو قاضى أشبيلية منذ زمان الحاجب المنصور ، وهو ينتمى إلى بيت عربى أندلسى، وكان فى الفترة التى تتردد فيها خلافة الحمّوديين البربر ، بين قرطبة وإشبيلية ، يعمل على تدعيم رياسته ، وحماية المدينة من عبث البربر وأطماعهم ، لإبعاد المدينة عما صارت إليه قرطبة ، من الفتن والفوضى فى ظل البربر .

- وابن عباد لخمى النسب من أهل حمص بالشام ، وقيل إنه من نسل النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ولا تعارض بين الرأيين ، فالنعمان لخمى من بنى نصر ، ولقد نفع ابن عباد نسبه العريق ، كما نفعه ماله الوفير ، وحنكته فى استمالة الزعماء ، فى الوقت الذى كان يخفق فيه علم الخلافة البربرية بين قرطبة وإشبيلية .

- ولقد اجتمع أهل إشبيلية على رئاسة القاضى : أبو القاسم بن عباد فى أواخر ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م)، وبذلك انتهت رياسة البربر - بنى حمود - فى إشبيلية كما انتهت فى قرطبة .

- **غدا القاضى : أبو القاسم بن عباد** ، حاكم إشبيلية وقاضيها ، فجمع السلطة فى يده بحكمة بالغة ، وعمد إلى حشد الرجال والسلاح وشراء العبيد ، تحسّبا لما تأتى به الأيام ، ثم اتجه إلى التوسع فى الغرب ، فاستولى على قرمونة ، واستجة وأشونة ، ثم توفى ٤٣٣ هـ (١٠٤٢م) ، وكان صاحب طموح عظيم ، لكن الأيام لم تمهله ، وكان من نظمه فى هذا الشأن :

ولا بد أن أسود على الورى ... ولو رُدّ عَمْروٌ للزمان وعامر
فما المجد إلا فى ضلوعى كامن ... ولا الجود إلا فى يمينى ثابر
يجيش العلا من جنبى جايلٌ ... وبحرُ النّدى أسيرُ كفى زاخر

- ولى الأمر من بعده ولده المعتضد : أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل ،

وكان صارمًا فقتل بعض وزراء أبيه ، حتى لا تقوم لأحد من ذوى العصبات قائمة ، ثم وضع خطته للاستيلاء على غرب الأندلس ، من الوادى الكبير حتى المحيط .

- وفى سبيل ذلك استولى المعتضد على لبلة ٤٤٥ هـ (١٠٥٣ م) بعد سلسلة طويلة ورهيبة من الحروب ، ثم طور هجومه واستولى على ولبة ، ثم جزيرة شلطيش الواقعة فى المحيط مقابل مصب نهر أوديل ، ثم إمارة شنتمرية الغرب الواقعة على المحيط جنوب البرتغال حالياً ، ثم استولى على مرتلة ثم شلب التى كان يحكمها بنو مُزيْن (جنوب البرتغال حالياً) .

- وبعد أن استولى المعتضد فى نحو ٢٠ عامًا فقط ، على كل إمارات الغرب الأندلسى ، اتجه إلى الإمارات البربرية شرقى الوادى الكبير ، وهم الذين كان المعتضد يكتسب - دائمًا - مودتهم بالعطايا والهدايا ، فكان محل ثقتهم .

- ففى سنة ٤٤٥ هـ ، دبر المعتضد مذبحة لهم ، على شاكلة مذبحة القلعة، التى رتبها : محمد على باشا الكبير ، للمماليك فى مصر مطلع القرن التاسع عشر الميلادى ، فدعاهم المعتضد لزيارته فى إشبيلية ، فلبى دعوته أصحاب رندة ومورو وأركش ، فغدر بهم ثم استولى على إماراتهم ، وطور هجومه عليهم ، فاستولى بعد ذلك على شذونة فى ٤٥٩ هـ (١٠٦٧ م) .

- وكان المعتضد قد استولى على ثغر الجزيرة الخضراء فى ٤٤٦ هـ (١٠٥٤م) ، التى كانت فى إمارة القاسم بن محمد بن حمود ، فطوقها المعتضد من البر والبحر حتى اضطرت إلى التسليم ، فأضحت بذلك مملكة إشبيلية فى حكم المعتضد ، أكبر ممالك الأندلس وأوسعها وأقواها وأكثرها ثراءً .

- وكان المعتضد غليظًا قاسيًا حتى مع ولده ، الذى دفعه لعصيانه والتآمر عليه ، فى قصة بالغة الغرابة ، انتهت بقيام المعتضد بنفسه ، بقتل ولده إسماعيل ، فكانت مأساة مروعة ، اهتزت لها الأندلس كلها . وهى ليست أول حادثة من نوعها فى الأندلس ، فقبل ذلك بنحو سبعين عامًا ، قتل الحاجب المنصور ولده عبد الله ، ومن قبلها بقليل ، قتل عبد الرحمن الناصر ولده عبد الله .

- وهو أى المعتضد ، صاحب حديقة الرؤوس المُحنطة ، فقد كان يحتفظ برؤوس أعدائه، الذين يقتلهم فى ميادين القتال، بعد أن يستولى على ممالكهم ،

وهى الرؤوس التى عثر عليها المرابطون ، عند استيلائهم على مملكة ابن عباد ، فسلموها للأحياء من ذويهم .

- وتوفى المعتضد بعد حكم دام ٢٨ عامًا ، فى ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) فخلفه ولده المعتمد : محمد بن عباد، وكان فى الثلاثين من عمره ، عفيفًا عن السعايات والدماء ، لكنه صاحب الخطأ السياسى الفادح ، الذى ترتبت عليه محنة الأندلس كلها ، وهو سقوط طليطلة ، وما تلاه من أحداث جسام ، كما كان محبًا للهو، معاقرًا للخمر .

- وكان للمعتمد فى مجالس الأنس واللهو ذكريات لا تنسى ، كان يقول فيها من نظمه :

فكم ليلة قد بت أنعم جنحها ... بمُخصبة الأرداف مُجدبة الخِصر

وباتت تسقينى المُدام بلحظها ... فمِنْ كأسها حينًا وحينًا من الثغر

- وكانت أول أعمال المعتمد هى الاستيلاء على قرطبة ، وضمها إلى مملكته ، بعد أن استنجد به أميرها : عبد الملك بن جهور ، من تهديد المأمون بن ذى النون حاكم طليطلة ، فغدر بالمأمون وقام بضم قرطبة بنفسه ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م) بعد مصرع ولده : سراج الدولة فيها .

- ولعل أكثر ما شغل المعتمد هو مملكة غرناطة البربرية ، التى كانت تتقاطر عليها الهجرات البربرية من عُدوة المغرب بحثًا عن الرزق ، وهى قبائل لم تكن راسخة فى فهم تعاليم الإسلام، بعيدة عن تراث العربية وثقافتها ، ويؤثرون التمسك ببداوتهم فى مجتمع غرناطة، التى يمثلها بلاط حاكمها البربرى : باديس بن حبوس الصنهاجى .

- وبعد وفاة باديس ٤٦٥هـ (١٠٧٣م) استولى المعتمد على جيان فى ٤٦٦هـ (١٠٧٤م) ، وهى أهم قواعد غرناطة ، فلم يبق سوى غرناطة وما حولها ، وكان يحكمها : عبد الله بن بلقين، ثم فتح المعتمد مرسية ٤٧١هـ (١٠٧٨م)، كما استولى على معظم أراضى طليطلة الجنوبية الشرقية .

ولقد ظل المعتمد يؤدى الجزية لملوك قشتالة، كما كان يؤديها لهم أبوه المعتضد.

- وبعد سقوط طليطلة المُروّع ، أجمع ملوك الطوائف على دعوة أمير

المرابطين : يوسف بن تاشفين لنجدتهم - عدا ابن صمادح ملك ألمرية ، ربما لبعده عن خط المواجهة مع النصارى فى الشمال ، وارتيابه فى نوايا المرابطين وأطماعهم - وقيل إن المعتمد قد عبر إليه بنفسه، وتنازل له عن ثغر الجزيرة الخضراء ، لتستقبل حشود المرابطين المقبلة ، من ميناء سِبْتة المرابطى .

وقيل إن الرشيد وَلَدُ المعتمد ، قال لأبيه :

" يا أبت أتُدخل علينا فى أندلسنا من يسلبنا مُلكنا "،

فقال المعتمد لولده :

" أىْ بنى والله لا يُسمع عنّى أبدًا ، أنى أعدت الأندلس دار كفر ، فتقوم علىّ اللعنة فى الإسلام ، حِرْزُ الجمال عندى ، خير من حرز الخنازير "

يقصد المعتمد : رَعْى بعير المرابطين ، ولا رعى خنازير قشتالة .

- فعبرت قوات المرابطين إلى الأندلس ، والتقت بقوات ألفونسو السادس ، فى موقعة الزلاقة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م)، التى انتصر فيها الإسلام انتصارًا مدويًا بقيادة أمير المرابطين : يوسف بن تاشفين ، فتأخر سقوط الأندلس ٤ قرون .

٣ - بنو الأفطس فى بطليوس :

- تقع مملكة بطليوس شمال مملكة إشبيلية التى يحكمها بنو عباد ، وغرب مملكة طليطلة التى يحكمها بنو ذى النون ، وتمتد حتى المحيط الأطلسى أى معظم البرتغال الحالية .
- وينتمى بنو الأفطس وهم حكامها إلى : أبو محمد عبد الله بن مُسلم ، الذى كان يُعرف بابن الأفطس ، وتلقب بالمنصور ، بعد أن استولى على مُلك القاصرين : عبد الملك وعبد العزيز ، ولدىْ سابور ، الذى تركهما صغارًا، وأوصى بهما ابن الأفطس ، فلما غدر بهما غادرا بطليوس إلى ثغر لشبونة . ثم توفى المنصور ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) ، فخلفه ولده محمد وتلقب بالمظفر .
- نشأت بين بنى الأفطس وبنى عباد ، عداوات شديدة وحروب مروعة ، بشأن الاستيلاء على الإمارات المجاورة ، انتهت بعقد الصلح بينهما بتدخل الوليد بن جهور حاكم قرطبة ٤٣٣هـ (١٠٥١م) .

- اتجهت أنظار فرناندو (فرديناند) ملك قشتالة ، إلى ممالك الشمال الإسلامية ، ومنها مملكة بطليوس ، فاستولى على مليقة (لاميجو) وبازو فى ٤٩٩هـ (١٠٥٧م) وسبا جميع سكانها المسلمين وأسكن النصارى بيوتهم . ثم استولى فرناندو على مدينة قلمرية ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) بعد حصار طال إلى ٦ شهور ، وأسر حاميتها ومعظم سكانها المسلمين .
- توفى فرديناند ١٠٦٥م وخلفه ولده ألفونسو ، فتحول بالعدوان إلى طليطلة - بنى ذى النون - وإشبيلية - بنى عباد - ثم توفى المظفر بن الأفطس٤٦١هـ (١٠٦٨م) ، فخلفه ولده يحيى وتلقب بالمنصور .
- توفى المنصور فجأة فخلفه أخوه عمر وتلقب بالمتوكل ، وكان كأبيه المظفر عالماً وأديبًا وشاعرًا ، وكذلك كان بلاطه : جامعة أدبية ، كما كانت مدينة بطليوس فى عهده دار أدب وعلم وشعر ، وكان من بين وزرائه ، الشاعر الكبير : عبد المجيد بن عبدون .
- كانت ضغوط ألفونسو السادس ، على طليطلة مستمرة لم تنقطع لاستصفاء مواردها أولاً بأول ، تمهيدًا لتحقيق مشروعه الضخم ، بالاستيلاء عليها ، ولم يجد ملكها القادر بن ذى النون من يساعده دائمًا ، فى التصدى لملك قشتالة ، سوى **المتوكل عمر بن الأفطس** ، الذى انفرد بتقديم العون له ، خاصة أثناء الحصار الذى سقطت فيه طليطلة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) وهو أى عمر المتوكل ، الوحيد الذى رفض دفع الجزية لألفونسو أو التحالف معه .
- وبعد سقوط طليطلة ، اهتزت الأندلس كلها بقوة، ورُوّعت ، وتحول ملوك الطوائف جميعًا - عدا بن صمادح حاكم ألمرية ، لأنها ليست من دول المواجهة - على قلب رجل واحد ، لاستدعاء المرابطين .
- لقد كان عصر الطوائف كما رأينا ، عصر انحلال سياسى ، كما كان عصر تفكك اجتماعى فكانت كل دوله تنقصها عناصر الاستقرار ، أقرب إلى عصبة الأسرات القوية ، أو القبائل والبطون ، وقد تخاذلت جميع دوله ، ولم يقم منهم أحد بنجدة طليطلة ، سوى مملكة بطليوس ، لكون ملكها عمر بن الأفطس كان حُرًا من قيود ألفونسو .
- ولم يتحرك ما بقى من ملوك الطوائف ، لنجدة طليطلة ، طيلة شهور الحصار التسعة ، ذلك الحصار الطويل الذى كان ينبغى أن يكون طوله ، سببًا للتعقل

والمراجعة للإقدام على نجدتها ، وفك حصارها ، والتحرر من مذلة الجزية لألفونسو ملك قشتالة ، التى كانت تستصفى أموالهم .

- كانت سياسات ملوك الطوائف الخارجية والداخلية ، موضع سخط رعاياهم ، فقد كانوا يثقلونهم بالضرائب والمغارم ، لتحقيق بذخهم وإسرافهم ، هذا بالرغم من نصح المفكرين الكبار ، من أمثال الفيلسوف العظيم : ابن حزم ، والمؤرخ الكبير : ابن حيّان وغيرهما .

- لقد سادت فى عصر الطوائف الفوضى الأخلاقية والاجتماعية ، حتى طالت الفقهاء أنفسهم، فكانوا يجتهدون فى تبرير السلوك المشين لملوك الطوائف ، وكما يقول العلامة أ. محمد عبد الله عنان : " كانوا يأكلون على كل الموائد" ، فانهارت معايير الأخلاق ، واختلط الحلال بالحرام وجاهر الناس بالمعاصى والذنوب .

- وبالرغم من الانحلال الذى ساد المجتمع الأندلسى ، فقد كان الكثير من الملوك من حُماة الآداب والعلوم ، كما كان الكثير من الملوك أنفسهم من العلماء والأدباء والشعراء ، وعلى التحديد كانت هناك ثلاثة قصور ، عملت على ترويج النهضة الأدبية والشعرية ألا وهى : بلاط بنى عباد فى إشبيلية ، وبلاط بنى الأفطس فى بطليوس ، وبلاط بنى صمادح فى ألمرية .

- لقد كانت أسرة بنى عباد بخاصة أسرة متميزة ، نبغت فى ميدان الشعر والأدب ، وبخاصة المعتضد وولده المعتمد : الذى كان واحدًا من أشعر شعراء الأندلس ، ولذلك انتظم فى بلاطهم الأدباء والشعراء والعلماء ، فكان منهم الوزراء والمستشارون ، كالوزير : أبو بكر بن عمار ، وأبو بكر بن محمد بن عيسى ، والشاعر الوفىّ : أبو بحر بن عبد الصمد، الذى زار المعتمد فى سجنه فى أغمات بعُدوة المغرب ، كما زاره هناك بعد وفاته ، وأنشد فيه المرثيات الطوال وهو واقف بقبره ، وهذا مطلع لإحدى مراثيه التى أنشدها ، والجماهير حوله قد احتشدت تبكى بالدمع الهتون :

ملك الملوك أسامعٌ فأنادى — أم قد عدتك عن السماع عواد
لمّا خلت منك القصور ولم تكن — فيها كما كنت فى الأعياد
أقبلتُ فى هذا الثرى لك خاضعا — واتخذتُ قبرك موضع الإنشاد

قد كنت أحسَبُ أن تُبْردَ أدمعـــى   نيران حُزنٍ أضــــرمت بفــؤادى
فـإذا بـدمعى كلـــما أجــريتـــه   زادت علىّ حـــــرارة الأكبـــاد

- كما كان من وزرائه الشاعر ، أبو الوليد بن زيدون ، شاعر الحب ، الذى كان مُتيّما بولادة بنت المستكفى ، الخليفة التاسع وقبل الأخير فى سلسلة خلفاء بنى أمية فى الأندلس . كانت ولاّدة ابنة جارية نصرانية ، وكانت فائقة الجمال كأنها بدر السماء ، وكان مجلسها - صالونها الأدبى - منتدى لشعراء العصر ، وبالرغم مما كان من حب بينهما ، فقد تزوجت وزيرًا من خصوم ابن زيدون . وتوفى ابن زيدون ٤٦٣هـ (١٠٧١م) .
- وإلى جانب الأدباء والشعراء فقد بزغ نجم المفكرين والفلاسفة ، أشهرهم ولا ريب العلامة : أبو محمد على بن حزم ، الذى برع فى الفقه والعلوم الدينية والشرعية والمعرفة بالسير والأنساب، والفلسفة واللغة ، وهو صاحب "طوق الحمامة و" جمهرة أنساب العرب" ، و" تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل "، و"المِلل والنّحل" ، وهو ولا ريب إمام أهل الظاهر، وقد توفى فى ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) .
- ولقد امتدت بالطبع هذه النهضة الفكرية والأدبية إلى عصر المرابطين ، ولمعت شخصيات عظيمة ، مثل : الفتح بن خاقان ، صاحب كتابىْ "القلائد" و "المطمح"، وابن باجة الطبيب والفيلسوف ، والمؤرخ ابن حيان ، صاحب " المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس " ، وابن بسام الشنتيرى ، صاحب " الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة "، وابن عبدون، صاحب " القضاء والحسبة " .
- كذلك ازدهرت فى عصر الطوائف ، كافة الفنون والصناعات ، كصناعات الحديد والنحاس والزجاج والنسيج ، وقد كانت فى ثغر ألمرية وحدها ، خمسة آلاف نول تنتج أفخم الأقمشة ، كانت تصدر فائض الأندلس إلى ثغور البحر الأبيض المتوسط ، كما تقدمت الزراعة وعلومها، فتحولت وديان الأندلس إلى مروج خضر .
- وهكذا كانت دول الطوائف ، على ضعف بنائها العسكرى والسياسى والاجتماعى ، قد قدمت للحضارة الإنسانية ، قبل سقوطها فى أيدى المرابطين

تراثًا حضاريًا وماديًا عظيمًا .

- وبالرغم من أن الأندلس فى ظل المرابطين والموحدين ، قد استردت تفوقها العسكرى فى شبه جزيرة أيبيريا ، فإنها لم تستطع أبدًا أن تسترد وحدتها الإقليمية القديمة ، وإنما صارت تنكمش رقعتها الإقليمية تدريجيًا ، حتى إذا كان منتصف القرن السابع الهجرى - منتصف القرن الثالث عشر الميلادى - [وهو يقابل سقوط بغداد فى المشرق فى يد المغول ٦٥٦هـ (١٢٥٨م)] ، رأينا رقعة الأندلس ترتد إلى ما وراء الوادى الكبير ، وتنحصر فى مملكة غرناطة الصغيرة ، وغدت حواضر الأندلس الكبرى فى يد ملك قشتالة .
غرناطة الصغيرة ، وغدت كل قواعد الأندلس الكبرى فى يد ملوك قشتالة .

- **ثانيًا - عصــر المُرابطيــن :** (فى الأندلس ١٠٩١ : ١١٤٥ م)
(عصر دولة المرابطين فى أفريقيا والأندلس ١٠٦٠ : ١١٤٥م)
- كانت جُدالة تقطن فى الجنوب الموريتانى ، وكانت قد دخلت فى الإسلام منذ قرون وكان يرأسها زعيمها السياسى : يحيى بن إبراهيم ، وكان رجلاً بعيد النظر واسع الأفق مُحبًا لقومه غيورًا عليهم ، قد هاله ما هم فيه وما يأتون - بالرغم من شدة إيمانهم - من جهل بأحكام الشريعة : فكانوا على غير علم يتزوجون أكثر من أربعة ، ويعاقرون الخمر، ويأتون الزنا ، ويقطعون الطرق، وغير ذلك مما يخالف حكم الله . وسنواصل سيرة الرجلين العظيمين ، عند الحديث عن بناء الدولة المرابطية .
- والمرابطون - على ما سيأتى - هم دولة بربرية (أمازيغية) إسلامية ، حكمت **المغرب الأقصى والأندلس فى الفترة ٤٥٢ : ٥٦٩ هـ (١٠٦٠ : ١١٤٧م)** أى لم يمتد عمرها حتى إلى قرن واحد ، لكن امتدت مساحتها شاسعة ، من عمق الأندلس شمالاً عبر المغرب الأقصى إلى جنوب الصحراء المغربية حتى غانا ، وهى الدولة التى شادت ٤٧٥هـ ١٠٨٢ م مدينة مُرّاكش عاصمة لها .
- **موريتانيــا منبت الدولة المرابطية :**
- انطلاقًا من مدينة التيدرة بموريتانيا ، بدأ المرابطون نشر دعوتهم ، بين القبائل الأمازيغية الصنهاجية ، ولقد تغلغل المرابطون فى جنوب نهر السنغال فاصطدموا بمملكة غانا فى سلسلة حروب انتهت باستيلاء المرابطين عليها ٤٣٦ هـ (١٠٤٥ م) وبهذا الانتصار وضع المرابطون حدًا لسيطرة غانا الاقتصادية والعسكرية ، وأسلم الكثير من أهلها ، ورحل البعض إلى مالى وأنشأوا مملكة جديدة هناك .
- كما نشر المرابطون دعوتهم ، بين الأفارقة بمناطق جنوب الصحراء ، فاعتنقت الإسلام قبائل التكرور فى ٤٤٦هـ (١٠٥٤م) - وهى ولاية صغيرة تقع حاليًا فى السنغال - وفى سبيل سيطرة المرابطين على طرق التجارة ، التى تعبر الصحراء ، قام المرابطون ٤٤٧هـ (١٠٥٥م)، بإخضاع أوداغست فى الجنوب ، وسجلماسة فى الشمال .
- **بناء الدولة المرابطية :**
- عَرفت دولة المرابطين مراحل عديدة فى تشكيلها ، وكان المؤسس الحقيقى

لها ، هو زعيمها السياسى النابه الغيور على قومه : يحيى بن إبراهيم الجدالى ، والفقيه المالكى : عبد الله بن ياسين الجزولى ، وكلا الرجلين من أصل صنهاجى .

- وترجع بداية الحركة المرابطية كما أسلفنا ، إلى يحيى بن إبراهيم الجدالى ، الذى ساءه أن يرى قومه على جهل بأحكام الشريعة ، فترك مواطنه الأولى ، وأخذ يطوف بمراكز الدعوة الإسلامية بالمغرب الأمازيغى ، لعله يجد فيها من يتولى هداية قومه وإصلاح حالهم .
- وفى مدينة القيروان اتصل يحيى بأحد أقطاب المالكية ، وهو الفقيه : أبو عمران الفاسى ، فشرح له أحوال الناس فى بلاده ، وكيف يقتصر إسلامهم على الشهادتين مع رغبتهم فى التفقه ، ولكن انعزالهم يحول دون تحقيق هذه الرغبة .
- وسأله أن يوفد معه أحد تلامذته للقيام بهذه المهمة ، فحمّله أبو عمران ، رسالة إلى أحد تلامذته القدامى : واجاج بن زللو اللمطى ، وكان قد أصبح فقيهًا مرموقًا ، فى بلاد نفيس بالمغرب الأقصى، وعلى مقربة من الصحراء عثر يحيى بن إبراهيم على ضالته المنشودة ، متمثلة فى : عبد الله بن ياسين ، الذى قبل التصدى لهذه المهمة ، وكان عمره لا يزيد على ٢٠ عامًا .
- كان عبد الله بن ياسين : شخصية قيادية بطبيعتها ، عالىَ الهمة واسع الصدر ، تلك الصفات التى أهلته لحمل رسالته الإصلاحية ، وقيام دولة إسلامية كبرى ، كان لها عظيم الشأن فى التاريخ الإسلامى ، فأخرت سقوط الأندلس ٤٠٠ عام وأكثر .
- بعد أن نظم عبد الله بن ياسين ، جوانب الدعوة وحقيقة التوحيد والعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية ، تفرغ إلى الجانب الاقتصادى؛ حيث راح ينظم أداء الزكاة وأداء العشور، وأنشأ من أجل ذلك بيتًا للمال .
- **<u>استشهد</u> يحيى بن إبراهيم فى إحدى المعارك** ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) فتولى الزعامة السياسية من بعده وقيادة الجيش : أبو بكر بن عمر اللمتونى ، فبدأ المرابطون تحت إمرته، نشر الدعوة خارج الصحراء الموريتانية ، فأخضعوا جبال الأطلس فى الشمال ثم انتصروا على البرغواطيين، وكانت بينهم مواجهات شديدة هلك فيها من الطرفين خلق كثير ، وفى ظل هذا التوسع

الكبير شمالاً ، وفى إحدى المعارك استشهد **فقيه الدعوة المرابطية : عبد الله بن ياسين** .

- لمّا ظهرت الثورات فى الجنوب وتفاقمت الفتن ، اضطر أبوبكر بن عمر ٤٥٧ هـ (١٠٦٥م) إلى تقسيم الجيش إلى قسمين : قسم يرابط فى الجنوب لقمع الثورات ومتابعة الدعوة ، وقسم للشمال يتولى الفتوح وإخضاع قبائله .
- اتجه أبو بكر بن عمر ، بالقسم الأول من الجيش إلى الجنوب ، وعهد بقيادة جيش الشمال **إلى ابن عمه : يوسف بن تاشفين** ، وأوصاه بالتوغل شمالاً وإخضاع أراضيه وحواضره ، ويُعتبر هذا الظهور ليوسف بن تاشفين ، على المسرح السياسى والعسكرى للمرابطين تحولاً كبيرًا فى التاريخ المرابطى .
- كان قد ظهر نجم يوسف كقائد محنك فى معركة الواحات ٤٤٨ هـ (١٠٥٦م) وبعد فتح سجلماسة التى تولى حكمها ، فأظهر براعة إدارية وتنظيمية فى شؤونها ، وقام بالزحف على أغمات التى كانت مركزًا للنصرانية القديمة ، والأمازيغ المتهوّدين ، وشارك فى المعارك ضد برغواطة .
- بصعود يوسف بن تاشفين، خاصة بعد وفاة أبو بكر بن عمر ٤٦٠هـ (١٠٦٨ م) بدأ التحول العظيم فى الدعوة المرابطية؛ حيث بدأت مرحلة التمكين للدولة المرابطية ، فأخضع يوسف تحت إمرته جميع الجيوش المرابطية ، بصفته القائد الأعلى ، وأميرًا على جميع البلاد ، الواقعة من المغرب الأقصى وموريتانيا حتى غانا ، وفى سنة ٤٥٤هـ (١٠٦٢م) ، شاد يوسف مدينة مُرّاكش عاصمة لدولته .
- **الدولة المرابطية تحت قيادة يوسف بن تاشفين** :
- وبصعود يوسف بن تاشفين إلى قمة الدولة المرابطية وقيادة الجيوش ، بدأت مرحلة التوسع العسكرى ، ففى الفترة ٤٥٤ : ٤٧٤هـ (١٠٦٢ : ١٠٨١م)، انتزع يوسف المغرب الأقصى من أيدى الزناتيين ، ودخل مدينة فاس صلحا ٤٥٥هـ (١٠٦٣م)، وبذلك كسر شوكة مغراوة وسائر زناتة .
- بعد انتصارات يوسف ، استدعى شيوخ وأمراء المغرب ، من قبائل زناتة ومصمودة وغمارة ، فبايعوه على الإمارة ، فصار يطوف البلاد ويتفقد الرعية ،

ويعزل الولاة والحكام الذين يسيئون السيرة ، وقضى فى حزم على كل ما يؤثر على استقرار الحكم والخروج على سلطان الدولة .

- فتح طنجة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) ، بعد أن أسند القيادة إلى صالح بن عمران ، كما طارد زناتة حتى رحلت إلى تلمسان ، ثم ارتد بجيوشه إلى وهران ، فدخل مدينة الجزائر وبنى مسجدًا هناك، وتوقف عند حدود بجاية ، ثم فتح مدينة سِبتة بعد حصار برىّ طويل ، عاونه فى حصارها بحرًا أسطول المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، ليُعجل عبور قوات المرابطين إلى الأندلس ، وبفتح سبتة اكتمل بناء الدولة المرابطية فى عُدوة المغرب .

- كان قد أعلن عبد الرحمن الناصر فى الأندلس ، الخلافة الأموية بعدما أصاب الخلافة العباسية فى بغداد من ضعف ، وفى ٤٠٠هـ (١٠١٠م) ، وبعد أن هوت الخلافة الأموية فى الأندلس ، بدأ ظهور عصر الطوائف : الذى استمر حتى ٤٨٤هـ (١٠٩١م) ، بما ساده من النزاعات والصراعات ، فصاروا مطمعًا لنصارى الشمال الأندلسى ، وفى ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس ، بناءً على دعوة ملوك وأمراء الأندلس وعلمائها وأهلها. والتقى وقوات الأندلس بقوات قشتالة فى **معركة الزلاقة :**

التى انتصر فيها انتصارًا ساحقًا ، فى ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) .

- - توفى ولىّ عهد يوسف ، فعاد سريعًا بعد الزلاقة إلى المغرب ، وترك بضعة ألوف من قواته فى الأندلس تأتمر بأمر المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، لكنه اضطر إلى العودة ثانية إلى الأندلس بعد أربع سنوات من انتصار الزلاقة أى فى ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، لكى يُنهى حكم الطوائف ، وهو ما لقى استحسان ودعم سكان الأندلس الذين ناصروه على ملوكهم ، وفتاوى مشايخ الإسلام فى المشرق ، الذين كان من بينهم حجة الإسلام : الإمام الغزالى فى فارس - صاحب الإحياء - والإمام الطرطوسى فى مصر - وهو أندلسى المولد من طرطوس - اللذان أفتيا : بجواز تنحية ملوك الطوائف عن عروشهم ، لفساد حكمهم ودينهم . فأضحى الأندلس مُرابطيًا ، باستيلاء المرابطين على جميع دول الطوائف .

- وجدير بالذكر أن طليطلة قد صارت إلى أيدى النصارى ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) ،

أى قبل قدوم المرابطين إلى الأندلس بعام واحد ، ورفض يوسف استثمار نصر الزلاقة، فى إعادة طليطلة إلى حظيرة الإسلام ، كما أن بنى عباد قد استولوا على ١١ دولة من دول الطوائف الحادية والعشرين لتصبح بذلك دولتهم أوسع وأقوى دول الطوائف - قبل أن يستولى المرابطون عليها - وبيان ما استولى عليه بنو عباد ، من دول الطوائف المجاورة لدولتهم ، كالآتى :

- **قرطبة - لبلة - باجة - شلب - ولبة و شلطيش - شنتمرية الغرب - قرمونة - مورو - أركش - رندة - مرسية**

- وبهذا اكتمل بناء الدولة المرابطية ، فى الأندلس والمغرب الأقصى والعُمق الإفريقى . وجدير بالذكر أن يوسف بن تاشفين ، كان على اتصال بالخلافة العباسية فى المشرق؛ حيث كان يتبادل الرسائل الودية مع الخلفاء العباسيين والهدايا ، وفى ٤٩٧هـ (١٠٩٧م) ، اكتفى يوسف بلقب أمير المسلمين ، باعتبار لقب أمير المؤمنين لقب الخليفة العباسى فى بغداد .
- ومات يوسف بن تاشفين ، عن عمر يناهز ١٠٠ سنة ، مُخلفاً إمبراطورية شاسعة المساحة مترامية الأطراف : تمتد أراضيها من عمق الأندلس وجزر البليار شمالاً إلى حدود مملكة غانة فى العمق الإفريقى ، ومن الجزائر شرقًا إلى المحيط الأطلسى غرباً .

- **انحـــدار المرابطين :**

- بعد عقودٍ من القوة والهيمنة ، جاء عصر التدهور والانهيار سريعًا، فى عهد الأبناء وليس الأحفاد ، أى فى عهد : على ، أكبر أبناء يوسف ٤٩٩ : ٥٣٧هـ (١١٠٦ : ١١٤٣م) ، بعد تعرض المرابطين إلى عدد من الهزائم ، على يد ملوك الشمال النصرانى فى الأندلس، وتعرض الجزء الإفريقى من الدولة المرابطية ، للقلاقل والفتن ، وثورات المتذمرين من الضرائب والمغارم ، وفساد الجهاز الإدارى فى الدولة .
- لكن تبقى أهم الأخطار الداخلية التى تعرضت لها الدولة المرابطية : وهو خطر الدولة الموحدية بقيادة : محمد بن تومرت ، التى بدأت مبكرًا ٤٢١هـ (١٠٣٠م) ، وتسببت فى انهيار الدولة المرابطية سريعًا ، بعد محاولة دخول : محمد بن تومرت ، إلى العاصمة المرابطية ٥٤١هـ (١١٤٧م) .

- ولا يفوتنا التنويه مرة أخرى بانتصارات المرابطين فى الأندلس : فى معركة الزلاقة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م)، ومعركة أقليش ٥٠١هـ (١١٠٨م) كما قام المرابطون باسترداد بلنسية من يد الكمبيادور - أحد قادة جيش قشتالة المعروف عند العرب بالسيّد CID - فى ١١٠٢م .

- **ثالثًا - عصر المُوحّدين : (١١٤٧ : ١٢٦٩م)**

(عمر الدولة المُوحّدية = ١٢٢ سنة فقط)

- بدأت دعوة الموحدين عام ٥١٤هـ (١١٢٠م) على يد محمد بن تومرت الذى تلقب بالمهدى ، ٤٧٣ : ٥٢٤ هـ (١٠٨٠ : ١١٣٠م)، الذى ينتمى إلى قبيلة مصمودة المغربية ، ثم رحل إلى المشرق طالباً يدرس العلم ، فلما عاد إلى المغرب ، راح يطوف حواضر المغرب العربى ، داعية إلى الله ، يدعو الناس إلى الصلاح والتقوى ، والالتزام بالشرع ومحاربة البدع .
- لاقت دعوة محمد بن تومرت قبولاً بين الناس ، فالتفوا حوله أينما نزل ، وفى إحدى جولاته التقى : بعبد المؤمن بن على الكومى ٥٢٧ : ٥٥٨هـ (١١٣٣ : ١١٦٣م) ، فاتجها سويًا إلى مدينة فاس ، وفى أثناء الرحلة ، لم يكفّ ابن تومرت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكَسْر آلات اللهو وإراقة دِنان الخمر ، فأقاما بفاس بضعة شهور ، دعاة إلى الله ، ثم ارتحلا إلى مُرّاكش عاصمة الدولة المرابطية ، فدخلاها فى أوائل ربيع أول ٥١٥ هـ (١١٢١م) .
- استمر الرجلان فى الدعوة والتبليغ ، فالتف حولهما الكثيرون من التابعين لمذهب المرابطين ، ولقد استفحل نشاطهما كثيرًا لينتهى بتكوين حركة الموحدين ، فى تحدٍ علنىّ لدولة المرابطين ، فكان الصدام الحتمى بينهما ، والذى كان كارثيًا فى بدايته على الموحدين .
- **مرحلة بناء الدولة المُوحدية :**
- حشد الموحدون جيشًا قوامه ٤٠ ألف مقاتل ، للهجوم على مُرّاكش العاصمة المرابطية والاستيلاء عليها ، وأسفرت المواجهة عن مصرع ابن تومرت على أسوار مراكش ، وقُتل أكثر من نصف جيش الموحدين .
- بوفاة ابن تومرت ، تولى عبد المؤمن بن على الكومى قيادة الموحدين ، وقد استطاع فى دأب أن يعيد بناء الجيش والاستمرار فى الدعوة ، وأن يستولى على المغرب العربى حتى برقة والأندلس ، ولقد مرت عملية بناء الدولة الموحدية بخمس مراحل :
- المرحلة الأولى : فتح مراكش وسَهله الفسيح ٥٤٢هـ (١١٤٧م) .
- المرحلة الثانية : فتح شمال المغرب ، بما فى ذلك مدينة فاس ، وبقيّة المغرب إلى الزقاق – مضيق جبل طارق – وقد تم الانتهاء منها ٥٤٢ هـ (١١٤٧م) .

- المرحلة الثالثة : فتح المغرب الأوسط (الجزائر) ، وقد تم هذا الفتح بدخول الموحدين مدينة تلمسان ثم وهران ، ثم العاصمة بجاية ، ومن بعدها قلعة بنى حماد ٥٤٨هـ (١١٥٣م) .

وبذلك تم القضاء على المرابطين فى الشمال الإفريقى

- المرحلة الرابعة : فتح باقى الشمال الإفريقى ، فقد اتجهت أنظار الموحدين إلى المشرق فدخلوا طرابلس ، وقاموا باستعادة المَهدية وجزيرة جربة ، وبقية الساحل الإفريقى من أيدى النورمان ، ولأن هذا الفتح تم ذلك فى عام ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) ، فعُرفت بسنة الأخماس .

وبذلك يكون الموحدون أول من وَحّد المغرب العربى

- المرحلة الخامسة : كانت قد قامت جماعة من زعماء الأندلس - مستغلة انشغال الموحدين فى حروبهم لتأسيس الدولة فى المغرب - فثاروا على ولاتهم التابعين للمرابطين وأعلنوا أنفسهم حكامًا واستبدوا بالأمر ، وتنازعوا فيما بينهم يحارب بعضهم بعضًا .

- فلما انتهى عبد المؤمن بن على الكومى ، من بسط نفوذه على المغرب العربى كله - عدا برقة - شرع فى ٥٤١هـ (١١٤٦م) فى توجيه جيشه إلى الأندلس ، فاستولى على إشبيلية ، واتخذها حاضرة للموحدين ، ثم طور هجومه ليستولى على بطليوس وشنتمرية وشلب ، ثم قرطبة عاصمة الخلافة الأموية ، ثم جيان ٥٤٣هـ(١١٤٨م)، وفوق ذلك فقد استعاد ألمرية ٥٥٢هـ (١١٥٧م) من أيدى نصارى الشمال .

وبذلك توحدت الأندلس تحت لواء الموحدين

- وفى أواخر أيام : عبد المؤمن بن على الكومى، حدث تمرد فى شرق الأندلس ، فأسرع إلى هناك وأخضع المتمردين ، وقضى على الفتن، ثم عاد إلى المغرب ، وعندما وصل إلى سَلا نزل به المرض ، ولم يلبث أن توفى فى جمادى الآخرة ٥٥٨ هـ (١١٦٣م) .

- بوفاة عبد المؤمن بن على الكومى ، تولى الحكم بعده ولده : يوسف المُلقب بالمنصور ٥٥٨ : ٥٨٠هـ (١١٦٣ : ١١٨٤م) الذى قويت شوكته بعد انتصاره المدوّى فى :

- **معركة الأرك** : بالأندلس ٥٩١هـ (١١٩٥م) ، على قوات النصارى بقيادة ألفونسو

الثامن ملك قشتالة ، وهى المعركة التى أهلك فيها المنصور جيش النصارى ، كما استولى على لشبونة - العاصمة الإسبانية الحالية .

- أصابت ملوك قشتالة غصّة بعد الهزيمة الساحقة فى معركة الأركّ ، فعجزوا عن ابتلاع مرارة الهزيمة ، فطالبوا البابا بإعلان الحروب الصليبية ، فلما أعلنها ، وصلتهم سريعًا الإمدادات من دول الغرب الأوروبى ، ليلتقوا بجيوش الموحدين فى :
- **معركة العُقاب :** فى ٦٠٩هـ (١٢١٢م) التى تلقى فيها الموحدون هزيمة شديدة ، كانت لها آثارها البالغة على الوجود الإسلامى فى الأندلس .
- بعد معركة العُقاب ، توالى سقوط حواضر الإسلام فى أيدى النصارى حتى ٦٣٣ هـ (١٢٣٦م)، ثم سقطت تونس فى أيدى الحفصيين ، ثم الجزائر فى أيدى الزيانيين على يد ابن عبد الواد ٦٢٦ : ٦٣٣هـ (١٢٢٩ : ١٢٣٦م) ، ثم تابعتهم حملات المرينيين .

ففقدوا السيطرة على المغرب ، وانتهى أمرهم نهائيًا على يد المرينيين .

- أصبح بذلك مُلك المسلمين فى الأندلس ، **محصورًا فى غرناطة** ، التى أسس عليها بنو الأحمر - بنو نصر - دولتهم التى حكمت وحدها فى الأندلس نحو قرنين ونصف القرن ، حتى تهاوت فى ٨٧٩هـ (١٤٩٢م) .
- لينتهى الوجود الإسلامى فى الأندلس بعد نحو ثمانية قرون ، فى سابقة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً : كأطول مدة فى التاريخ عاشها شعب فاتح فى بلاد بعيدة . وسبحان من له الدوام .
- كما أسلفنا : فقد قامت دعوة الموحدين فى المغرب العربى ، على الإصلاح الدينى والاجتماعى ، تحت شعار : " **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** "، ويكاد يتفق جميع المؤرخين والباحثين أن هذه الدعوة اكتسبت طابعاً دينيًا محضًا .
- وقد استغل محمد بن تومرت كافة الوسائل ، من أجل دعوته وتحقيق غاياته ، فادّعى المهدوية وقال بالعصمة والإمامة ، وسفك الكثير من الدماء ، ولقد خاض خُلفاؤه من بعده، معارك طاحنة ضد المرابطين حتى انتهت دولتهم ، وشادوا للموحدين دولة ، كانت أول من حقق وحدة التراب المغربى .
- وقد اعتمد الموحدون منذ نشأتهم على القوة العسكرية ، فى تأسيس دولتهم

ونشر دعوتهم، فوجهوا عنايتهم الفائقة للجيش ، فنظموه تنظيمًا لم يعرف له المغرب مثيلاً حتى ذاك الزمان، وسَهر ملوكهم بأنفسهم على تدريبه وتسليحه.

- **ولا نبالغ إذا قلنا :** إن عصر الموحدين كان أزهى عصور المغرب العربى من النواحى السياسية والعسكرية والفكرية ، والعمرانية والاجتماعية، وصارت للمغرب حضارة متميزة ، فقد أنشأوا المدارس وجعلوا التعليم إجباريًا ، كما أسسوا المكتبات العامة ، وشجعوا رجال الفكر ، وأجروا عليهم الأرزاق .
- فوفد كثير من رجال الفكر فى الأندلس ، على بلاط الموحدين فى مراكش ، واختفى شعر الغزل والخمريات ، من الساحة الشعرية تمشيًا مع الطابع الدينى للدولة . ومن حفاوة عواهل الموحدين بالشعراء ، أن بلغ الأمر بعبد المؤمن بن على الكومى ، أن منح أحد الشعراء ألف دينار فى بيت شعر واحد .
- وتذكر المصادر الأدبية ، أن الخليفة المنصور (يوسف بن عبد المؤمن) ، قد منح ابن مُنقذ - رسول الناصر صلاح الدين - ألف دينار لكل بيت من الشعر ، فى قصيدة طويلة من أربعين بيتًا، كان منها :

سأشكر بحرًا ذا عُباب قطعته   إلى بحر جودٍ ما لآخره ساحل

إليك أمير المؤمنين ولم تزل   إلى بابك المأمول تُزْجى الرّواحل

- وهذا الضرب من الشعر، يراه المؤرخون سجلات وافية ، ووثائق تاريخية ، تُصاحب سيرة الدول فى تطورها وازدهارها .

- **رابعًا ـ عَصر الاسترداد المسيحى : (٧١٨ : ١٤٩٢م)**

(سقوط غرْناطة ٢ يناير ١٤٩٢م ، والخروج نهائيًا من الأندلس ١٦١٤م)

- أدّت معارك الاسترداد المسيحى المُنظم ، إلى سقوط الأندلس ، وانتهاء الوجود الإسلامى فيها بسقوط مملكة غرناطة الإسلامية ، آخر معاقل الإسلام والعرب فى فردوس الأندلس٨٩٧هـ (١٤٩٢م) .
- ويرى المؤرخون الإسبان ، أن حروب الاسترداد ، كانت قد بدأت بمعركة كوفادونجا (مغارة دونجا ـ صخرة بلاى) ٧١٨م ، التى هَزَم فيها القائد النصرانى : بلاى ، القائد العربى : ابن العلقمى اللخمى ، والتى كان من آثارها ـ على قلة قوات طرفى القتال ـ تأسيس أشتوريس : أول إمارة نصرانية فى الشمال الإسبانى .
- فبعد هذه المعركة قليلة القوات كبيرة الأثر، تجرأ نصارى الشمال على مُهاجمة الممالك الإسلامية الشمالية ، وبمرور الزمن ، كونوا ثلاث ممالك قوية هى : **مملكة قشتالة ، ومملكة أراجون ، ومملكة ليون .**
- ولا يفوتنا الإشارة إلى أن هذه الممالك قامت على مجموعة جيوب محدودة العدد والعدة ، من مطاريد القوط ، هربت مذعورة إلى هضاب الشمال ، أمام زحف الفاتحين : طارق بن زياد ، وموسى بن نصير ، ولولا استدعاء الفاتحين العظيمين إلى عاصمة الخلافة الأموية ، لتم القضاء عليها فى حينه .
- هذا : فى الوقت الذى حدث فيه شرخ ، فى جدار الوحدة الإسلامية ، باقتتال مملكة طليطلة التى يحكمها بنو ذى النون ، ومملكة سرقسطة التى يحكمها بنو هود ، واستعانتهما بممالك نصارى الشمال ، واستمرار نزاعهما طويلاً ٤٣٥ : ٤٣٨هـ (١٠٤٣ : ١٠٤٦م) .
- وهما من ممالك المواجهة مع الشمال النصرانى ، فكانت ممالك النصارى تساعد ممالك الشمال الإسلامى ، على بعضها البعض ، مقابل الحصول على المال والقلاع والسهول الخصبة .
- وفى الوقت الذى تتقاتل فيه الممالك الإسلامية، كانت تتحد فيه الممالك النصرانية ؛ حيث اتحدت مملكتا قشتالة وليون ، تحت سلطان ألفونسو السادس فى مملكة : قشتالة الجديدة ، الذى بعد أن استتب له الأمر فى مملكته الجديدة ، حاصر طليطلة الإسلامية ١٠٨٤م ، دون أن تلقى معاونة من ممالك

الطوائف الأخرى (سِوى مملكة بطليوس التى أرسل ملكها : عمر بن الأفطس جيشًا قويًا لكن تحالف قوات النصارى تصدت له وهَزَمته)، واستمر صمود المدينة الباسلة ، تسعة شهور حتى سقطت فى ٢٥ يناير ١٠٨٥م .

- فقد كان ألفونسو السادس قد كبّل كل ملوك الطوائف بتحالفاته ومعاهداته - عدا مملكة بطليوس - تمنعهم من معاونة وإغاثة طليطلة عند مهاجمتها ، كما تُلزمهم بدفع الجزية السنوية التى تستنفد طاقاتهم ، وتستبقى فيهم الضعف ، وتحملهم على الاستكانة .
- جعل ألفونسو السادس طليطلة عاصمته الجديدة - وهى العاصمة القديمة للقوط - وتحولت مساجدها إلى كنائس ، ومسجدها الكبير إلى كاتدرائية ، وفى ٢٥ يناير ١٠٨٥م ، صلى فيها ملك قشتالة قُداس الشكر ... طليطلة : مساجدها كنائس ؟ ! أى قلب على هذا يقـرّ ولا يطيـر .
- تتحمل وزر سقوط طليطلة ، كل ممالك الطوائف - عدا بطليوس - خاصة مملكة إشبيلية - أكبر ممالك الطوائف وأقواها - وبخاصة ملكها المعتمِد بن عبّاد ، الذى عاهد ألفونسو السادس ، على عدم معاونة طليطلة عند حصاره لها ، لقد كان صمود المدينة الباسلة ٩ شهور، دعوات صريحة لعونها ، وفرصًا سانحة لتحرر ملوك الطوائف من العهود الظالمة مع ملك قشتالة .
- لقد كان سقوط طليطلة مُروعًا ، زلزل كيان ملوك الطوائف ، وحملهم على كُرهٍ ، لاستدعاء المرابطين إلى الأندلس ، ذلك الاستدعاء الذى كان وبالاً عليهم : فقد فقدوا فيه مُلكهم ، وقضوا فى سجون المرابطين بقية أعمارهم ، ودُفنوا غرباء فى عُدوة المغرب . ولنا فى الحديث عن حصار طليطلة موضع عند الحديث عن معارك الاسترداد .
- رأينا أن ندون أهم معارك النصارى مع المسلمين ، بعد فتح الأندلس ، سواء أخرت الاسترداد لانتصار المسلمين فيها ، أو عجّلت الاسترداد لانتصار النصارى فيها ، ونوجزها مُرتبة حسب تاريخ وقوعها .

- معــارك الاستــرداد المسيحىّ :

1- معركة كوفادونجا : (718 م)

(صخرة بلاى - نسبة للقائد بلاى - مغارة دونجا - كهف السيدة)

- ففى 718م ، وبعد 6 سنوات من سقوط الأندلس فى أيدى المسلمين 712م ، قام القائد النصرانى: بلاى ، بتأسيس مملكة أشتوريس، فى الركن الشمالى الشرقى من الشمال الأندلسى ، وراح يناوش ممالك الشمال الإسلامى ويغير عليها ، فدفع الأمويون حملة بقوات محدودة لتأديبه .
- وقعت هذه المعركة بين 300 مقاتل فقط من مملكة أشتوريس بقيادة : بلاى أو بلايو ، وقوات الأمويين فى نحو 1000 مقاتل يقودهم ابن علقمة اللخمى ، وكان النصر فيها بسهولة ، لقوات بلاى - الذى اتخذ أوضاع الدفاع قليلة الخسائر - فيسرت له أعمال القتل فى قوات ابن علقمة ، باستعمال الحجارة من مكامن ، خلف الصخور التى اعتادتها جنوده ، باعتبارها مأوى دائماً لهم وهم أدرى بدروبها الوعرة الضيقة .
- طالب ابن علقمة بلاى بالاستسلام ، فرفض بلاى واحتمى بقواته المحدودة ، فى قرية جبلية تعرف بقرية كوفادونجا ، وتعرف عند العرب بقرية بلاى ، فاتخذ ابن علقمة وقواته أوضاع الهجوم ، التى عادة ما تكون خسائرها أضعاف أوضاع الدفاع ، ودفع بقواته لاصطياد رجال بلاى ، لكن بلاى صمد أمام قوات ابن علقمة ، حتى قُتل معظم قواته - قوات بلاى - ولم يبق منها غير 30 مقاتلاً فقط .
- وفى النهاية نجح بلاى فى إجبار ابن علقمة على الانسحاب؛ صونًا لحياة ما بقى معه من قوات ، التى فقد فى هجومه معظم رجاله ، وقيل يومها : " ثلاثون عِلجًا ، ما عسى أن يجيئ منهم "، وقد حاول المسلمون غزو هذه المملكة مرات عديدة ، ثم يتركونها لصعوبة اصطياد من يعيشون فيها ، ويحتمون بمكوناتها الصخرية ، ودروبها الشديدة الضيق والوعورة .
- وقد واجه الجيش المصرى ، فى ستينيات القرن الماضى فى جبال اليمن ، مثل هذه الظروف القتالية والخسائر الكبيرة فى الرجال والعتاد . وتعتبر كوفادونجا - صخرة بلاى - أول معركة انتصر فيها النصارى على المسلمين فى الأندلس ، ويعتبرها المؤرخون نواة الاسترداد.

- وبعد معركة بواتييه ١١٤هـ (٧٣٢ م) فى سهول وسط فرنسا ، عزز المسلمون وجودهم فى الأندلس باعتبارها قاعدة الفتوح ، لأراضى الفرنجة فى فرنسا ، فعزموا على القضاء على جيوب المقاومة النصرانية فى شمال الأندلس ، فى المناطق الجبلية شديدة الوعورة والبرودة .

٢- سقوط طليطلة : **(حصارها ٩ أشهر ، ثم سقوطها فى ٢٠ مايو ١٠٨٥م)**

- كانت طليطلة ، منذ قيام الإمارة الإسلامية فى الأندلس ، تمثل إقليم المواجهة الإسلامية الأوسط مع الشمال النصرانى ، وكانت الخصومة شديدة بين حاكمها : ابن ذى النون ، وحاكم سرقسطة : ابن هود . وفى سبيل الانتقام من ابن هود ، فاوض ابن ذى النون فرناندو الأول ملك قشتالة ، وطلب عونه ضد سرقسطة ، مقابل الاعتراف بسيادته على طليطلة ، وأداء الجزية له .
- **ما الذى يجده فرناندو مانعًا من قبول هذا العرض ؟** . أرسل فرناندو من فوره سراياه تعيث فى سهول سرقسطة الفساد ، فقام جنده بجنى ثمار حدائقها ، وحصد غلال حقولها لكونها كانت فى موسم الحصاد ، ونقلوها لبلادهم ، مع السبْى والأسلاب .
- وبعد قليل انحدر ابن هود - حاكم سرقسطة - إلى ما انحدر إليه المأمون بن ذى النون ، وهو محالفة النصارى ، فبعث إلى ملك قشتالة الأموال والهدايا ، فعاث فرناندو فى أراضى طليطلة وسبى وقتل ، كما فعل فى أراضى وديار طليطلة .
- وهكذا استباح النصارى ديار الإسلام ، بالمساعى السيئة لحُكّامها ، فانهارت دفاعاتها وساءت أحوال المسلمين فيها إلى حدود بعيدة ، واستمرت الحرب سجالاً بين طليطلة وسرقسطة ، يغذيها النصارى ثلاثة أعوام ٤٣٥ : ٤٣٨هـ (١٠٤٣ : ١٠٤٦م)، ولم تنقطع ، إلا بموت سليمان بن هود ، فكانت مثلاً سيئاً لطباع بغيضة ، درج عليها ملوك الطوائف .
- فلما توفى فرناندو ملك قشتالة فى ١٠٦٥م قامت بين أولاده الثلاثة حرب أهلية استمرت أعوامًا ، وانتهت بانتصار **سانشو** واغتصاب مُلك أخويه ، فالتجأ غرسية إلى ابن عباد فى إشبيلية ، **والفونسو** إلى ابن ذى النون فى طليطلة ، التى أقام فيها نحو تسعة شهور ، ضيفًا على ملكها .

- فلما قُتل أخوه سانشو ، غادر طليطلة إلى ليون واسترد عرشه ، بعد أن درس مواطن الضعف فى طليطلة ، تلك الدراسة التى يسرت عليه فيما بعد إسقاطها وإن رغمت أنوف من استضافوه .
- ولئن كان المأمون بن ذى النون ، واحدًا من أقوى ملوك الطوائف ، وأطولهم حكمًا - ٣٣ عاما- فقد خلفه حفيده يحيى المُلقب بالقادر، الذى كان سيئ الطالع ويسيئ معاملة رعاياه ، فتحالف مع ألفونسو ملك قشتالة ، الذى كان دائم التدبير للاستيلاء على طليطلة ، وسلبها من يد ملكها الضعيف الذى بدا لعبة فى يد ألفونسو .
- ولمَّا كان ابن عباد فى إشبيلية ، يخشى بأس ملك قشتالة ، فأسرع بإنفاذ وزيره ابن عمار إليه يفاوضه على أن : يعاون ألفونسو ابن عباد فى حالة حربه مع ملوك الطوائف المسلمين ، مقابل ماذا ؟ مقابل أن يتعهد ابن عباد صراحة ، بترك ألفونسو السادس حُرًا ، فى أعماله الحربية للاستيلاء على طليطلة .
- وهكذا قبل ابن عباد - أقوى ملوك الطوائف ، وأقربهم إلى ديار طليطلة – ما قبله كل ملوك الطوائف (عدا المتوكل : عمر بن الأفطس ملك بطليوس) ، فتيسر لألفونسو الانفراد بطليطلة .
- انفرد ألفونسو السادس بطليطلة وجهًا لوجه فحاصرها - إلا من بأس عمر بن الأفطس ملك بطليوس - واستولى على كل سهولها الخصبة وخربَّها ، وكان المعتمد بن عباد - وهو أول من تقع عليه تبعة غوثها لقربه منها كما أسلفنا - كان مُكبلاً لا يتحرك ، وأقصى آماله أن يحتفظ بما سبق أن استولى عليه من سهولها الجنوبية .
- لقد حاول الحُرّ المِقدام : عُمر المتوكل بن الأفطس ملك بطليوس ، وحده ، فك حصار طليطلة، فتصدت قواته بقيادة أحد أولاده لقوات ألفونسو ، لكنه بعد معارك ضارية وخسائر فادحة ، لم يُوفق فى زحزحة قوات ألفونسو عن أسوار طليطلة ، فارتد آسفًا حزينًا وباكيًا .
- وهكذا تُركت طليطلة المحاصرة لمصيرها ، وأحكم ألفونسو السادس حصاره عليها تسعة شهور، حتى نفدت الأقوات ، فسلمت المدينة : على أن يؤدى سكانها إليه ما كانوا يدفعونه لحكامها السابقين ، ويحتفظ المسلمون بمساجدهم

أحرارًا فى أداء شعائرهم وقضائهم وشريعتهم .

- دخل ألفونسو مدينة طليطلة، ونزل فى القصر الذى كان ينزل فيه ، فى سنوات محنته فى ضيافة المأمون بن ذى النون ، ثم واصل استيلاءه على باقى أراضى طليطلة ، فارتدت إلى حظيرة النصرانية، بعد أن عاشت فى رحاب الإسلام ٣٧٠ عامًا ، صارت بعدها حاضرة قشتالة الجديدة ، ووريثة لتراث القوط الذين قضى العرب على سلطانهم .
- وبسقوط طليطلة دخلت سياسة الاسترداد طورًا جديدًا ؛ إذ أصبحت طليطلة مركزًا متقدمًا ، لتدبير الغزوات النصرانية ، على ممالك الشمال الإسلامية .
- **التاعت قلوب الأندلس لسقوط طليطلة** ، وأدرك ملوك الطوائف أن سقوطها نذير شؤم بالقضاء على ممالكهم ، فجنحوا بعدها إلى اجتماع الكلمة، والاتفاق على طلب العون من أمير المرابطين : يوسف بن تاشفين فى عُدوة المغرب .
- ولم يف ملك قشتالة بما تعهد به فى معاهدة الاستسلام ، فطرد المسلمين بعد حين، وسلب أموالهم ، وحول مساجدها إلى كنائس ، وصلى قداس الشكر فى مسجدها الكبير ، بعد أن حوله إلى كاتدرائية ، وفى قصرها الزاهر : صارت تُناقش خِططُ الحرب لغزو حواضر الإسلام والمتابعة الدائمة لسياسة الاسترداد .
- وأذكت محنة طليطلة فجيعة الشعر الأندلسى ، فنُظمت فى بكائها القصائد ، ومنها هذه الرّائية ، التى لم نصبر على تأجيل تدوينها ، فأشرنا إليها سلفاً فى مقدمة الكتاب ، نقلاً عن موسوعة الأندلس ، للعلامة الأستاذ : محمد عبد الله عنان :

فليس مثالها إيوان كسرى ... ولا منها الخَورْنقُ والسّدير

مساجدها كنائس ؟ أى قلب ... على هذا يَقرّ ولا يطير

مضى الإسلام فابك دمًا عليه ... فما ينفى الجَوى الدّمْع الغزير

- من أجلها وحدها – طليطلة التى سقطت ١٠٨٥م - عبر أمير المرابطين : يوسف بن تاشفين ١٠٨٦م ، من عُدوة المغرب إلى الأندلس ، فكانت :

معركة الزلاّقة ، دُرة على جبين الإسلام وواحدة من معاركه الكبرى .

- **هذه هى طليطلة** : عمرها فى حضن الإسلام نحو ثلاثة قرون- وتوالى عن مقدرة أى عن عمد - تقصير عواهل الإسلام فى استردادها :

ملوك الطوائف (عدا عمر المتوكل عاهل بطليوس) وابن عبّاد بخاصة ، ثم **يوسف بن تاشفين** ، أمير المرابطين بعد انتصاره الساحق ، فى معركة الزلاقة، وأخيراً : **أبو يوسف يعقوب المنصور**، أمير الموحدين، بعد انتصاره المُدوّى ، فى معركة الأركّ . فسلام على طليطلة .

٣- معركة الزلاقة : (٤٧٩ هـ - ١٠٨٦ م)

- نظرًا لمكانة الزلاقة بين معارك التاريخ الإسلامى، أفردنا لها بابًا خاصًا بها (الباب السابع) فى كتابنا : " رؤية جديدة فى تاريخ ، الإسلام فى إسبانيا وفرنسا ، وصِقليّة وجنوب إيطاليا " .

وكتابنا : " نحو وعى بالعسكرية الإسلامية ، معارك الإسلام الكبرى " .

- ونعتذر للقارئ الكريم لصعوبة تدوينها هنا ، لطول نصّها .

٤- معركة إقليش : (١١٠٨م)

- وقعت هذه المعركة فى ١٦ شوال ٥٠١هـ (١١٠٨م) ، بين حشود المرابطين بقيادة الأمير : تميم بن يوسف بن تاشفين ، وقوات قشتالة بقيادة الأمير : سانشو بن ألفونسو السادس ؛ حيث تحرك تميم من قرطبة وانضمت إليه قوات من بلنسية ومرسية ، حتى وصل إلى قلعة إقليش .

- وعند إقليش : اصطدمت القوتان المتحاربتان ، وانتهى الصدام بهزيمة مروعة لجيش قشتالة ومصرع قائده الأمير: سانشو بن ألفونسو السادس . كان ألفونسو وقتها فى السابعة والسبعين من عمره ، فلما بلغته أنباء القتال ومصرع ولده وهلاك قواته ، مرض فى التوّ مرضاً شديدًا ومات فى السنة التالية .

٥- معـركة الأركّ : (شعبان ٥٩١ هـ - ١١٩٥م)

- كان سانشو الأول ملك البرتغال قد قام فى ١١٩١ م ، بغزو مدينة شلب الإسلامية ، فعبر من عُدوة المغرب ، السلطان الموحدى : أبو يوسف يعقوب المنصور ، فحاصرها ، كما أرسل جيشين من الموحدين والعرب ، فغزا بهما (٤) مدن إسلامية ، كانت فى أيدى النصارى منذ ٤٠ عاماً ، الأمر الذى ألقى الرعب فى قلوب ملوك النصارى ، خاصة ألفونسو الثامن الذى طلب الهدنة والصلح ، فهادنه أبو يوسف (٥) سنوات وعاد إلى المغرب .

- ولما انتهت الهدنة عاد ألفونسو ، فعاث فى مدن الشمال الإسلامية ، وأرسل خطاباً إلى المنصور يستخف به ويطلب المواجهة معه ، فقرأ أبو يوسف الخطاب على جنده ليلهب حماسهم ، وعبر إلى الأندلس ونزل بثغر الجزيرة الخضراء ، فى ٢٠ رجب ٥٩١ هـ ثم واصل السير بغير راحة إلى قشتالة ، وفى الطريق انضمت إليه القوات الأندلسية .
- بلغت قوات المنصور (٣٠٠) ألف مقاتل، فاجتاز إشبيلية إلى طليطلة عاصمة قشتالة ووصل إلى قلعة الأركّ فى يونيو ١١٩٥م (شعبان ٥٩١هـ)، ليلقى ألفونسو فى (٣٠٠) ألف مقاتل .
- فوقعت هذه المعركة فى ١٨ يوليو ١١٩٥م ، بين قوات الموحدين بقيادة السلطان المغربى : أبو يوسف يعقوب المنصور ، وقوات ملك قشتالة : ألفونسو الثامن، وكان لنتيجة المعركة دوى كبير فى توطيد حكم الموحدين فى الأندلس ، وتوسيع رقعة بلادهم فيها . وقد اضطر ألفونسو لطلب الهدنة من السلطان الموحدى . ويُعدها المؤرخون شبيهة الزلاقة ، التى انتصر فيها المرابطون على النصارى انتصارًا ساحقاً .
- اصطدمت قوات الطرفين ، بقيادة العاهلين المسلم والنصرانى ، وانجلى القتال عن خسائر فادحة فى قوات قشتالة تجاوزت (١٥٠) ألف قتيل ، وأسرى تجاوزت أعدادهم (٣٠) ألف أسير، بينما خسائر الموحدين لم تتجاوز ٥٠٠ مقاتل فقط ، وهرب ألفونسو الثامن من أرض المعركة، إلى عاصمته طليطلة.
- آثار معركة الأركّ : علاوة على الخسائر الشديدة فى الأنفس ، ما بين قتيل وأسير ، فقد كانت خسائر النصارى فى الأموال والعتاد بالغة الكثرة ، ونُجمل أهمها فى هذا الإحصاء الطريف :

١٥٦ ألف خيمة - ٨٠ ألف فرس - ١٠٠ ألف بغل - ٤٠٠ ألف حمار، (كانت تحمل أثقال المنطقة الإدارية ، التى بها أقوات وإعاشة وذخيرة جيش بمئات الألوف)، أمَّا الجوهر والأموال والنفائس، فقد صعب حصرها ، فبيع أسيرهم بدرهم ، والسيف بنصف درهم ، والفرس بخمسة دراهم ، والحمار بدرهم .

- وفور انتهاء القتال ، اقتحم أبو يوسف قلعة رباح النصرانية ، مما يسر له الاستيلاء على (٦) مدن حول العاصمة طليطلة ، ثم حاصر طليطلة ، وضربها

بالمنجنيق ضرباً شديدًا ، حتى طلب ألفونسو الهدنة ثم أخرج إلى المنصور أمّه العجوز ، ومن أسف فقد رق لها قلب المنصور ففك حصار طليطلة ، ونسى ما كان من النصارى يوم انتزعوها من أيدى المسلمين ١٠٨٥م ، ونسى مساجدها التى حولوها إلى كنائس وكاتدرائيات ، فكرّر خطأ سلفه الأمير المرابطى : يوسف بن تاشفين ١٠٨٦م ، حينما امتنع عن استثمار النصر بعد الزلاقة ، واسترداد طليطلة وسائر الحواضر الإسلامية التى خرجت من حظيرة الإسلام .

- على أية حال فقد حققت المعركة هيبة الموحدين ، الذين استمروا فى الأندلس حتى فاجعة معركة العُقاب ، التى خسر بعدها المسلمون بقية أراضى الأندلس عدا غرناطة وإشبيلية وما حولهما .

٦- معـركة العُقــاب : (١٥ صفر ٦٠٩هـ - ١٦ يوليو ١٢١٢م)

- كان ألفونسو الثامن ما زال موتورًا ، من هزيمته الساحقة على أيدى الموحدين فى موقعة الأركّ ، وفى سبيل ذلك نقض الهدنة ١٢٠٩م ، وهى الهدنة التى كان قد سعى إليها حثيثاً بعد هزيمته ، فاستولى على عدد من الحصون الإسلامية ، فأعلن السلطان محمد الناصر الجهاد ، فاجتمع له (٣٠٠) ألف مقاتل ، بينما بلغت قوات تحالف النصارى (٥٠٠) ألف مقاتل على رأسها ملوك قشتالة ونافار ، وأوراجون والبرتغال بأنفسهم .
- عبر محمد الناصر إلى الأندلس ودخل إشبيلية وحرر قلعة رباح ، بعد حصار دام (٦) شهور لأهميتها العسكرية . فاستغاث ألفونسو الثامن بالبابا : نوسنت الثالث ، الذى أعلن الحروب الصليبية : " لا يحل الغفران على من لا يساعد ويشارك فيها " (فالكنيسة وحدها - باعتبارها ظل الله على الأرض - تملك غفران الذنوب !) فوصلت قوات جديدة ومؤن كثيرة، من إيطاليا وفرنسا لدعم التحالف النصرانى .
- فهاجم تحالف النصارى قلعة رباح واستولوا عليها ، بعد هلاك حاميتها الإسلامية، فتحرك محمد الناصر باتجاه الشمال وتواجه الطرفان . لتقع هذه المعركة فى ١٦ يوليو ١٢١٢م بعد ١٧ عاماً من الانتصار الإسلامى الساحق فى الأرك على قوات النصارى ١١٩٥م .

فشكلت هذه المعركة ، نقطة تحول بالغة السلبية فى تاريخ الأندلس .

- تصادمت مقدمتا قوات الطرفين ، فتراجعت قوات النصارى ، وحدثت فيها

خسائر كبيرة، لكن قوات تحالف النصارى قد نجحت فى تطويق الجيش الإسلامى مما اضطره إلى الانسحاب من المعركة، تحت ضغط التحالف النصرانى ، فحدثت به خسائر كبيرة بلغت (٢٠) ألف مقاتل ، وفيها قُتل ابن السلطان محمد الناصر ، الذى واصل - مع الأسف - الانسحاب إلى المغرب .

- **آثار معركة العُقاب** : بلغت آثار هذه المعركة مدى بعيداً فى استيلاء النصارى على الحصون والقلاع والحواضر الإسلامية : استولت جيوش النصارى :

١٢٢٨ م .. .. على جزر البليار.

١٢٣٦ م .. .. على قرطبة .

١٢٣٨ م .. .. على بلنسيـة.

١٢٤٦ م .. .. على جيـــان .

١٢٤٨ م .. .. على إشبيلية.

فلم يتبق للإسلام فى الأندلس سوى غرناطة ، التى تترست خلف حصونها المنيعة ، وكثافتها السكانية العالية ، وقربها من عُدوة المغرب ، فبقى بنو الأحمر يحكمونها حتى ١٤٩٢ م . وبعد سقوط دولة الموحدين فى المغرب على يد القوى المحلية ، قامت دولة المرينيين على أراضيها التى قامت بعدد من الحملات على الأندلس ، لم يكن النصر حليفها فيها غالباً .

- وبعد هذه المعركة بقليل ، طمحت جيوش النصارى ، إلى العبور إلى المغرب ، وإسقاط دولة الموحدين ، ولم يمنع ذلك إلا موت فرناندو الثالث ملك قشتالة ، فى إشبيلية ١٢٣٨م .

٧- <u>معركة الدونونيّـة</u> : (١٢٧٦ م - نسبة إلى قائد جيش قشتالة : دون نونيو لارا)

- لم يتبق ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) من الأندلس الإسلامى سوى غرناطة ومالقة وألمرية ، التى تمثل ١٥٪ من مساحة الأندلس ، التى يحكمها ابن الأحمر باسم ملك قشتالة طبقاً لمعاهدات بينهما .

- كان ملك قشتالة يدرك صعوبة الاستيلاء على غرناطة مبكرًا ، لكونها ذات كثافة سكانية عالية جدًا ، جاءتها من هجرات المدن الإسلامية الكثيرة ، التى سبق استيلاء النصارى عليها، وكثرة قلاعها ومناعة أسوارها ، وفوق ذلك فهى تواجه المغرب الأقصى ، الذى اعتادت أن تأتيها منه النجدات عبر

مضيق جبل طارق؛ حيث دولة بنى مرين القوية ، وهى دولة سُنية سبق لها أن عاونت غرناطة وساعدتها على الصمود ، أمام قوات فرناندو الثالث ، وملوك قشتالة النصارى .

- وعلى الرغم مما بين ابن الأحمر وألفونسو العاشر من عهود فقد بدا ألفونسو ٦٧١هـ (١٢٧٣م) يعد العدة للاستيلاء على غرناطة ، فاستجار ابن الأحمر ببنى مرين ، فعبر إليه ملكها : يعقوب المنصور ، وفى طريقه إلى غرناطة ، حاصر إشبيلية واستسلمت له ، ثم قرطبة واستسلمت له ، واستمر فى تقدمه إلى ميدان المعركة ؛ حيث انضمت قواته إلى قوات ابن الأحمر ، لتشكل الجيش الإسلامى تحت قيادته .
- فوقعت هذه المواجهة فى ١٢٧٦م ، بين جيوش دولة المرينيين - خلفاء الموحدين فى عُدوة المغرب - وجيش محمد الفقيه بن الأحمر من جهة ، وجيش قشتالة بقيادة ألفونسو العاشر من جهة أخرى . وكان لهذه المعركة تأثير كبير؛ إذ أبطأت زحف النصارى، على الأراضى الإسلامية ومنعتهم من العبث بوديانها ، وأخرت سقوط غرناطة قرنين وأكثر .
- وقد وقعت قريباً من قرطبة ، انتصرت فيها القوات الإسلامية بقيادة : يعقوب المنصور المرينى فى خمسة آلاف مقاتل ، ومحمد الفقيه بن الأحمر فى خمسة آلاف مقاتل أيضًا ، بينما كانت قوات قشتالة فى (٩٠) ألف مقاتل ، وانجلت المواجهة عن مصرع (٦) آلاف مقاتل قشتالى بينهم قائدهم : دون نونيو لارا ، و (٨) آلاف أسير قشتالى .
- وقد فاوض أبو يعقوب النصارى على افتداء أسراهم ، بكتب المسلمين التى وقعت بأيديهم فى كل العواصم التى استولوا عليها ، فنقلها إلى عُدوة المغرب ، وما زالت إلى اليوم فى مكتبة مدينة فاس بالمغرب ، فحفظ من الاندثار ، جزءًا كبيرًا من تراث الأندلس .

<u>٨- معركة غَرْناطة</u> : **(ذلك اليوم البائس فى التاريخ الإسلامى : ٢ يناير ١٤٩٢م)**

- أصبحت الأندلس تابعة للمرابطين بعد الزلاقة ، إلا أنهم أى المرابطين ، فشلوا فى الدفاع عن سرقسطة ، بعد اندلاع الثورة فى المغرب ، بقيادة الموحدين ،

فانهارت دولة المرابطين وتحولت تبعية الأندلس للموحدين .

- حمل الموحدون راية الدفاع عن الأندلس ، وانتصروا على النصارى فى عدة مواقع كان أشهرها موقعة الأركّ ، ولكن بهزيمتهم فى موقعة العُقاب ، انهارت دولتهم نهائيًا ، وبانهيارها انهارت دولة الإسلام فى الأندلس .
- لم يبق فى الأندلس بعد هزيمة المسلمين فى موقعة العُقاب ، من المدن الإسلامية سوى ولاية غرناطة وولاية إشبيلية ، وكان حاكم غرناطة قد عقد معاهدة مع ملك قشتالة ، كان من بين نصوصها نص شديد الغرابة وهو : أن يحارب ملك غرناطة مع ملك قشتالة ، أيًا كانت الدولة التى سيحاربها ، ووصل الأمر إلى مساعدة ملك غرناطة لملك قشتالة فى حصار إشبيلية لتسقط هذه المدينة الإسلامية فى ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) .
- بعد أن سقطت إشبيلية ، نقض النصارى عهدهم مع غرناطة ، واتجهوا ليحاصروها ، فاستغاثت غرناطة ، بالسلطان يعقوب بن منصور المرينى ، الذى كان قد حدث فى أثناء تقديمه إحدى مساعداته السابقة لغرناطة، أن خشى عاهلها، طمع السلطان يعقوب فى بلاده – قياسًا على طمع المرابطين فى دول الطوائف - فساءت العلاقات ، وانقطعت بذلك المساعدات المغربية لغرناطة .
- وعلى النقيض : كانت قد قامت أطيب الوشائج والتعاون ، بين ممالك النصارى ، بزواج إيزابيلا ملكة قشتالة من فرديناند ملك أوراجون ، لتتوحد الدولتان فى دولة إسبانيا ٨٧٩هـ (١٤٧٤م) .
- وقامت على إثر الوحدة آخر معارك الاسترداد النصرانى ، واستمرت عدة شهور حول غرناطة، أدت لاستسلام الأسرة الحاكمة فيها فى ٢ يناير ١٤٩٢م ، ودخلت المدينة قوات مشتركة من قشتالة وأوراجون - قوات إيزابيلا وفرديناند - باسم دولة إسبانيا .
- كان عدد قوات غرناطة (٣٠) ألف مقاتل ، بقيادة الأمير : أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الأحمر (محمد الثانى عشر) ، وكانت قوات قشتالة وأوراجون (١٠٠) ألف مقاتل ، وبعد قتال استمر عدة شهور كانت خسائره : ٣ آلاف قتيل وجريح من قوات النصارى ، وألف قتيل وأسير من قوات غرناطة .
- ودخل ملك وملكة إسبانيا غرناطة ، على وعد ببقاء المسلمين فيها ، لكن النصارى لا عهد لهم ولا وعد ، فغدروا وهجّروا المسلمين، ونصّروا منهم

مَن قبِل البقاء فى غرناطة ، ثم أقاموا محاكم للتفتيش تفتش فى صدور الناس ، عمّن يُخفى إسلامه ، فتعرّض للتنصير أو الطرد (من شبه جزيرة أيبيريا ، إلى عدوة المغرب والدولة العثمانية) ، أو القتل (ذبحًا ، أوحرقًا ، أوصَبرًا - تعذيبًا) : **٣ ملايين نفس** ، وذلك حتى قرار الطرد الأخير ، الذى أصدره الملك فيليب الثالث فى ٩ إبريل ١٦٠٩م .

- ولقد استمرت عملية الطرد ، خمس سنوات ، أى حتى ١٦١٤م ، ليبلغ عدد المطرودين خلال السنوات الخمس الأخيرة وحدها (١٦٠٩ : ١٦١٤م) : **مليون نفس**، وبذلك طويت صفحة الوجود الحضارى الإسلامى فى الأندلس .

الباب الثانى

" محاكــم التفتيـــش الكنسيّة الكاثوليكيـة "

محتويات هذا الباب :

- **تمهيد :**
  - قرار إيزابيلا ١٥٠١م بتنصير مسلمى غرناطة أو تهجيرهم .
  - قرار فيليب الثانى ١٥٧١م بتشتيت مسلمى غرناطة فى أنحاء إسبانيا .
  - قرار فيليب الثالث ١٦٠٩ م بطرد العرب من إسبانيا طردًا جماعيًا .
  - ٣ ملايين مسلم : هم جملة مَنْ طردوا من المسلمين من إسبانيا . فى الفترة ١٤٩٢ : ١٦٠٩م (خلال ١١٨ سنة بعد سقوط غرناطة).
  - مليون مسلم : هم جملة من طردوا جماعيًا من إسبانيا فى الفترة من ١٦٠٩ : ١٦١٤ م (بعد قرار الطرد الجماعى سنة ١٦٠٩م) .
  - الموريسكيون .
- **الفصل الأول – نماذج من قصص تعذيب المسلمين ، فى قاعات محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية :**
  - القصة الأولى .
  - القصة الثانية .
  - القصة الثالثة .
  - القصة الرابعة .
- **الفصل الثانى – نظراتٌ فى محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكيّـــة فى إسبانيـا والبرتـغال :**
  - قضاةٌ ، أم ذئابٌ بشرية ؟
  - الأحقاد الكاثوليكية التاريخية والدينية . وكيفية تنفيس زبانية الكنيسة عنها .
  - حادثة كوبرنيكوس .
  - حادثة جان فرانسوا لابار .
  - حادثة ميخائيل سرفتيوس .
  - طرق التعذيب فى محاكم التفتيش .
  - الكاردينال خمينيث .
  - موجزٌ بالقرارات والمراسيم الملكية .
  - منبحة لشبونـــة ، وديـــوان التفتيش المقـدس ، والظروف التى نشأت فيها محاكم التفتيش هناك .

الباب الثانى

" محاكــم التـفتيــش الكنسيّة الكاثوليكيـة "

CATHOLIC CHURCH INQUISITION

- وسِجلٌ حافلٌ بالـهَمَجيّة والكُفر الصّريح ،
- وثمار تعاليم المحبة المسيحية المزعومة ،
- وأسوأ حِقب التاريخ الإنسانىّ كُله دَموية ،
- وأكبرُ المؤسّسات البشرية السّيئة السّمعة ،
- والصفحات السّود فى التاريخ الأوروبىّ كُله .

يقول فيها ،

المُستشرق الفرنسى المُنصِف ، د. جوستاف لوبون ، صاحب " حضارة العرب " :

" يستحيل علينا أن نقرأ ، دون أن ترتعد فرائصنا ، قصص التعذيب والاضطهاد التى قام بها نصارى الأندلس ، فلقد عَمّدوا المسلمين عُنوة وسَلموهم لمَحاكم التفتيش ، التى أحرقتهم أحياءً "

- **تمهيــد :**
- **إيــزابيــلا :** ملكة قشتالة ، التى أثِر عنها قولها : **[إن حُبّ المسيح والعذراء مريم ، جعلنى أقدِمُ على ارتكاب أعمال أدت إلى بؤس وشقاء ، بل وخراب البلاد والمُلك]** كأنّ المحبة عند - ملوك - الكاثوليك ، سَببٌ أكيدٌ للبؤس والشقاء والخراب ، تُرى كيف الحال عندهم بغير مَحبّـة ؟!
- **وفــردينانــد :** ملك أوراجون ، الذى قام هو وزوجته إيزابيلا ، فى سنة ١٤٧٩م (قبل سقوط غرناطة على يديهما فى ١٤٩٢م) بتوحيد مملكتيهما فى مملكة واحدة ، هى مملكة إسبانيا ، وكان كلاهما متعصبًا أشد التعصب للكاثوليكية ، مُنقادًا للكهنة وعلى رأسهم بابا الكاثوليكية ، القابع فى روما ، مركز الكاثوليكية فى العالم . للمزيد ، راجع كتابنا : " رؤية جديدة فى تاريخ ، الإسلام فى إسبانيا وفرنسا ، وصِقلية وجنوب إيطاليا " .
- **وتوماس دى تركمادا :** أحد الكهنة الذين كان لهم تأثيرٌ بالغٌ على إيزابيلا قبل أن ترتقى عرش قشتالة ، وقد أخذ عليها عهدًا مُبكرًا ، إن ارتقت العرش أن تعمل فى إخلاصٍ على استئصال الكُفر وأسبابه من مملكتها بالكُلية (الكفرة

عنده : هم من لا يدينون بالكاثوليكية وحدها ، من البروتستانت والمسلمين واليهود ، والعلماء الذين يرون العلم فى غير الكتاب المُقدس) .

- ولقد حرص هذا الكاهن المُتعصّب على التخلص ممن لا يدينون بإخلاصٍ للكاثوليكية ، بكل الفواجع من السُبل ، وكانت الملكة مُنقادة له كالخاتم فى الأصبع ، فأقنعت زوجها فرديناند بما أملاه عليها هذا الكاهن الشرير .
- فاستصدر فرديناند فى ١٤٧٨م أمرًا من البابا : سِكْتُوس الرابع ، يقضى بإنشاء ديوان تفتيشٍ مُقدس (يرأسه البابا) فى قشتالة ، وإنشاء ديوان تفتيشٍ مقدسٍ آخر فى إشبيلية .
- وبأمرٍ من البابا : بنقو الرابع ، أصبح تركمادا فى ١٤٤٣م رئيسًا عامًا لديوان التفتيش فى كافة أنحاء إسبانيا ، فكان أول رئيسٍ لهذا الديوان ، وهذا الكاهن من أسرة عُرفت بالغلظة والقسوة ، وكان كثيرٌ من أجداده جلادين فى بلاط الملوك السابقين ، وقد جاء هذا الكاهن ليفوق أجداده غلظة وجبروتًا ، وتتواتر الأخبار بسيرته البشعة فى فنون التعذيب وتصميم آلاته .
- وهو - الكاهن - الذى اعتاد الاعتداء على عفاف الفتيات الجميلات ثم قتلهن ، فما كان من إحداهن إلا أن غافلته بعد اعتدائه عليها ، فدسّت له السّم فى خمر ناولته إياه وهى تتدلل بين يديه ، فمات من فوره ، ورغم موته على هذه الصورة فقد أدخله بابا روما فى حظيرة القديسين، نعم فى حظيرة القديسسن.

- **لا تبتئس أخى القارئ ، فهذه هى النصرانية بأعاجيبها ، فقد شاهد جيلنا كيف أن الكنيسة البريطانية (الإنجليكانية - البروتستانتية - الإنجيلية) كانت تنوى أن تُطن الأميرة : دَيَانا (زوجة الأمير : تشارلز ولى العهد البريطانى) قديسة بناءً على طلب الجماهير بعد مصرعها ، هذا رغم اعترافها أمام العالم بأسره على قنوات التلفاز ، أنها خانت زوجها قبل طلاقها منه .**
- **كما كانت عشيقة فى العلن بعد طلاقها ، ولسنوات طويلة سِنين عددًا – أمام الإعلام العالمى بشتى وسائله المقروءة والمسموعة - لدودى ابن الملياردير المصرى الأصل البريطانى الجنسية : محمد الفايد، قبل أن تقتلها المخابرات البريطانية بترتيب مع المخابرات الفرنسية بأمر الملكة إليزابث - ملكة بريطانيا - فى باريس، لكونها كانت حاملاً سِفاحًا من دودى، وتنتظر مولودها المُسلم بعد بضعة شهور . عاهرة هى إذًا ! ومع هذا فلا مانع من رسمها قديسة !.**
- **ذلك المولود الذى كان من المؤكد أنه كان سيحمل اسمًا إسلاميًا (مُحمد ، على اسم جده) وهذا المحمد سيكون بالطبع أخًا لولى عهد بريطانيا العظمى ، فمنعت الملكة الكنيسة من الإقدام على رسمها قديسة ، كما منعت الملكة الأميرة ديانا - إلى الأبد - من أن تُنجب إخوة مسلمين لورثة العرش البريطانى - الإنجليكانى - البروتستانتى - الإنجيلى - فقتلتها ومعها جنينها المُسلم .**

- هذا الشرير قد أقدم خلال حياته فى ١٧ عامًا فقط ، فى إسبانيا وحدها على **حرق ١٧ ألف مسلم** ، وبعد موته فى ١٤٨١م أصدر البابا أمره بأن تكون أحكام محاكم التفتيش باسمه شخصيًا ، لتكون الأحكام مُقدّسة ، كما شكل أعضاء الديوان ومحاكم التفتيش من جميع طبقات الرهبان والكهنة .
- ولقد عَرفت أوروبا محاكم التفتيش قبل ظهورها فى إسبانيا بنحو قرنين ، حينما أصدر البابا جريجورى التاسع ١٢٣١م مرسومًا بتشكيل "محكمة التفتيش المقدسة"، لملاحقة الهراطقة والسّحرة والمُشعوذين .
- ثم ظهرت فى إسبانيا مُتأخرًا بقرارٍ من البابا : سِكتوس الرابع ١٤٨٠م (قبل سقوط الحكم العربى فى غرناطة بنحو ١٢ سنة = ١٤٨٠ - ١٤٩٢ م) بناءً على طلب ملكى إسبانيا : فرديناند وإيزابيلا ، فظهرت ١٤ محكمة كانت أولاها فى إشبيلية ١٤٨٠م بغرضٍ أساسى : هو ألا يبقى على أرض إسبانيا غير الكاثوليك وحدهم .
- **قرار الملكة إيزابيلا** : أصدرته فى ١٢ أكتوبر ١٥٠١م - بعد إخماد ثورة ١٤٩٩م - يقضى بتنصير مسلمى غرناطة أو إخراجهم من إسبانيا خلال ٣ شهور ، وحَرْق كتب التراث الإسلامى وتحويل المساجد إلى كنائس ، فظهرت طائفة كبيرة من المسلمين المُتنصرين ظاهرًا عُرفت بالمورسكيين ، **وكلمة المورسكيين تصغير لكلمة مورو - فى لغة قشتالة - وتعنى الحَقِير ، وجمعها الحِقار أو الحُقرَاء .**
- ولكون المورسكيين قد عانوا طويلًا من الملاحقة البربرية من محاكم التفتيش ، قامت ثورة ثانية فى غرناطة (١٥٦٨ : ١٥٧١م)، بقيادة الأمير الأموى محمد بن أمية .
- **قرار الملك فيليب الثانى** : أصدره بعد إخماد الثورة ، فى ٢٢ نوفمبر ١٥٧١م ويقضى بطرد المورسكيين من غرناطة وتشتيتهم فى أنحاء إسبانيا بعد مُصادرة أملاكهم ، ولقد كان هذا القرار بغرض صهرهم وتذويبهم قِسرًا فى المجتمع النصرانى الإسبانى ، كما طالب فيليب الثانى محاكم التفتيش بدوام مراقبتهم ، وتقديمهم للمحاكمات بدعوى الخيانة العظمى لاتصالهم بالمغاربة والعثمانيين .
- **قرار الملك فيليب الثالث :** أصدره فى ٩ إبريل ١٦٠٩م ، ويقضى بطرد العرب المسلمين من إسبانيا طردًا جَماعيًا بعد أن فشلت محاكم التفتيش فى تذويب المورسكيين فى المجتمع الكاثوليكى الإسبانى .
- **٣ ملايين مسلم :** عدد المسلمين الذين قُتلوا ونُصّروا وطردوا من إسبانيا خلال ١١٨ سنة ، من تاريخ سقوط الحكم العربى فى الأندلس ١٤٩٢م إلى أن أصدر

فيليب الثالث فى ١٦٠٩ م قرار الطرد الجماعى الجائر، وتم تنفيذ القرار بطريقة بربرية أثناء نقلهم بالبحر ، إلى شواطئ المغرب العربى ومصر والشام والدولة العثمانية وبعض الشواطئ الأوروبية .

- **مليون مسلم :** هم عدد المسلمين الذين تم طردهم خلال خمس سنوات ، بعد قرار الطرد الجماعى الجائر فى ١٦٠٩ وحتى ١٦١٤ م .
- **وبذلك طويت فى ١٦١٤م** آخر صفحة من صفحات الوجود العربى الحضارى فى الأندلس ، ومع ذلك ظلت محاكم التفتيش فى إسبانيا النصرانية ، تُطارد من توارى عن أنظارها من المورسكيين المسلمين وكذلك اليهود والبروتستانت ، حتى الاحتلال الفرنسى لإسبانيا حين أصدر نابليون أمرًا بإلغائها ١٨٠٨ م ، لكنها لم تلفظ أنفاسها السّامّة إلا فى ١٥ / ٧ / ١٨٣٤م .
- **الموريسكيون :** وفى ٢٠٠٩م وهو مناسبة مرور ٤٠٠ سنة على قرار الطرد الجماعى للعرب من الأندلس ، قدم البرلمان الإسبانى مشروع قرارٍ بردّ الاعتبار لأحفاد المورسكيين - دون اعتذار أو تعويض أو الحق فى الحصول على الجنسية الإسبانية - وهم الموجودون اليوم فى المملكة المغربية (٤ ملايين مسلم من إجمالى ٣٥ مليون مغربى حسب تعداد ٢٠٠٧ م) ويعيشون على الشواطئ المغربية خاصة شواطئ مضيق جبل طارق بين سبتة وطنجة .
- لكن هذا المشروع لم يُساويهم باليهود السفارديم الذين طردوا من الأندلس بعد سقوط الحكم العربى هناك ١٤٩٢م ، حيث قدمت إسبانيا ١٩٩٢م اعتذارًا لأحفاد هؤلاء اليهود ، كما أعلنت فى ٢٠١٢م حق هؤلاء الأحفاد - أحفاد اليهود - فى الحصول على الجنسية الإسبانية . لكنه الهوان العربى الذى لم يُساوينا حتى باليهود الذين هم أسوأ ما حمل كوكب الأرض .
- وفى سبيل ذلك عقد الموريسكيون المغاربة أول مؤتمراتهم فى ٢٠٠٢ م لمطالبة إسبانيا بحقوقهم التاريخية ، كما بدأت بين المؤرخين الإسبان دعوات تنادى بأن الموريسكيين لم يكونوا غرباء عن البلاد ، وإنما هم إسبانيون اعتنقوا الإسلام ، وهناك توجه آخر بينهم يقول إن الموريسكيين عربٌ مسلمون جاءوا مستعمرين وتم طردهم من حيث أتوا .

- وقد يكون من المفيد ، الاسترشاد بما قاله **د. جوستاف لوبون** فى هذا الشأن ، فى ص ١٧٠ ، بمُصنّفه البديع : **" حضارة العرب "** الذى صدر فى عام ١٨٨٤م :

- << وعاهد فرديناند العرب على منحهم حرية الدين واللغة ، ولكن سنة ١٤٩٩م لم تكد تحل ، حتى حل بالعرب دور الاضطهاد والتعذيب الذى دام قروناً ، والذى لم ينته إلا بطرد العرب من إسبانيا .
- وكان تعميد العرب (غسلهم من خطيئة آدم ، بحسب خُزعبلات العقيدة النصرانية) يجرى كَرهًا فاتحة ذلك الدور ، ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثيرٍ من المُعَمّدين (الذين أجبروا على التنصُّر) على أنهم من النصارى ، ولم تتم عملية - التطهير - بالنار إلا بالتدريج ، لتعذُّر إحراق الملايين من العرب دُفعة واحدة .
- **ونصح كردينال طُليطلة – التقىّ – الذى كان رئيسًا لمحاكم التفتيش ، بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخًا ، ولم ير كذلك الرّاهب الدومينيكى (دومينيكىّ الأصل) : " بليدا "، الكفاية فى ذلك ، فأشار بضرب رقاب من تنصّر من العرب ، ومن بقى على دينه منهم .**
- **وحُجة الراهب بليدا فى ذلك : أنه من المستحيل معرفة صدق إيمان ، مَن تنصّر من العرب ، ومن بقى على دينه منهم ، فمن المُستحبّ إذًا ؛ قتل جميع العرب بحد السيف ، لكى يحكم الرب بينهم فى الحياة الأخرى ، ويُدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم .**
- ولم تر الحكومة الإسبانية أن تعمل بما أشار به هذا الدومينيكىّ ، الذى أيده الإكليروس (رجال الدين : كهنة الكنائس ، ورُهبان الأديرة) فى رأيه ، وذلك لما قد يُبديه الضحايا من مُقاومة .
- وإنما أمرت فى سنة ١٦٠٩م بإجلاء العرب عن إسبانيا ، فقُتِل أكثر مُهاجرى العرب فى الطريق ، وأبدى ذلك الراهب البارع - بليدا - ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين فى أثناء هجرتهم ، وهو الذى قتل مائة ألف مُهاجر من قافلة واحدة ، مؤلفة من ١٤٠ ألف مهاجر مسلم كانت مُتجهة إلى الشمال الأفريقى وخسرت إسبانيا بذلك من رعاياها فى بضعة أشهر :

" مليون مسلم " .

ما زال الحديث للدكتور جوستاف لوبون .

- ويُقدر كثيرٌ من العلماء ومنهم سيديّو عدد المسلمين الذين خسرتهم إسبانيا ، منذ أن فتح فرديناند غرناطة ١٤٩٢م ، حتى إجلائهم الأخير فى ١٦٠٩م :

" بثلاثة ملايين مسلم ".

- ولا تُعدّ **مذبحة سان بارتلمى** إزاء تلك المذابح سوى حادثٍ تافهٍ لا يُؤبه به ، ولا يسعنا سوى الاعتراف : بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين ، من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتل ، كتلك التى اقتُرفتْ ضد المسلمين ، ومما يُرثى له أن إسبانيا قد حُرمت عمدًا ، **هؤلاء الملايين الثلاثة** ، الذين كانت لهم إمامة السكان الثقافية والصناعية .
- **ثم رأت محاكم التفتيش أن تُبيد كُل نصرانى** ، ترى فيه شيئًا من النباهة والفضل ، فكان من نتائج هذه المظالم المُزدوجة ، أن هبطت إسبانيا إلى أسفل دركات الانحطاط ، بعد أن بلغت قمة المجد ، وأن انهار معًا كُل ما كان فيها من الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والآداب والسكان .
- وها هى قد مضت عدة قرون على ذلك الدور من غير أن تستطيع إسبانيا أن تنهض من هبوطها، وسيلمس القارئ مقدار الانحطاط الذى أسفر عن إبادة العرب ، وإذا كُنت قد أشرت إلى ذلك ، فلأن شأن العرب المدنى لم يبدو فى قطرٍ ملكوه كما بدا فى إسبانيا .
- إسبانيا التى لم تكن ذات حضارة تُذكر قبل الفتح العربى ، فصارت ذات حضارة ناضرة فى زمن العرب ، ثم هبطت إلى الدّرْك الأسفل من الانحطاط بعد جلاء العرب .
- فقد كانت إسبانيا النصرانية ذات رخاءٍ قليل ، وثقافة لا تُلائم غير الأجلاف فى زمن ملوك القوط ، فلم يكد العرب يُتمون فتح إسبانيا ، حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة فيها ، فاستطاعوا فى أقل من قرن ؛ أن يُحيوا ميّت الأرضيِن ويَعْمروا خرب المدن ويُقيموا فخم المبانى، ويُوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب ، ويُترجمون كُتُب اليونان واللاتين ، ويُنشئون الجامعات ، التى ظلت وحدها ملجأ للثقافة فى أوربا زمنًا طويلاً >>.

انتهى تعليق د. جوستاف لوبون .

....

- **<u>مذبحة سان بارتلمى</u> : وقعت فى فرنسا (فى باريس العاصمة ، وسائر المدن الفرنسية) ، بتدبير من الكنيسة الكاثوليكية فى روما ، والملك شارل التاسع ملك فرنسا ، للقضاء على الذين تحولوا إلى المذهب البروتستانتى (الإنجيلى – الإنجليكانى) ، الذى أقامه الكاهن الألمانى المنشق عن الكنيسة الكاثوليكية ١٥٢١م .**
- **وقد بلغ عدد القتلى فى باريس وسائر المدن الفرنسية نحو ٣٠ ألف بروتستانتى ، وهناك تقديراتٌ أخرى ترتفع بالرقم إلى ٦٠ ألف بروتستانتى فرنسى .**

الباب الثانى
(محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية)
الفصل الأول
نماذج من قصَص تعذيب المسلمين ، فى قاعات ومحارق محاكم التفتيش الكنسيّة الكاثوليكية
(أربع قصصٍ مُختارة)

- سنكتفى هنا بذكر أربع قصصٍ ، من القصص التى أجمعت على روايتها المراجع التى سَجلت موضوع محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، فى شبه جزيرة أيبيريا (الأندلس – إسبانيا والبرتغال) ، لِتُكوّن مع مجموعة الصور البشعة ، التى صَدّرنا بها صفحات كتابنا ، صورة حقيقية لما جرى فى محاكم التفتيش فى الأندلس ، ذلك الفردوس الذى فقدناه ، بالفُرْقة المُتأصلة فينا ، والتى صارت - بكُل الأسف - واحدة من سَجايانا :
- **القصة الأولى - وهى القصة التى كان راويها الكولونيل الفرنسى ، ليمونسكى :** وهو أحد ضُبّاط الحملة الفرنسية على إسبانيا ، ننقلها كما وردت فى عددٍ من المراجع ، التى عرضت موضوع محاكم التفتيش فى إسبانيا والبرتغال :
- " كُنت فى ١٨٠٩م ، مُلحقًا بالجيش الفرنسى الذى كان يُقاتل فى إسبانيا ، وكُنت مع فرقتى فى الجيش الفرنسى الذى احتل العاصمة مدريد ، وكان الإمبراطور : نابليون ، قد أصدر مرسومًا فى ١٨٠٨م ، يقضى بإلغاء دواوين التفتيش ومحاكم التفتيش التابعة لها فى المملكة الإسبانية .
- ولكن هذا الأمر أهمل ولم يُعمل به ، بسبب ظروف الغزو والاضطرابات السياسية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ، وعلى ذلك صمّم الرهبان الجزويت (اليسوعيين) أصحاب ذلك الديوان ، أن يَقتلوا ويُعذبوا كُل فرنسى يقع فى أيديهم انتقامًا من ذلك القرار ، بغرض إلقاء الرعب فى قلوب الفرنسيين بطريقة تضطرهم إلى الرحيل عن البلاد .
- وبينما كُنت أسير فى إحدى الليالى ، بين الساعة ١٠ و ١١ ، فى أحد شوارع مدريد الذى لا يمر الناس فيه كثيرًا ، إذ باثنين مسلحين قد هجما علىّ يبغيان قتلى ، فدافعت عن نفسى دفاع المُستميت .

- ولم أفلتْ من القتل إلا بسبب مرور دورية فرنسية من الخيّالة ، تطوف البلد طول الليل بالمصابيح لحفظ النظام ، فلاذ القاتلان بالفرار ، وتبيّن لنا فيما بعد أنهما من رُهبان ديوان التفتيش ، عرفنا هذا من ملابسهما المُميّزة .

- **الرّهبان : يعيشون فى الأديرة ، أما الكهنة : فيعملون فى الكنائس ، و " ديوان التفتيش " يرأسه الملك ، فإذا رأسه البابا يُسمى " ديوان التفتيش المُقدس "، وديوان التفتيش : هو الذى يُصدر الأوامر بتشكيل : محاكم التفتيش ، فى المُدن المختلفة بحسب الضرورات التى يراها ، كما يقوم بتحويل القضايا إليها ، من خلال المُخبرين السرّيين الذين يوالونه بالمعلومات .**

- **فلديوان التفتيش جنودٌ من الرهبان والكهنة الكاثوليك ، يقومون بدور المُخبر السرّى SECRET AGENT ، يبحثون عن الهراطقة والسّحرة الكاثوليك ، والكاثوليك الذين تحوّلوا إلى المذهب الإنجيلى (البروتستانتى - الإنجليكانى - أتباع الكاهن الألمانى مارتن لوثر)، والعلماء الأعلام من أمثال جاليليو وكوبرنيكس، والمسلمين واليهود الذين لم يتنصّروا على المذهب الكاثوليكى .**

- فأسرعت بنفسى ألتقى الماريشال (المُشير) : سولت ، الحاكم العسكرى لمدريد ، فلما أطلعته على ما حدث ، غضب غضبًا شديدًا ، وقال : أنا لا أشك بأن مَن قُتل ويُقتل من الجنود الفرنسيين كل ليلة ، إنما يكون بأيدى أولئك الأشرار ، فلا بُدّ لنا من مُعاقبتهم وتنفيذ قرار الإمبراطور نابليون .

- ثم أضاف ، والآن عليك أن تأخذ معك ألف جُندى ، وأربعة مدافع ، وتُهاجم ديوان التفتيش ، وتقبض على هؤلاء الرهبان الأبالسة ، تمهيدًا لمُحاكمتهم أمام مجلسٍ عسكرى .

- وعند الساعة الرابعة صباحًا ، كُنت على رأس الحملة العسكرية ، أقصد ديوان التفتيش الذى كان مقره أحد الأديرة ، الذى كان يبعد ٥ أميال عن مدريد العاصمة ، وفاجأنا الدير والرهبان ، الذين شاهدوا جنود الحملة والمدفعية المُصاحبة .

- كان الدير بناءً ضخمًا أشبه بمبانى القلاع ، له أسوارٌ عالية يحرسها جُند اليسوعيين (الجزويت) ، فتقدّمت من باب الدير وخاطبت الحارس الذى كان واقفًا على السور فوق الباب ، وأمرته باسم الإمبراطور نابليون أن يفتح الباب ، وبدا لى أن الحارس قد التفت إلى الداخل وراح يتحدث إلى أشخاص لا نراهم .

....

- **الجزويت : هى فرقة كاثوليكية فرنسية يسوعية - نسبة إلى يسوع المسيح - أسسها راهبٌ فرنسى مُتعصب ١٥٢٣م ، لمحاربة المذهب البروتستانتى (الإنجيلى – الإنجليكانى) الذى أقامه الراهب الألمانى : مارتن لوثر ١٥٢١م، بعد أن طردته - حرمته - الكنيسة الكاثوليكية ١٥١٧م.**

- فلمَّا انتهى الحارس من حديثه أمطرَنا بوابلٍ من الرصاص ، ثم انهالت علينا نيران البنادق من جهاتٍ عديدة ، فقُتِل بعض رجالى كما جُرح العديد منهم ، عندئذٍ أصدرت أوامرى لقواتى بإطلاق الرصاص واقتحام الدير عُنوة ، ثم أصدرت أوامرى للمدفعية بضرب أسوار الدير وأبوابه .
- وقد اتخذ جنودى أثناء الهجوم ، ألواح الأخشاب السميكة لتقيهم من وابل النيران التى فتحها علينا حُرّاس الدير ، ودامت معركة اقتحام الدير نحو نصف ساعة ، انتهت بفتح ثغرة فى الأسوار وَلِجَتْ منها القوات الفرنسية التى سيطرت على الدير بالكامل .
- أسرع رُهبان الدير الجزويت (اليسوعيين)، يُرحبون بنا كأن شيئًا لم يحدث ، مُستفهمين عن سبب قدومنا على هذا الحال ، كأن لم يكن قتالٌ بين جنودنا وجنودهم **!!** ثم انهالوا على جنودهم تعنيفًا وتأنيبًا لمُقاومتهم لنا ، وقالوا : إن الفرنسيين أصدقاءٌ لنا ، فمرحبًا بهم **!!** .
- ولكن لم تنطل حيلتهم علىّ ، بل أمرت الجنود بالقبض على هؤلاء الرهبان المُنافقين ، وعلى جنودهم لتقديمهم لمجلسٍ عسكرى ، ثم دلفنا إلى الداخل نبحث عن : " **قاعات التعذيب المشبوهة** "، التى جرى بها من صُنوف التعذيب ما تقشعرّ من هوله الأبدان وتتقزز منه النفوس .
- وطفنا غُرف الدير ، وشاهدنا ما بها من الأثاث الفاخر والرّياش والكراسى الهزّازة، والسجاجيد الفارسية، واللوحات الثمينة النادرة ، والمكاتب الكبيرة ، وقد صُنعت أرض تلك الغرف من خشب المُجنة الفاخر، المصقول والمدهون بالشمع بطريقة رائعة .
- وكان شذا العطور الفاخرة يُعبق أرجاء تلك الحجرات الفاخرة ، الشبيهة بأبهاء القصور الواسعة ، التى لا يحوزها إلا الملوك والأمراء الذين اعتادوا الترف واللهو ، ولقد علمنا أن تلك الروائح العطرية ، كانت تنبعث من شمع معجونٍ بماء الورد ، موقدٌ دائمًا أمام صور تلك العصابة اليسوعية .
- وكاد مجهودنا يذهب سُدىً فى مُحاولة العثور على قاعات التعذيب ، بعد أن فحصنا كُل غُرف الدير وممرّاته وأقبيته ، ولم نجد شيئًا يدل عليها ، فعزمنا على الخروج من الدير ، وكِدنا نقنع بتقديم أولئك اليسوعيين أمام المجلس العسكرىّ بتهمة المُقاومة فقط ، وهم الذين كانوا يُقسمون ويُؤكدون أن وجود

ما يُشاع عنهم من أمور فى دينهم ، ليس إلا تُهمة كاذبة باطلة ، وحديث خُرافة ، وهم يتحملون ذلك فى سبيل الله !!

- وصار زعيمهم يُؤكد لنا ما يقول بصوتٍ خافت وهو خاشع الرأس ، وعيناه مُغرورقتان بالدمع الهتون (الغزير)، وهى ولا شك دموع التماسيح ، فقد أوشكوا أن يخدعوننا ، فأعطيت الجنود الأوامر بالاستعداد لمغادرة الدير ، ولكن اللفتنانت (المُلازم) : " دى لِيلْ "، استمهلنى قائلاً : " أتسمح لى يا حضرة الكولونيل (العقيد) أن أقول لك إن مُهمتنا لم تنته بعد .

- فقلت له ألم نُفتّش كُلَّ غرف الدير ولم نعثُر على شيء ؟ ففيم ترغب ؟ ، قال : أجل لقد فتشنا ، ولكنى أرغب فى فحص أرضية هذه الغرفة ، بل وأدقق فى فحصها ، فإن قلبى يُحدثنى بأن السّر هو فى الأرض !! وأن هذه الغرف الفخمة تستر تحتها ، ما جِئنا نبحث عنه .

- وعندها نظر الرهبان بعضهم إلى بعض ، نظرات لا تُخطئها العين لكونها ذات معنى ، فأذنت للضابط بالبحث ، فأمر الجنود برفع البُسُط والطنافس والسجاجيد عن الأرض فرُفعت ، ثم أمرهم أن يصبوا الماء صبًا على أرض كافة الغُرف ، ففعلوا ، فإذا بالأرض تبتلع الماء بشراهة فى إحدى الغرف .

- فصفّق الضابط من شدة الفرح ، قائلاً : انظروا ، فإذا ببابٍ قد ظهر فى قاع الغرفة له حلقة صغيرة ، قد وُضِعت إلى جانب قائم مكتب الرئيس ، فاندفع الجنود يكسرون الباب بكعوب بنادقهم ، ثم حاصروا عصابة اليسوعيين الذين اصْفرّت وجوههم وخارت قواهم ، من أثر الخوف والفزع .

- **وفُتِح الباب :** فظهر لنا سُلم يؤدى إلى باطن الأرض ، فأسرعت أنا وأخذت شمعة كبيرة قد تجاوز ارتفاعها المتر (قال لى أحد اليسوعيين : أرجوك يا بُنىّ لا تحمل الشمعة بيدك الملوثة بالدم ، فإنها شمعة مُقدّسة !!) فظهرت صُور أعضاء ديوان التفتيش المُقدس ، وأعضاء محاكم التفتيش الكنسية .

- ولم يفتنى أن أجيب اليسوعى ، بقولى : حقًا يا هذا ! إنه لا يليق بيدى أن تتنجّس بلمس شمعتكم المُلوّثة بدماء الأبرياء ، وسنرى الآن مَنْ هو النجس منّا ! ومن منّا القاتل سفاك الدماء!! .

- وتبعنى إلى أسفل باقى الضباط والجنود شاهرى أسلحتهم ، حتى وصلنا إلى آخر الدّرَج ، فإذا بنا فى غرفة كبيرة مُربعة ، كانت تُسمى عندهم بقاعة

المحكمة ، في وسطها عمودٌ من الرخام ، به حلقة حديدية ضخمة ، رُبطت بها سلاسل ، كانوا يُقيّدون فيها فرائسهم التي تكون رهن المُحاكمة .

- وأمام ذلك العمود : " **عرش الدينونة** " كما كانوا يُسمّونه هم ، وهو عبارة عن منصة عالية ، ليجلس عليها رئيس الديوان - ديوان التفتيش - وإلى جوار ذلك المقعد المرتفع أماكن لجلوس القضاة ، وكانت أوطأ قليلاً من المقعد .
- ثم توجهنا لغرف آلات التعذيب وتمزيق الأجساد البشرية ، وقد امتدت تلك الغرف إلى مسافاتٍ بعيدة تحت الأرض ، وكان بها ما يستثير النفس ويدعوها للتقزز ما عاشت وامتد بها العمر .
- **فقد رأينا غرفًا صغيرة بحجم الإنسان ، بعضها عمودى وبعضها أفقى ، فيبقى سجين العمودية واقفًا على رجليه حتى يُقضى عليه ، ويبقى كذلك سجين الأفقية مُمدّدًا حتى يموت ، وتبقى الجثة في تلك السجون الضيقة حتى يُصيبها البلى ويَفْسَقُ اللحم عن العظم . ولتصريف الروائح الكريهة ، المُنبعثة من الأجسام البالية ، فُتحت كُوّة صغيرة إلى الخارج .**
- ولقد عثرنا على عدة هياكل بشرية ، كانت لا تزال في أغلالها سجينة مُقيّدة ، أمّا السجناء فرجال ونساء ، تفاوتت أعمارهم بين ١٤ و ٧٠ ، وقد تيسر لنا فِكَاك بعض السجناء الأحياء من أغلالهم وهم في آخر رمق من الحياة ، وقد جُنّ بعضهم من آثار الخوف والهلع ، لكثرة ما لاقوه من العذاب .
- **وكان السجناء عرايا زيادة في النكاية بهم** ، وقد اضطر الجنود أن يخلعوا أرديتهم ليستروا بها عورات النساء السجينات ، وأخذنا السجناء إلى النور تدريجيًا ، حفظًا على أبصارهم ، وقد أخذ السجناء يبكون فرحًا ، ثم راحوا يُقبلون أيدى جنودنا .
- ولمّا انتهينا من ذلك ، توجهنا إلى غرف آلات التعذيب ، فرأينا هُناك ، ما تقشعرّ له الأبدان ، فقد عثرنا على ما يلي :

١- **آلات تكسير العظام وسحق الأجسام** : وكان يُبدأ بسحق عظام الأرجل ، ثم عظام الصدر والرأس واليدين ، كُل ذلك على سبيل التدريج حتى تأتي الآلة على كُل الجسد ، فيخرج من جانبها الآخر كُتلة واحدة من اللحم المفروم والعظم المطحون .

٢- **آلات صندوق الرأس :** صندوقٌ فى حجم رأس إنسان ، توضع فيه رأس المسلم بعد أن تُربط أطرافه بالسلاسل ، فلا يقوى على الحركة ، ثم تُقطر على رأسه من ثُقبٍ فى أعلى الصندوق نقط الماء البارد ، فتقع على رأسه بانتظام - فى كل دقيقة نقطة - وقد جُنّ الكثيرون بسبب هذا اللون من العذاب قبل الاعتراف ، ويبقى المُعذب على حاله حتى يموت .

٣- **آلات مَخدع السيدة الجميلة :** وهى عبارة عن تابوت مَرسومٌ فى قاعه صورة امرأة جميلة ، تُصور امرأة نائمة على ظهرها تستجدى عاشقها لعناقها وتدليلها ، وقد برزت من جوانب التابوت سكاكين حادة ، يُطرح فوقها المُسلم ، ثم يَطرحون عليه بعُنف باب التابوت المُدجج بالسكاكين ، فتمزق سكاكين جسم التابوت وغطائه ، بَدَن المُعذّب وتقطعه إرْبًا إرْبًا .

- فلما رأى سكان مدريد صنوف العذاب وآلاته الجُهنمية ، رأى العين ، جُنّ جنونهم وكانوا كالذى مسّته الجن ، فأمسكوا برئيس الدير (رئيس ديوان التفتيش) ، ووضعوه فى آلة تكسير العظام ، وبغير شفقة دقوا عظامه دقًا ، وأمسكوا بنائبه ، وزفوه زفة الأفراح ، ثم ساقوه إلى مخدع السيدة الجميلة ، ثم أطبقوا عليه التابوت لتُمزقه سكاكين التابوت وغطائه تمزيقًا .
- ثم عادوا فأخرجوا الجثتين ، وفعلوا بباقى طُغمة اليسوعيين وبقية رهبان الديوان والدير ، ما سبق أن فعلوه برئيس الديوان ونائبه ، وفى خلال نصف ساعة فقط ، كانت الجموع الثائرة قد قضت على ١٣ راهباً من هؤلاء الأشرار .
- ثم قامت تلك الحشود بنهب الدير ، وقد عثرنا على أسماء ألوف من الأغنياء فى سجلات الديوان السرية ، وهم السُّراة الذين قضى عليهم هؤلاء الأشرار بغرض ابتزاز أموالهم ، وكانوا يضطرونهم إلى كتابة إقراراتٍ تُحوّل بموجبها أموالهم إلى اليسوعيين، فإذا ما تم لهم ذلك عذبوهم وقتلوهم بآلاتهم.
- **ويُمكننى القول :** بأن ذلك اليوم ، كان أعظم أيام التاريخ بعد يوم الباستيل ، وقد عانق الآباء أبناءهم والأبناء آباءهم ، بعد ما مرّ بهم من العذاب ، وقبّلت الأمهات بناتهن اللواتى قُضِىَ على عفافهن اغتصابًا ، كما انهال التقبيل على أيدى وأقدام جُندنا ، خصوصًا من النساء اللواتى انتهكت طُغمة الديوان النجس عفافهن ، واغتصبوهن فى تلك الغُرف اغتصابًا .

- **والحق أقول :** إن القلم واللسان ، ليعجزان عن وصف ما رأيناه فى ذلك الدير، من الفظاعة والبربرية التى لا تخطر على قلب بشر، سوى الشياطين الذين قد يعجزون هم أيضًا عن الإتيان بمثل هذه الأعمال " .

- انتهت شهادة الكولونيل الفرنسي : ليمونسكى ، عن فظائع ديوان ومحاكم التفتيش فى العاصمة الإسبانية مدريد ، أثناء الاحتلال الفرنسى لإسبانيا ، التى كانت جُزءًا من الإمبراطورية الفرنسية الواسعة ، التى أقامها نابليون بونابرت فى أوروبا ، قبل هزيمته فى معركة ووترلو على يَد القائد البريطانى : دوق ولنجتون ١٨١٥م .
- هذه الإمبراطورية الواسعة ، التى شادها فى أوروبا ، هذا القائد العسكرى الإسطورى والإمبراطور الفرنسى : نابليون بونابرت ، لم تُعمّر شيئًا بالمرّة فقد بادت حال حياته بعد هزيمته فى معركة ووترلو ، لأنها لم تكن فتحًا حضارياً ، بل غزوًا استعماريًا ، لاستصفاء خيرات الشعوب ونهب ثرواتها ، أمّا إمبراطورية الإسلام وحضارته : فقد عمّرت القرون الطوال ، فنعمت فى ظلالها الوارفة شعوب الفتح الإسلامى طويلاً .

....

- **وقع الهجوم على سجن الباستيل فى العاصمة الفرنسية باريس ، يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩م ، فى الأيام الأولى من الثورة الفرنسية التى استمرت نحو ١١ سنة : (١٧٨٩ : ١٧٩٩م)، وقد غزا نابليون مصر فى السنة قبل الأخيرة من الثورة الفرنسية (١٧٩٨ : ١٨٠١م) .**

- **القصة الثانية – الحَمِيّة الإسلامية، والعصبية العربية :**
- هذه القصة تكرر ذكرها بعدد كبيرٍ من الكتب ، التى روت قصص محاكم التفتيش فى **البرتغال** ، ونحن حريصون - على طول مَتنها - أن ننقلها كما هى ، حتى يتم المعنى الذى من أجله رُوِيت :
- " قُبض على مُسلم وسيق إلى المُحاكمة ، وكان ثبات ذلك الرجل أمام هيئة المحكمة مَدعاة لزيادة حفيظتهم عليه والمبالغة فى تعذيبه ، فقد أُوقِفَ الرجل أمام هيئة محكمة التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، وقال رئيس المحكمة لجنوده :
- ضعوا الحديد بين أصابعه ثم قدّموه لنا .... ففعلوا ، ولم يستطع ذلك المسكين الوقوف ، لشدة الألم فسقط مغشيًا عليه . فقال الرئيس :
- أوقفوه . فقال أحد الحُرّاس : إنه يا سيدى لا يستطيع الوقوف .
- فقال الرئيس : ضعوه فى التابوت ، فإنه يقف فيه !!

فوضعوه فى التابوت ، وهو صندوقٌ مُربع ، مُغطى بالداخل بمسامير ، فاضطر المُعذب للوقوف برغم ما به من إعياءٍ وضعف ، ثم رفعوا الكمامة التى كانت على فمه ، ليتمكن من الإجابة على الأسئلة ، عندها تنفس المسكين طويلاً ، فأمر الرئيس أن يسقوه قليلاً من الخمر فتفتحت عيناه ، ففحصه الطبيب ، الذى أبلغ المحكمة بأنه قادرٌ على الوقوف والاستجواب ، فبادره الرئيس بالأسئلة الآتية :

- ما اسمك ؟
- أنا مسلم مغربى .
- كلا ... بل اذكر اسمك المسيحى الجديد .
- صموئيل فرناندس !
- إن صموئيل هذا اسمٌ يهودى .
- لقد كان المسيح يهوديًا أيضًا .
- قل صدقًا كم عمرك ؟
- ٣٣ سنة مثل عمر المسيح .
- إذًا أنت مُستعدٌ للتضحية ؟
- بإذن الله .
- أتقبل ذلك وأنت راضٍ ؟

- نعم .
- إذًا قل : من هو إلهك ؟
- هو إلهكم نفسه .
- وما اسمه ؟ الله ... وحده فى سماء ملكوته .
- بل قل معى : يسوع المسيح ..... فأجاب الرجل وهو يرتعد :
- يسوع المسيح .
- يظهر عليك ، أنك قد تأثرت من ذكر هذا الاسم ! أليس كذلك ؟
- أجل .
- وما نوع ذلك التأثير ؟
- تأثير داخلى .
- وماذا قال لك هذا الصوت الداخلى ؟
- لا أدرى ... فإنى الآن لا أدرى ماذا أقول .
- قل ما فكرت فيه بصوتٍ مسموع .
- لا أقدر على الكلام ، لأنى مُتألمٌ جدًا من الضغط على صدرى ، والكلام يكون حسب الاستطاعة .
- ستنظر ذلك جيدًا جدّا . فنظر الكاتب إلى الرئيس مستفهمًا ماذا يقصد .
- فقال الرئيس : أظن ضرب وجهه بالسوط المُبلل بالماء يُمكّنه من الكلام . وسرعان ما جذبه أحد زبانية التعذيب ، وراح يجلده بجلدة سميكة على وجهه، فاحمرّ جلد وجهه وكاد يخرج منه الدم، وجعل يتلوى من الألم ، فقال له أحد الكهنة :
- تعال يا صموئيل ، تقدم واعترف أمامى بكُل خطاياك ، وقل لى : بماذا تُفكر الآن ؟ قل الحق قبل أن يحل بك القصاص . تقدم يا بنىّ : لقد كان اسمك محمداً ، قبل اعتناقك المسيحية ، فلماذا سميت نفسك صموئيل ، ولم تختر اسم قديسٍ مسيحى كبطرس وبولس ؟ ثم نظر إلى الكاتب وقال ، اكتب :
- أين وُلدت ؟
- فى طنجة .
- أإسبانىٌّ أنت ؟
- كنت إسبانيًا .

- ولماذا تقول ، كُنت ؟
- أقول هذا لأنى لست بإسبانى ، لكى أظل إسبانيًا إلى الأبد .
- وأبوك ؟
- ليس لى أب فإنه قد مات .
- وأمك ؟
- ماتت أيضًا .
- وأين ماتا ؟
- فى سجون ديوان التفتيش .
- أحَرْقًا ماتا ؟
- كلا ، بل تعذيبًا حتى تهرأت أجسادهما .
- وبماذا اتهما ؟ لقد كانا بريئين .
- هل لك إخوة ؟
- أظن ذلك .
- كيف تظن ؟ أين إخوتك وأين يُقيمون ؟
- بل قل لى أنت أولاً ، أين ماتوا وأين قُبروا ؟
- يظهر أنك تُريد أن ينفد صبرنا معك ، فسنبدأ بتعذيبك .
- يسوؤنى ذلك .
- إذًا أنت لا تُريد أن تدلنا على باقى إخوتك وأماكن إقامتهم ، فإن الديوان المقدس لا يخفى عليه شيء : إن لك إخوة على قيد الحياة ، وهم يصلون فى مساجد خفية ، ألا تعلم أين هم ؟
- لا أعلم .
- لمّا صدر الأمر بسجنهم هربوا ، ألا تعلم إلى أين ؟
- كلا .
- تذكر جيدًا لعلك تعلم .
- كيف يُمكننى أن أتذكر ، وأنا مُضطرب الفكر ضائع العقل ؟
- يجب أن تُساعدنا على معرفة مقرهم ، حتى نُخلّص نفوسهم .
- على غرار ما تفعلون معى الآن .
- أنت تسكن مع امرأة ، فمن تكون هذه ؟

- زوجتى .
- كيف يُمكنك ادعاء هذا ؟
- هى تُريد أن يكون الأمر كذلك .
- علمنا أنها مسيحية ، وأنت بهذا العمل ، تُخالف آداب ديننا وتنبذ العفاف ، فيجب عليك أن تُسلم زوجتك للديوان المُقدس .
- هل هذا هو العفاف والدين عندكم ؟
- نحن لا نجادلك بل نأمرك .
- إذا كنتم تأمروننى ، فأولى بكم أن تقتلوننى ، وهذا كُل ما يُمكن أن تفعلوه ، وعندئذٍ سوف تُصلى زوجتى من أجلى .
- ويْلكَ يا شقىّ ، ألا تزال مُصرًا على إنكارك ؟ أصلح هفواتك وخطأك يا هذا وإلا فإنك سوف تدفع لعنادك ثمنًا باهظًا .

....

- والآن فلنُتم أعمالنا ، قل لنا أين إخوتك وأين زو جتك ؟
- هم فى مكانٍ أمين .
- ألا تُريد أن تعترف بأكثر من هذا ؟
- إنى أعترف إلى الله خالقى فحسب ، أنتم تُعذبوننى والله يعلم أنى برىء .
- سوف تُساق إلى التعذيب الآن ، فأولى لك الإقرار .
- لا يعنينى العذاب ، فإن جسمى مُخدّرٌ لا يشعر .
- إذا لم تُجب على ما سألناك الآن ، فسوف تُسقى الماء رغم أنفك ، وسوف يُدفع إليك من خلفك حتى يُقضى عليك .
- لقد احترقت رجلاى بناركم ، فلم أمت حتى الآن . فقال أحد القساوسة ، وهو يتصنّع الرقة والعطف وبصوتٍ مُتكلف :
- اعلم يا بنى ، أننا لا نرمى من وراء تعذيبك إلا الإقرار عن بقية أهلك الذين تُحبهم ، وبذلك تُنجى نفسك ونفوسهم ، ونصعد بكم إلى السماء !
- إذا صعدنا نحن إلى السماء ، فمن يهوى بكم إلى الجحيم وبئس القرار ؟
- عندئذٍ أشار أحد أعضاء المحكمة بيده إشارة سريعة إلى المُعذّبين أصحاب الثياب السوداء ، الواقفين أمام آلات التعذيب ، فهجموا عليه وأخذ البعض

يضع الحبال فى يديه وصدره معًا ، ويلفها لفًا ، وآخرون ربطوا رجليه بحبل ثم وضعوه على منضدة خاصة وأعادوا ربطه عليها ربطًا وثيقًا .

- ثم تقدم أحد هؤلاء المُعذّبين وهو يحمل جرة ماء ، وتقدم آخر وفى يده قمع ، فقال الكاهن الموكل بوعظ الخاطئين والصلاة لأجلهم :
- والآن يا صموئيل ، لماذا تضطرنا يا بنىّ إلى تعذيبك ، ما دُمت قادرًا على الخلاص من هذا كله ، إذا قلت لنا أين إخوتك وأين زوجتك ؟
- لا يمكننى أن أقول لكم شيئًا عنهم ، لأنى قد وعدتهم وأقسمت لهم بأن لا أخونهم وأسلمهم لديوان التفتيش .
- فقال الكاهن ، ولكنا لا نعتقد أنهم يرضون لك هذا العذاب الأليم ، إن هذا السكوت لا يُعد أمانة الآن بل جنونًا ، قُل قبل أن يبدأ الرجل بتعذيبك .
- إننى أشكر لكم ، إذا ما قتلتمونى مرة واحدة .
- دع عنك هذا العناد يا رجل ، واعلم جيدًا أنك ستموت دون أن يعلموا بأنك مِت فداءً لهم ، والمحكمة سوف تقبض عليهم إن عاجلاً أو آجلاً ، فتكون قد مِت من غير فائدة ، ومع هذا فإن زوجتك هذه سوف تنساك لا محالة وتتزوج سواك ، وربما تكون قد خانتك الآن !
- فصاح المُسلم : صه أيها النذل الحقير ، واعلم جيدًا أن عذابكم لجسدى لا يعنينى قدر تعذيبكم بكلامكم هذا الذى تلفظه ألسنتكم القذرة السامة ، ثم راح الرجل المسلم فى نوبة بكاء .
- وبدأوا بتعذيبه فكان صراخه يملأ القاعة، والقسُس وقوفٌ يُصلون ويُرتلون ، وبينما هم يُعذبون المسلم على هذه الصورة البشعة ، سيقت سيدة أمام المحكمة وكانت رابطة الجأش ، فنظر إليها رئيس المحكمة نظراتٍ حادة ، يملأها الحقد والغضب والانتقام ، ثم سألها :
- ما اسمك ؟
- سوزانا فرناندس .
- وسمع زوجها المُعذب فأنَّ أنينًا طويلاً ، وعرف أنهم قبضوا على زوجته ، وأنها وقعت بين مخالب وأنياب أولئك الوحوش العُتاة ، أما هى فلم تتمكّن من معرفة الذى يُعذب ، بسبب الظلام الدامس الذى كان يلف المكان ، ولكنها

عندما سمعت الأنين التفتت لترى من يئن ، عندها بدأ رئيس المحكمة باستجوابها ، وعيناه تقدحان شررًا :

- بنت من أنت ؟
- لا أعلم ؟
- ألا تعلمين من أبوك ؟
- كلا إنما رأيت ذات مرة رجلاً مارًا بحىّ تريانا ، فقالوا لى : هذا أبوك .
- أهذا كُل شيء ؟
- نعم .
- وما اسم ذلك الرجل ؟
- قيل لى إن له اسمين ، الأول : الراهب ، والثانى : الرجل المهيج !
- وأمك من تكون ؟
- هى أمى .
- وأين هى ؟
- ماتت .
- وأين ماتت ؟ هل سقطت فى الوادى الكبير ؟
- كلا بل قُتِلت قتل العمد .
- وكيف كان هذا ؟
- إنها ماتت جوعًا فى سجون ديوان التفتيش .
- وأين كانت تسكن قبل أن تُسجن ؟
- مع رجلٍ من بقايا العرب ، كان يمر ببابنا كل يوم ، وقد عزم أخيرًا على أن يسكن معها إلى الأبد ، فسكن ... وسأنضم أنا إليهما أيضًا .
- وهل مات ذلك الرجل ؟
- نعم قد مات فى سجون ديوان التفتيش .
- أكان مسيحيًا ؟
- لا أدرى ، ومع هذا فلِمَ تسألونى عن المسيحية كثيرًا ؟ وما هو دخل الدين المسيحى فى ديوان التفتيش ؟ وما كادت السيدة تُتم كلامها ، حتى بدأ رجال التعذيب فى تعذيبها تعذيبًا مُخيفًا تقشعرّ لذكره الأبدان " .

انتهت القصة الثانية .

القصة الثالثة – وهى لمسلمٍ مُتنصّر ، قد جاوز السبعين من عُمُره :

- هذه القصة رواها الأستاذ محمد على قطب فى كتابه : " مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس " ، نقلاً عن " يوجين بيليّيتان ، فى كتابه : ديوان التفتيش " :
- " لقد مرّ على إسبانيا حينٌ من الدهر ، تحولت فيه إلى بؤرة جواسيس ووشايات جزويتية هائلة، مثال ذلك ما حدث فى ديسمبر ١٥٢٨م ، فقد أبلغت مسيحية ديوان التفتيش بأن أحد المسلمين المُتنصّرين ، المُسمّى : خوان مدنيا قد عاد إلى إسلامه .
- حيث قالت إنها كانت تسكن مع أسرته منذ ١٥١٠م فى منزل ، وكان هو يُقيم مع صهره وابنتيه وابنيه ، فلاحظت أنهم لا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون الخمور أبدًا، وأنهم يغسلون أقدامهم وأرجلهم حتى الوسط كُل يوم سبت وأحد.
- وكان خوان هذا رجلاً هرمًا قد جاوز السبعين من عمره ، وكان يسكن مدينة شقوبية ، وكانت صناعته عمل الأوانى النحاسية ، فاستدعته محكمة التفتيش فى بلدة الوليد (راجع الخرائط بالملحق) لاستجوابه .
- فقال إنه اعتنق الكاثوليكية ١٥٠٢م ، فى نفس العام الذى نُفى فيه المسلمون من تلك الجهات ، ولا يذكر أنه مارس شيئًا من تقاليد المسلمين وعاداتهم ، أمّا عن امتناعه عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر فلأنه لم يعتد ذلك ، خاصة أنه قد نُصّر فى سن مُتأخرة لمّا كان فى ٤٥ من عمره ، وفى مثل هذا العمر لا يسهل اعتياد شيءٍ جديد ، وهو يستحم مساء السبت وصباح الأحد لأن حرفته تقتضى ذلك .
- وبيَّن السبب الذى دعا المرأة للوشاية به ، بأنها حزازات النفس وسوء الأخلاق واعتيادها الكذب ، وأراد الاستشهاد بعدة مُتنصرين أمثاله لإثبات ما يقول ، ولكن المحكمة أبت أن تستمع لشهوده .
- ولم يُفد الرجل تأكيده بأنه مُخلصٌ للكاثوليكية ، ولا فى التجائه إلى المجلس الأعلى ، وقررت المحكمة إحالته إلى التعذيب ، فإذا أقر بكفره كان ذلك سببًا لإعادة النظر فى أمره ، أمّا إذا أصرّ فجزاؤه الغرامة ، وهددته المحكمة بالتعذيب .

- وأخِذ الرجل إلى قاعة التعذيب فعلاً وجرده الزبانية من ثيابه ، ورغم ذلك فإنه أصرّ على أقواله ، وقال إنه مُضطر لنقض ما يقوله لخوفه ، فجُلد وسِيرَ به فى موكب حريق إرهابًا له ، وقُضىَ عليه بغراماتٍ يدفعها ".

انتهت القصة الثالثة .

- **القصة الرابعة – وهى لمُسلمٍ مُتنصّرٍ ، فى السبعين من عمره :**
- قُبِضَ على مُسلمٍ مُتنصّر وهو فى سن السبعين فى سنة ١٥٦٠م ، بسبب مُطالعته فى الكتب العربية فى التوحيد الإسلامى ، ولم يُنكر الرجل التّهمة ، ولكنه عارض فى اعتباره - كافرًا (أى كافرًا بالكاثوليكية) - لكن كلامه لم يشفع له ، وحُكم على الرجل بالحرق ، وزُجّ به فى غياهب السجن حتى يحين موعد التنفيذ .
- ولمّا كان الشيخ مريضًا ، **فقد مات فى السجن** ، فرأت المحكمة :

أولاً : **حرق تمثالٍ يرمز له !!** بعدها صودرت أموال الشيخ ، ثم قرروا :
ثانيًا : **إخراج جثته من القبر وإحراقها علنًا** ، فى أحد مهرجانات الحريق .
ثالثًا : أن يَلحق كُفره ذكراه فتبقى مُلوثة ، حيث يلحق العار أسرته ، فلا يُباح لذريته أن تتقلد المناصب أو الأعمال الهامة " .

انتهت القصة الرابعة .

الباب الثانى
(محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية)
الفصل الثانى

نَظراتٌ فى مَحاكم التفتيش الكَنسيّة الكَاثوليكيّة فى إسبانيا والبُرتغال

(أو محاكم الشيطان الكاثوليكية ، التى طفح بها التاريخ الإسبانى)

- **قضاةٌ أم ذئاب بشرية ؟ :**
- موضوع محاكم التفتيش فى الأندلس ، موضوعٌ مُخيفٌ إلى حَدّ البشاعة ، لكونها تشددت فى مَحق كُل ما هو غير كاثوليكى ، وخصّت المسلمين بالجزء الأكبر من الغلظة والبشاعة فى معالجة هذا الأمر ، ووصفتهم بالكفر والزندقة والهرطقة ، مُدّعية أنها بالشنق والحرق والتعذيب إنما تُطهّرهم .
- ولقد استمرت هذه المحاكم الكاثوليكية الشيطانية ، تمارس دورها البشع من ١٤٨٠م ، أى قبل سقوط غرناطة فى ١٤٩٢م وقبل انتهاء الحكم العربى فى الأندلس بتسعة عشر عامًا ، مُستهدفة المسلمين خاصة ، بضعة قرون حتى ١٨٣٤م ، أى حتى بعد أن ألغاها نابليون فى ١٨٠٨م (راجع القصة الأولى بالفصل الأول من هذا الباب ، التى رواها الكولونيل الفرنسى : ليمونسكى) فبقيت تقتل المسلمين سرًا وبشكلٍ جماعى ، وتدفنهم أحياء بعد أن تُذيقهم العذاب ألوانًا .
- وفى الوقت الذى كانت فيه أوروبا غارقة فى الدم والقتل ، باسم الآب والابن والروح القدس ، كان فردوس الأندلس زاهرًا بالعلوم والآداب والثقافة ، فيها عاشت الخلائق على اختلاف أعراقهم ، فى سلام وتسامح تحت راية الإسلام والحضارة العربية .
- وبنهاية الحكم العربى فى الأندلس ، والخروج من غرناطة فى اليوم البائس ٢ يناير ١٤٩٢م ، بدأ ملوك النصارى حملات الاضطهاد والتطهير العرقى المُمَنهج ، فمن المسلمين مَن فرّ بدينه تاركًا أمواله وأملاكه عُرضة للنهب والمصادرة لصالح خزينة الدولة الإسبانية .
- ومنهم مَن بقوا فى إسبانيا النصرانية ، واضطروا للتحول إلى الكاثوليكية ظاهرًا خشية القتل والتعذيب ، وهذه الفئة هى التى عانت من محاكم التفتيش

الكنسية الكاثوليكية ، وكانوا يُسمّون - كما أسلفنا - الموريسكيين MORISCOS ، أما اليهود الذين اضطروا للتحول إلى الكاثوليكية فكانوا يُسمون MARRANES، وهم معروفون فى التاريخ العربى بالمورانو ، أو الماررانو .

- ولقد عانى المسلمون طويلاً من محاكم التفتيش : قتلاً وطردًا وإكراهًا على تغيير مُعتقداتهم ، وهم الذين لم يُكرهوا أحدًا على تغيير دينه ، وفى هذا الشأن يقول **د. جوستاف لوبون** ، فى كتابه : حضارة العرب :

" عندما استولى النصارى على غرناطة - آخر معاقل الإسلام فى الأندلس - لم يُفكروا لحظة فى تقليد سياسة العرب والمسلمين ، التى مارسوها فى الأندلس طيلة ٨ قرون ، فردّوا على سماحة العرب بالقتل والاضطهاد ، ونقض العهود التى وقعوها مع المسلمين " .

- ولقد كان تفوق العرب على الإسبان حضاريًا – بالرغم من الاضطهاد الذى عانوه طويلاً – يضمن لهم البقاء على رأس كافة الصناعات ، وهو الشيء الذى ما كان ليُرضى عُنصرية حُكام إسبانيا ، وحِقد الشياطين من كبار أساقفة الكنيسة الكاثوليكية .

- **الأحقاد الكاثوليكية التاريخية والدينية ،**
وكيفية تنفيس زبانية الكنيسة عنـــها :

- تعالت الأصوات مُطالبة بطرد المسلمين ، بعد نحو قرنٍ من انتهاء حكمهم للأندلس وخروجهم من غرناطة ، وكانت الكنيسة تُبيّت القتل للمسلمين جميعًا حتى النساء والأطفال والشيوخ ، وكان للكنيسة ما أرادت ، فأصدر فيليب الثالث قرار الطرد الشهير ١٦٠٩م .

- ولم يغفل فيليب الثالث ، عن إصدار أوامره بقتل ما يُمكن قتله من المسلمين قبل مغادرتهم ديارهم فى إسبانيا ، واصطيادهم أثناء نزوحهم على الطرق الداخلية فى إسبانيا ، **فقُتل نحو ثلاثة أرباع المطرودين النازحين** ، وفى هذا الشأن يقول د. جوستاف لوبون :

" ظن رئيس الأساقفة ، أنه بحرقه مؤخرًا ما قدر على جمعه من كُتُب أعدائه العرب - ٨٠ ألف كتاب - أنه مَحا ذكرهم مِن الأندلس إلى الأبد ، وما درى هذا الأسقف أن ما تركه العرب من الآثار التى تملأ بقاع إسبانيا ، يكفى لتخليد أسمائهم إلى الأبد ".

- وتُعتبر محاكم التفتيش ، واحدة من أكبر مؤسسات البشرية السيّئة الذّكر ، **وقيل إنه راح ضحيتها خمسة ملايين نسمة** ، ومن أهم الذين مثلوا أمام محاكم التفتيش من نصارى العلماء الفيلسوف الإيطالى : **جيور دانو برينو** ، والفلكى الشهير **جاليليو** الذى أثبت أن الأرض ليست مركز الكون ، لكنه استدرك الأمر وقبل التراجع عن كافة نظرياته فى الفلك .
- **حادثة كوبرنيكوس :** هو الفلكى الأشهر القائل بدوران الأرض حول الشمس ، والذى اضطرته محاكم التفتيش لنشر نظريته يوم وفاته ، وقد هرب من إيطاليا مُتنقلاً للعيش بين فرنسا وسويسرا وإنجلترا وألمانيا .
- إلى أن استدرجه أحد أغنياء تجار البندقية بحجة تعليم أولاده ، لكن التاجر سرعان ما غدر به وسلمه إلى محاكم التفتيش فى الفاتيكان بروما ، فقطعوا لسانه وأحرقوه ، فأصبح كوبرنيكوس منارة فى التاريخ الأوروبى .
- **حادثة جان فرنسوا لابار** : وهى حادثة شهيرة ، والغريب فيها أنها حدثت فى عصر التنوير (القرن ١٩م)، لشخص يُدعى جان فرنسوا لابار ، كان فى التاسعة عشرة من عمره ، فقد قطعوا يده ، لأنه كسر الصليب ، واقتلعوا لسانه ، ثم أحرقوه ، وهى القضية التى استغلها فولتير ، وهاجم الأصوليين المسيحيين .
- **حادثة ميخائيل سرفيتوس :** ومن الأمثلة كذلك ، الفيلسوف الإيطالى ميخائيل سرفيتوس ، الذى أحرقوه حيًا فى جنيف ، بتهمة التشكيك فى عقيدة التثليث ، التى تقوم على أساسها المسيحية المُعاصرة .
- ولمّا لم تنجح محاكم التفتيش فى حل المشكلة الإسلامية فى إسبانيا ، بإجبار المسلمين على التنصّر ، فكان اللجوء إلى الطرد الجماعى فى القرن ١٧م (١٦٠٩م)، أمّا الخسائر التى ترتبت على الطرد ، فتم تعويضها من الأرباح الناتجة عن مُصادرة أملاك الموريسكيين ، على أن يبقى الأطفال الذين كانت أعمارهم دون العاشرة فى إسبانيا ، ليقوم الرهبان الكاثوليك بتلقينهم الكاثوليكية ، مع بقائهم عبيدًا بغير زواج .
- وقد تم إلقاء الكثيرين مِمّن طُردوا على سُفن إسبانية فى البحر ليموتوا غرقًا ، وقد أشار : **هنرى تشارلز** - بعد دراسة المصادر المُعاصرة - إلى أن كانت :

نسبة هلاك المسلمين ،

كانت بين ثُلثىْ أو ثلاثة أرباع ، مجموع المطرودين .

- **طُرُق التعذيب فى محاكم الشيطان :**
- مارست محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ضد المسلمين ، مُعظم أنواع التعذيب المعروفة فى العصور الوسطى ، وأزهِقت عشرات الألوف من الأرواح تحت وطأة التعذيب، ومن أنواع التعذيب نُعيد ذكر ما جاء بالصّور :

١- ملء البطن بالماء حتى الاختناق .
٢- سحق العظام بآلات الضغط .
٣- ربط يدى المسلم وراء ظهره ، وربطه بحبل حول راحتيه وبطنه ، ثم تركه مُعلقا مع أثقال لزيادة آلامه .
٤- الكىّ بالأسياخ المحمية على النار .
٥- تمزيق أوصال الأطراف .
٦- فسخ الفكين وكسر الرقبة .
٧- الإعدام حرقا ، فى مهرجاناتٍ جماعية ، يحضرها الملك عادة .
٨- الحضانات المُغلفة بالمسامير من داخلها .
٩- أحواض الموت البطىء غرقا ، يُقيّد فيها المسلم ، ثم يُسقط عليه الماء قطرة قطرة حتى يُملأ الحوض فيموت غرقا .
١٠- الدفن أحياء .
١١- الجلد بسياط الحديد الشائك .
١٢- قطع اللسان وسمل العيون ، بآلات خاصة .
١٣- مُحاكمة الموتى ، حيث تصدر الأحكام بحقهم كالأحياء ، وتُصادر أموالهم وتُنبش قبورهم ، ويتم حرمان ذويهم من تولى الوظائف العامة .

- **الكاردينال خمينيث** : ولقد أحرق هذا الكاردينال ، مراتٍ عِدة ، عشرات الألوف من كتب الدين والشريعة الإسلامية ، كما صدرت عشرات القرارات التى تحول بين المسلمين ودينهم ولغتهم وعاداتهم وثقافتهم ، كان منها :

أمرٌ ملكىّ فى يونيو ١٥١١م ، يُلزم المسلمين الذين تنصّروا حديثا أن يُسلموا سائر الكتب العربية التى لديهم .

- ثم تتابعت المراسيم والأوامر الملكية التى منعت التخاطب باللغة العربية ، وتفرض التنصّر على المسلمين ، فحمل خوف الفقر الكثيرين من المسلمين

على التنصر ظاهرًا ملاذًا للنجاة ، وفرّ آخرون بدينهم فكُتبت نهاياتٌ مُتعددة لمأساة واحدة ، هى رحيل الإسلام من فردوس الأندلس .

- ولم تُفلح محاولات الموركسيين ، للحصول على دعم خارجى من العثمانيين فى القسطنطينية (استامبول - إسلامبول)، ولا من المماليك المصريين ، هذا رغم حملات الإغارة والقرصنة ، التى قام بها الجزائريون على السفن والشواطئ الإسبانية ، لدعم الثوار الموركسيين .

- **موجزٌ بأهم القرارات والمراسيم الملكية :**
- بعد سقوط غرناطة ، انتهى الوجود العربى فى الأندلس ٢ يناير ١٤٩٢م ، فدخل الكاردينال مندوسيه ، إلى قصر الحمراء فى غرناطة ، وهو قصر العرش والحكم فى عصر بنى الأحمر– ونصب الصليب فوق أعلى أبراجه ، ثم أرسل أسقف غرناطة رسالة عاجلة إلى ملك إسبانيا ، يُخبره بأنه قد شرع فى حمل مسلمى غرناطة وباقى المدن الإسبانية على الدخول فى النصرانية :

" تنفيذًا لرغبة السيد المسيح ، الذى ظهر له وأمره بذلك "

- فأقره الملك على ما رأى وفعل ، بل وسمح له بأن يفعل ما يشاء ، فبادر الأسقف باحتلال المساجد ومُصادرة أوقافها ، وأمر بتحويل المسجد الجامع فى غرناطة إلى كنيسة ، ولما ثار المسلمون قُمِعت ثورتهم بوحشية ، وتم إعدام ٢٠٠ من علماء الدين الإسلامى حرقًا فى ميدانٍ عام بتُهمة : مُقاومة المسيحية.
- وظهرت محاكم التفتيش من فورها ، تبحث عمن لم يتنصر من المسلمين ، فهام المسلمون على وجوههم فى الجبال ، فصدرت تعليماتٌ للكاردينال : سيسزوس ، بتنصير مسلمى إسبانيا فى أقرب وقت .
- وأحرقت المصاحف ، وكُتب التفسير والفقه والعقيدة ، كما صدرت تعليماتٌ بحرق المسلمين فى ميادين غرناطة العامة ، وقد استمرت هذه الحملة الظالمة حتى ١٥٧٧م ، فراح ضحيتها **نصف مليون مسلم** ، بحسب تقديرات المؤرخين الغربيين ، كما تم تعميد جميع المسلمين بالقوة (للاغتسال من خطيئة آدم) .
- ثم صدرت المراسيم الملكية بتحويل المساجد إلى كنائس ، وفى يوم ١٢ أكتوبر ١٠٥١م ، صدر مرسوم بإحراق جميع الكتب الإسلامية والعربية فى

غرناطة ، فأحرقت آلاف الكتب فى ساحة : الرملة ، ثم تتابع حرق الكتب فى جميع الأنحاء .

- **وأعلن الكاردينال : خيمينيث** ، أن مُعاهدة غرناطة لم تعد صالحة ، ثم أصدر أوامره بتعميد من لم يتعمد فى غرناطة ، وأعلن أن على الرافضين الخيار بين اثنتين : أن يُغادروا غرناطة إلى شمال أفريقيا ، دون أن يحملوا شيئًا من أموالهم ولا حتى راحلة تُعينهم وأسرهم على السفر، لكون أموالهم قد صودرت ، أو أن يُعدموا علنًا فى ساحات غرناطة ، باعتبارهم رافضين للمسيحية .
- فغادر غرناطة سيرًا على الأقدام ، من فضلوا البقاء على دينهم ، لتنتظرهم كمائن الرعاع الكاثوليكية ، لقتلهم على الطرق المؤدية إلى الشمال الأفريقى، لذلك فضّل البعض البقاء لعدم أمان الطريق ، فساقهم النصارى للتعميد قسرًا.
- وفرّوا إلى الجبال المحيطة بغرناطة من رفضوا التعميد ، وأقاموا فيها القرى المسلمة ، فوجه إليهم ملك إسبانيا الحملات العسكرية التى هدمت القرى الجديدة ، وساقت ساكنيها المسلمين إلى الساحات العامة فى غرناطة ، وقد عرف المسلمون المتنصرون - كما أسلفنا - بالموروسكيين .
- وتوالت المراسيم الملكية بشأن الموروسكيين ، وقد يكون من المناسب ، تدوين موجزٍ بها والأهداف التى صدرت من أجلها ، بعد سقوط غرناطة فى ٢ يناير ١٤٩٢م :

١- **١٥٠١م : بتخيير المسلمين بين التنصّر أو الرحيل (إيزابيلا) .**
٢- ١٥٠٢م : حرق جميع الكتب الإسلامية والعربية .
٣- ١٥٠٧م : بمنع استعمال اللغة العربية ومصادرة الأسلحة .
٤- ١٥٠٨م : بمنع ارتداء الملابس الإسلامية والعربية .
٥- ١٥١٠م : فرض ضرائب على الموروسكيين تزيد على ما يدفعه غيرهم.
٦- ١٥١١م : منع ذبح الحيوانات على الطريقة الإسلامية .
٧- ١٥١٢م : تجديد المرسوم السابق بتخيير الموروسكيين بين التنصر والرحيل .
٨- ١٥١٤م : يُحرّم على الموروسكيين تغيير مساكنهم أو النزوح إلى بلنسية .
٩- ١٥١٨م : تجديد المرسوم الخاص بمنع الملابس الإسلامية والعربية .

١٠- ١٥٢٤م : عقوبة الرّق لمن لم يختار بين التنصر أو الرحيل .
١١- ١٥٢٥م : صدر في ١٢ أكتوبر ، بحظر بيع الذهب والفضة والحرير ، والحلى والأحجار الكريمة والمواشى .
١٢- ١٥٢٥م : صدر في ١٨ نوفمبر ، بإلزام المسلمين بوضع شارة زرقاء فى عمائمهم ، وتسليم أسلحتهم ، والسجود فى الطرقات إذا ما مرّ أمامهم كبار رجال الدين .
١٣- ١٥٢٥م : صدر في ٢٥ نوفمبر ، بمغادرة إسبانيا قبل نهاية يناير ١٥٢٦م ، عبر طرق مُعينة تم تحديدها .
١٤- ١٥٢٦م : أمر بإجبار مسلمى أوراجون كُلها على التنصر .
١٥- ١٥٤٨م : أن تكون دار المُتنصرين بين دارين للمسيحيين الأصليين .
١٦- ١٥٧١م : بتشتيت المورسكيين فى أنحاء إسبانيا (فيليب الثانى) .
١٧- ١٥٧٩م : بسجن جميع فقهاء الإسلام ، ومنع مسلمى المناطق الشمالية من الاتصال بالأجانب .
١٨- ١٦٠٩م : بطرد المورسكيين من إسبانيا والبرتغال (فيليب الثالث).

- ولقد تشكلت محاكم التفتيش - كما أسلفنا - بغرضٍ أساسى : وهو حمل المسلمين على الدخول فى الكاثوليكية ، ولقد تأكد للبابا والملوك ، بأن المحاكم لم تنجح فى حمل المورسكيين ، على صرف المسلمين عن دينهم ، بل إن المسلمين فى ولاية بلنسية ، قد أفلحوا فى إدخال العديد من الكاثوليك إلى الإسلام .
- حيث جاءت تقارير المُتابعة ، صاعقة على رؤوس الملوك والبابا والكرادلة ، فقد حذّرت تلك التقارير، من احتمال تحول الكاثوليك إلى الإسلام ، بقولها :

" إن لم يتم إيجاد وسائل أخرى لتنصير المسلمين ، فإنهم سَيُدخلون مسيحيّى غرناطة فى الإسلام " .

- **منح محاكم التفتيش سلطاتٍ مُطلقة :** وبناءً على هذه التقارير ، تقرر إطلاق يد محاكم التفتيش فى إسبانيا كلها ، فى المورسكيين ، لتبدأ أكثر الفصول وحشية ودموية ، فى تاريخ أوروبا الكريه ، فمُنحت بذلك محاكم التفتيش سلطات مُطلقة .

- فمارست فى التعذيب أساليب ، لم يعرفها أكثر طغاة التاريخ وحشية ، فوضعت عقوباتٍ بشعة ، لكل من يقيم الشعائر الإسلامية ، أو يتكلم العربية ، أو يمتنع عن شرب الخمر ، أو تناول لحم الخنزير .
- ولذلك كانت المُحاكمات ، تبدأ بمطالبة الموريسكىّ بشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، فإذا رفض يُحال إلى زنازين السجون ، فإذا مات هناك اعتبرت محاكم التفتيش موته رحمة من الله به ، فإذا بقى على قيد الحياة ، طلبت منه المحكمة أداء بعض الصلوات المسيحية لقياس درجة إيمانه .
- ثم يُجلد وتُنزع أظافره ، ويُكوى بالحديد المحمىّ ، ويوضع المِلح على جروحه ، وقبل يومٍ وليلة يُخطر الموريسكىّ بنص الحُكم ، الذى يكون واحدًا من ثلاثة : البراءة وهو ما يكون نادرًا ، فإذا خرج يُفاجأ بمصادرة أمواله ، أو الجلد : حيث يُجلد عاريًا ، أو الإعدام ، حيث يتم الإعدام حرقًا فى ساحات المدينة .
- ولا يُستثنى أحد بسبب العمر ، فقد جُلدت طفلة عمرها ١١ سنة ٢٠٠ جلدة ، كما جُلد شيخٌ فى التسعين من عمره ٣٠٠ جلدة ، كما نُبشت قبور الموتى ليُجلدوا .
- ولمّا فشلت محاكم التفتيش – حتى بعد أن أطلق ملوك الكاثوليكية يدها - فى تحويل الموريسكيين عن دينهم ، تقرر طردهم من إسبانيا ، فصدر قرار مجلس الدولة بالإجماع فى ٣٠ يناير ١٦٠٨م ، بطرد جميع الموريسكيين من إسبانيا .
- ولم يحل شهر إبريل من ١٦٠٩م ، حتى احتشد الموريسكيون أمام الموانئ الأندلسية الجنوبية المواجهة للمغرب ، واستمر الوجود الإسلامى بعد هذا القرار الجائر ، بشكلٍ سرّىّ ومحدود ، فى القرنين ١٧ ، ١٨ م .

- **مذبحة لشبونــة ، وديــوان التفتــيــش المُقدّس ، والظروف التى نشأت فيها محاكم التفتيش هناك :**

- لقد وقعت مذبحة لشبونة العاصمة البرتغالية ، يوم عيد الرّاعى الصالح ، فى إبريل ١٥٠٦م ، فى عصر الملك مانويل الأول ، والتى انتهت بدخول محاكم التفتيش الكنسيّة الكاثوليكية إلى البرتغال لتُعربد فيها .

- فقد أصبح الناس ذات صباح ، وأجراس الكنيسة تُصلصل صليلاً طويلاً ، فاجتمعت من الناس جموعٌ غفيرة ، لحضور ذلك الاحتفال الدينى الكبير ، وقد أجبر "ديوان التفتيش المُقدس" ، تلك الجموع الغفيرة ، على الاعتمام بعماماتٍ مُتباينة الألوان .
- واختص ديوان التفتيش المقدس بالعمامة الحمراء ، هؤلاء الذين لم يعتنقوا الكاثوليكية ، الذين سِيقوا أفواجًا لحضور هذا الاحتفال الكاثوليكى الكبير ، أمّا من كانوا من أصلٍ كاثوليكى فلهم حُرّية الاعتمام بعماماتٍ من أى لون .
- وبأمر من ديوان التفتيش المقدس فى البرتغال ، أقامت الكنيسة الكاثوليكية البرتغالية ، حوضًا كبيرًا على بابها الرئيسى ، كانت تمر عليه أفواج الناس يغمسون أيديهم فيه ، ثم يرسمون شارة الصليب على جباههم .
- **كما أقامت الكنيسة وسط السّاحة الكُبرى مذبحًا كبيرًا** ، غطته بالمُخمل المُذهّب ، كما كانت آنيته من الذهب والفضة ، وأقامت كذلك خلف المذبح صليبًا كبيرًا تُبَتّت فى أعلاه صورة كبيرة للمسيح مصلوبًا ، وإلى جوار الصليب وُضعت منصة عليها بقايا ، من أبدان قدّيسين ماتوا من أزمان بعيدة . (كَسْرُ عِظام موتى القديسين ، يحتفظ الفائزون بِكِسْرةٍ منها للتبرّك بها !) .

- **مَذبح الكنيسة : يُشير المذبح المُقام داخل أىّ كنيسة ، إلى قبر المسيح ، الذى قدّم نفسه ذبيحة حية - حسب ما يعتقد المسيحيون - ويُسميه الأقباط (المسيحيون المصريون) مائدة TRAPEZ أى مائدة الرب ، أو المائدة المقدسة محل الذبيحة ، وهو من الحجر ليُشبه القبر ، وكانت المذابح قديمًا تُقام على قبور الشهداء والقديسين ، فلمّا انتهى الاضطهاد ، صارت أجساد القديسين تُنقل إلى الكنائس ، داخل مذابح الكنائس حتى تُقام الصلوات عليها .**

- وبأمر كُهّان الكنيسة الكاثوليكية ، نهضت تلك الجموع الحاشدة بالخناجر ، - والكهنة فى مُقدّمتهم ، يؤججون مشاعرهم - تُسكت إلى الأبد أنفاس هؤلاء الكفرة ، الذين لا يتخذون الكاثوليكية دينًا .
- ولمّا انتصف النهار كانت ميادين لشبونة العاصمة ، وكذلك الطرقات المؤدية إليها ، قد امتلأت بجُثث الأبرياء دون مُحاكمة ، حتى النساء والأطفال قُتلوا ، فقد دخلت عليهم تلك الجموع الهمجية بيوتهم لتفترسهم ، ثم تهدم عليهم دورهم ، قبل أن يُشعلوا النار فيها .
- ولمّا أرْخى الليل سُدوله ، كانت أجراس الكنائس ما زالت تُصلصل ، لتدفع الناس لارتكاب المُنكرات ، وهم ينشدون الأناشيد الدينية باللاتينية ، بين

رائحة الأجساد المشوية ، والبيوت المُحترقة التى ما زال دُخان الحرائق يُغطيها .

- وعلى هذا الجَوْر الكريه ، استمرت المذبحة ثلاثة أيام ، حتى حَلّ الفزع بالحكومة البرتغالية ، فأوقفت بالقوة تلك الجرائم البشعة ، وأعلنت أنه لن يُعاقب أحدٌ بدون مُحاكمة ، فسعى ديوان التفتيش المقدس لدى الملك خوان الثالث ، لإنشاء محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، التى أطلق الملك المُتعصّب يدها فى كل حواضر البرتغال .

- وبدأت محاكم التفتيش فى البرتغال بحلول عام ١٥٧٤م ، فى ذلك العهد الكالح السّواد : عهد الملك خوان الثالث ، تُزاول فظائعها فى كافة بقاع البرتغال ، بمباركة من : ديوان التفتيش المقدس الذى يرأسه البابا من روما ، ويُسانده : ملك البرتغال الباغى ، لتنطلق الأيدى الآثمة تُعربد بغير حدود ، ليكون المورسكيون أكثر ضحاياها .
- ومع جلوس هذا الملك ناقص العقل والدين، بدأ عصر الانحدار فى البرتغال، وهو أى خوان الذى كان حريصًا على حضور مهرجانات إحراق المورسكيين ، التى كانت تنصبها محاكم التفتيش فى المدن البرتغالية ، مُصطحبًا معه الملكة ، والوزراء وكبار رجال الدولة ، وكبار رجال الدين من زبانية الكنيسة الكاثوليكية .
- وكان المورسكيون المحكوم عليهم بالإحراق ، يمرون أمام منصة الملك ، وقد غطتهم الأوحال والقاذورات ، التى كان يرميهم بها الناس ، بتشجيع من رجال الدين الكاثوليك ، ظانين أنهم يُمجّدون الله بأفعالهم القبيحة !! .
- وكان ميدان مهرجان الحريق ، مليئًا بأكوام الأخشاب والحطب ، وفى وسط كُلّ كومة صليبٌ حديدى أسود طويل ، لكى يحترق المورسكيون وآخر نظراتهم فى الدنيا ، تلك التى تقع على الصليب !!! .
- وكان رئيس محكمة التفتيش ، يرتقى فى الميدان منصة قد أعدت له ، فى وسط ميدان رَيْبرا ، وهو أكبر ميادين العاصمة لشبونة ، حتى يتمكّن من فوقها إلقاء : **ترنيمة الموت** ، هكذا :

" إن هؤلاء الكفرة ، قد استخفوا بالأحكام المقدسة ، باتخاذهم الشياطين أولياء لهم ، تحقيرًا للكنيسة الكاثوليكية ، وهم بهذا لا يأتون ثمرًا ، لذا وجب قطعهم وحرقهم ، وذلك إعمالاً لقول المسيح ، له المجد :

" من ليس معنا فهو علينا ، وأن كل شجرة لا تُثمر وجب قطعها وإلقاؤها فى النار ، فالذنب ذنبهم ودماؤهم على رؤوسهم " .

ثم يصيح أحد الكهنة باللاتينية :

" المجد لسيدتنا والدة الإله ، ومُباركٌ كُلّ مؤمنٍ طائع " ،

بعدها يتدافع الناس لأخذ البركة !!!

- ثم يتقدم كاهن من الكفرة (المورسكيين)، ويطلب إليهم التوبة وتقبيل الصليب الذى يُقربه من أفواههم ، فمن قبَّل الصليب وأعلن توبته يُعاد إلى السجن ، للتثبّت من توبته ، وهم قلة قليلة أعلنت ظاهرًا توبتها وأبطنت إسلامها .
- ثم تُضرم النيران بغير رحمة ، فى أبدان الغالبية الغالبة من المورسكيين الذين رفضوا الكاثوليكية ، مدة ٣ ساعاتٍ حتى تتفحم عظامهم ، كُل هذا والشعب المُضلل يرقص ، والكهنة يُسبّحون !!! . فإذا ما استحالت عظام المورسكيين رمادًا ، انصرف الملك والحاشية ، تُشيعهم هُتافات الشعب ، وبركات كُهان محاكم التفتيش الكنسيّة الكاثوليكية الباغية !!! .
- وكان لمحاكم التفتيش : " مُخبرون سرّيّون " بعشرات الألوف من الكهنة ومن كُل المِهن ، يُدبّجون التهم لمن يشاؤون ، فيُزَج بالضحايا فى غياهب السجون حيث يُتركون هناك ، دون مُحاكمة إلى ما يشاء الله .
- وكانت التقارير السرية ، كافية تمامًا ، لإدخال أى شخصٍ تلك السجون البشعة التى أفرزتها عصابات الأشرار من كَهنة محاكم التفتيش وزبانيتها ، فكانت الزوجة تدفع بزوجها إلى أتون محاكم التفتيش ، وكذلك الولد يدفع والده إلى أتونها . ولقد طالت هذه التقارير طائفة النبلاء ، الذين يُراد بهم السوء ، لاستصفاء أموالهم الطائلة .

الباب الثالث

" الخلافـة العثمانيّـــة "

والأساطيل الأوروبية

مُحتويات هذا الباب :

- الفصل الأول – العثمانيون وأساطيل البرتغال .
- الفصل الثانى – وقفة إجلالٍ وتقدير ، من أجل ، أمير البحار : خير الدين برباروس .

الباب الثالث
" الخلافـــة العثمانيـــة "
والأساطيـــل الأوروبيّـــة

الفصل الأول
" العثمانيون وأساطيل البرتغال "

- رغم أن دولة الخلافة العثمانية ، قد أخفقت فى طرد الاستعمار البرتغالى من مراكزه فى المحيط الهندى والخليج العربى ، إلا أنها نجحت فى منع وصوله إلى الحجاز حيث الحرمين الشريفين ، ثم القدس حيث المسجد الأقصى .
- فقد كان البرتغاليون يعتزمون اجتياح الحجاز ، بعملية إنزالٍ بحرى فى ميناء جدة ، ثم الزحف منها إلى الحرمين الشريفين ونبش قبر المصطفى (ﷺ) ونقله إلى ديارهم فى أوروبا (ليقوموا بتحصيل رسوم زيارة المسلمين للمثوى الشريف) ثم الزحف إلى تبوك ، ومنها لاحتلال ثالث الحرمين الشريفين فى بيت المقدس .
- من أجل ذلك ، دخلوا البحر الأحمر ، لكنهم أخفقوا مرتين فى عمليات الإنزال البحرى فى ميناء جدة فى عامى ١٥١٧م ، و ١٥٢٠م بسبب يقظة الحاميات العثمانية ، فجدد البرتغاليون محاولتهم بضرب القاعدة البحرية العثمانية فى السويس .
- وعند ميناء الطور المصرى علم البرتغاليون ، أن العثمانيين على علم بنواياهم وأعدوا العدة لدحرهم ، فعادوا أدراجهم إلى قواعدهم فى الخليج ، من أجل ذلك اتخذت البحرية العثمانية ، اليمن قاعدة مُتقدمة للدفاع عن الحجاز ، ثم منعت السفن الأوروبية من دخول البحر الأحمر نهائيًا .
- وهى ليست المحاولة الصليبية الأولى للوصول إلى الحجاز ، فخلال الحملة الأولى للحروب الصليبية (كانت الحروب الصليبية فى ٨ حملات ، خلال القرنين ١٢ ، ١٣م) أقدم : أرناط (قائد حصن الكَرَك الصليبى - فى جنوب الأردن - حاليًا) على غزو الحجاز من ميناء آيلة (العقبة) .

- فتعقبه ، أمير البحر : حسام الدين لؤلؤ ، قائد بحرية صلاح الدين الأيوبى ، فهزم البحرية الصليبية وقام بأسر مُشاتها وإعدامهم جميعًا ، بينما قام صلاح الدين بإعدام أرناط بيده .

للمزيد عن الحروب الصليبية ، راجع كتابنا :

" نحو وعى بالعسكرية الإسلامية ، معارك الإسلام الكبرى ".

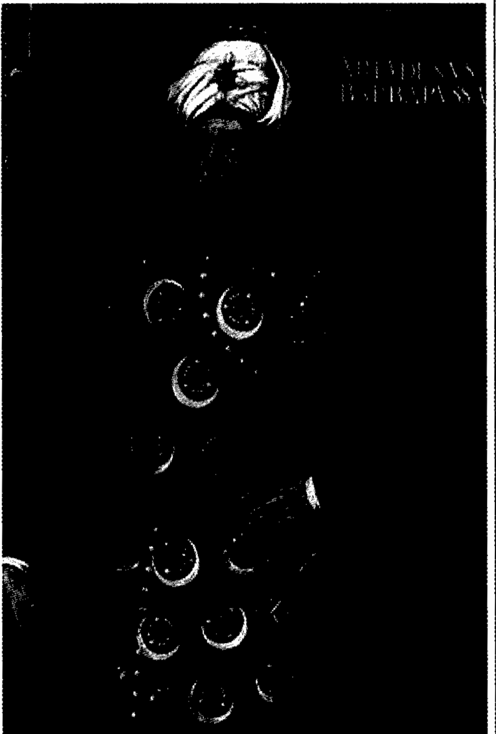
- ولمّا اختار مماليك مصر ، السلطان قنصوه الغورى سلطانًا ١٥٠١م ، أقام الغورى أسطولاً قويًا ، **هزم به البرتغاليين على ساحل ملبار** الهندى ، فكانت أول هزيمة للبرتغاليين فى المحيط الهندى، على يد الأسطول المصرى المملوكى، فى ١٥٠٨م بقيادة الأمير : حسن الكُردى ، على الأسطول البرتغالى فى ميناء شول CHAUL الهندى .
- لكنه فى العام التالى ١٥٠٩م ، أغرق البرتغاليون الأسطول المصرى المملوكى ، فشاد المماليك أسطولاً جديدًا **بمعاونة العثمانيين** ، للتصدى للبرتغاليين عند باب المندب (عدن) ١٥١٣م .
- لكن السلطان سليم الأول لمّا تولى الحكم ١٥١٢م هاجم الشام المصرية المملوكية فى مرج دابق واستولى عليها ١٥١٦م ، وقتل السلطان المملوكى المصرى : قنصوه الغورى ، ثم واصل تقدمه إلى مصر واستولى عليها ١٥١٧م .
- ثم استولى العثمانيون على اليمن وعدن ١٥٣٨م ، وهم فى طريقهم لملاقاة البرتغاليين فى معركة : **" ديو "**، بكجُرات غربى الهند ، لكن المسلمين هناك لم يُعاونوهم ، فهُزموا وعادوا إلى مصر .
- وبعد سقوط الأندلس ، كانت قد طمعت إسبانيا والبرتغال ، باستعمار ديار الإسلام ، خاصة الشمال الأفريقى ، فاتخذت منظمة : " فرسان الصليب " مالطة قاعدة لها ، تمهيدًا لإنشاء ممالك مسيحية ، على الساحل الشمالى لأفريقيا ، تكون قواعد لاختراق العمق الأفريقى .
- ولقد تبخرت أحلام الصليبيين أمام الجيوش العثمانية الجرارة ، التى بسطت سيادتها على الجزائر وطرابلس وتونس ، وظلت البلاد العربية نحو ٤ قرون (١٦ : ١٩م)، بمنأى عن الزحف الأوروبى ما بقيت الخلافة العثمانية قوية مهيبة الجانب ، فلما دخلت الخلافة العثمانية فى دور الانحدار تعرض العالم العربى للغزو الأوروبى الصليبى .

- لقد جمع شرلكان (ملك إسبانيا : كارلوس الخامس ١٥١٦ : ١٥٥٦م) أوروبا على حرب المسلمين برًا وبحرًا ، فانتصر عليهم برًا : السلطان سليمان القانونى ، وانتصر عليهم بحرًا أمير البحار : خير الدين بربروس .
- فتم للعثمانيين الاستيلاء على طرابلس ١٥٤٣م ثم تونس ١٥٧٣م ، فبسط العثمانيون سيطرتهم على معظم شمال أفريقيا ، وصار أسطولهم سيد البحر الأبيض المتوسط .
- ومع ما وصل إليه العثمانيون من القوة ، فإنهم أبوا أن يُكرهوا أهالى البلاد الأوروبية المفتوحة ، على اعتناق الإسلام - وقد كانوا قادرين على ذلك - هذا بخلاف ما فعل كاثوليك إسبانيا ، باضطهادهم المسلمين لإكراههم على التنصّر .
- ولم يُنفّذ الإسبان شروط تسليم غرناطة ١٤٩٢م ، التى بلغت ٦٧ شرطًا ، تقضى بتأمين أهلها على أنفسهم ، ودينهم وأموالهم وأعراضهم ، وأملاكهم وحُرّياتهم ، وإقامة شريعتهم ، واحترام مساجدهم وشعائرهم ، وفك أسراهم ، وإجازة من يريدون الهجرة منهم ، وإعفائهم من الضرائب والمغارم ، وغير ذلك من الشروط التى لم يُنفّذ منها شرط واحد ، عقب الاستيلاء على غرناطة فى ذلك اليوم البائس ٢ يناير ١٤٩٢م .
- فانظر أخى القارئ ، إلى أنظمتهم الكهنوتية التى رتبوها لمحاربة المسلمين ، وما كان يُصدره بابا الكاثوليكية من روما من منشورات ضد المسلمين ، خاصة فى الفترة التى أعقبت استيلاء محمد الفاتح ، على القسطنطينية ١٤٥٣م ، **قبل سقوط غرناطة** - آخر معاقل الإسلام فى الأندلس – بـ ٣٩ سنة .
- ثم انظر كيف قمعوا ثورات المسلمين بالقسوة المُفرطة ، التى استمرت سنوات ولم يتغلبوا على المسلمين إلا بكثرة عددهم ، ومن وقاحتهم وسواد قلوبهم علقوا أحد زعماء الثوار المسلمين على أحد أبواب قرطبة ٣٠ عامًا .

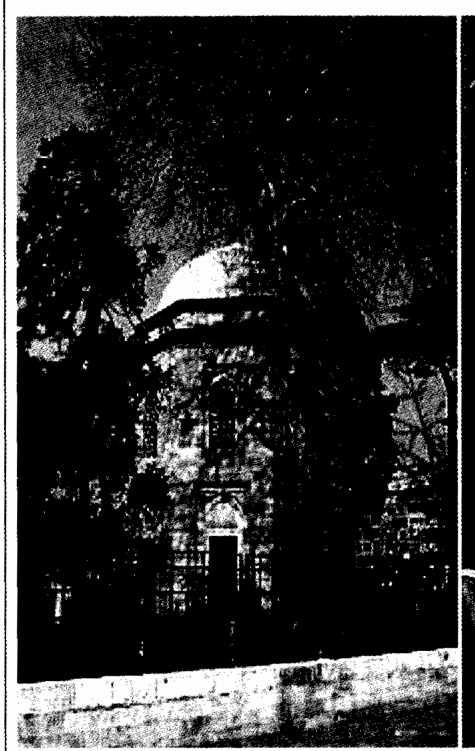
الفصل الثانى
وقفــة إجلالٍ وتقديرٍ ، من أجل :

أمير البحار :

خير الدين برباروس باشا



باش قبودان (قائد البحرية العثمانية) :
خير الدين برباروس باشا



قبـر : خير الدين برباروس باشا
فى العاصمة التركية اسطمبول

.... (١٤٧٢ : ١٥٤٦م) ....

أولى بنا أن نعرف أبطالنا

قام خير الدين برباروس ،
بإنقاذ ٧٠ ألف مسلم من المورسكيين ،
مُستخدمًا أسطولاً من ٣٦ سفينة فى ٧ رحلاتٍ بحرية ،
قام بتوطينهم فى مدينة الجزائر، مما حصّنها ضد هجمات الإسبانيين .

أمير البحار
خير الدين بربروس باشا

- عثمانى مُسلم من أصول ألبانية ، اسمه الأصلى خضر بن يعقوب ، ثم لقبَه السلطان سليم الأول بخير الدين ، عمل بالتجارة البحرية مع والده وإخوته ، الذين تحولوا إلى مُجاهدين فى البحر ، فى مواجهة منظمة فرسان القديس يوحنا الصليبية .
- توجه وأخوه الأكبر : عَرّوج (١٤٧٠ : ١٥١٨م ، الذى كان الناس يدعونه : بابا عرّوج ، احترامًا لشخصه الذى كان جسيمًا وسيمًا ، عالىَ الهمّة) نحو جزيرة جِرْبة فى تونس سنة ١٥٠٤م ، حيث اتفقا مع أميرها : محمد بن عبد الله الحفصى ، على أن يمنحهما أحد موانئ الجزيرة قاعدة لهما ، مُقابل خُمس الغنائم .
- شرع خير الدين بربروس وعرّوج ، فى شن الغارات المنظمة على سواحل وسفن إسبانيا وفرنسا وإيطاليا ، فأثارت تلك الغارات الرعب بين بحارة الدول النصرانية ، الذين أطلقوا على خير الدين لقب : بربروس بسبب احمرار لون لحيته .
- ولقد تمكن خير الدين وأخوه عَرّوج ، من نقل ٧٠ ألف من الموريسكيين من إسبانيا والبرتغال إلى الشاطئ الأفريقى فى الفترة ١٥٠٤ : ١٥١٠م ، وعلى منوال عرّوج - بعد وفاته فى ١٥١٨م - واصل خير الدين، إنقاذ الموريسكيين من شواطئ أيبيريا إلى شواطئ المغرب العربى .
- **بربروس : ذو اللحية الحمراء فى اللغة اللاتينية ، التى كانت قد بدأت تغرب شمسها فى أوروبا .**
- أرسل الشقيقان إلى السلطان سليم الأول (١٥١٢ : ١٥٢٠م) ، مفاتيح مدينة الجزائر مع هدايا ثمينة ، بالإضافة إلى إحدى المراكب المأسورة ، فقبلها منهما ، وأرسل لهما ١٠ سفنٍ هدية ، لتدعيم جهودهما ضد سفن البرتغال .
- فقويت شوكة خير الدين وعرّوج ، ووسعا مُلكهما داخل الجزائر ، ثم قاما باستعادة مدينة بجاية واستقرّا فى الجزائر ١٥١٤م ، ثم أعلن أخوه عروّج نفسه سلطانًا على الجزائر ١٥١٦م .
- وبعد أن استولى عرّوج على مدينة الجزائر ، هزم الجيوش الإسبانية فيها ، التى كان قد أرسلها ملك إسبانيا : كارلوس الخامس (شرلكان) ثم قام بفتح تلمسان ، **ولكن عرّوج قُتِل وهو يُحارب الإسبان** ، فحافظ خير الدين من بعده

على المدن المفتوحة ، ومنع الإسبان من السيطرة عليها ، وقتل أمير الجزائر الموالى للإسبان .

- **شرلكان : هو الإمبراطور كارلوس الخامس ، وحفيد إيزابيلا وفرناندو ، وملك إسبانيا (١٥١٦ : ١٥٥٦م) ، وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٥١٩ : ١٥٥٦م) ، وهو أبو الملك فيليب الثانى (١٥٥٦ : ١٥٩٨م) ، الذى أصدر قرار ١٥٧١م لتشتيت مسلمى غرناطة ، وجد فيليب الثالث (١٥٩٨ : ١٦٢١م)، الذى أصدر قرار الطرد من إسبانيا والبرتغال ١٦٠٩م .**

- وبعد وفاة عرّوج فى ١٥١٨م ، صار خير الدين بارباروس خلفًا لأخيه ، أى واليًا عثمانيًا على الجزائر، بناءً على الطلب الذى تقدم به وفدٌ من أهلها إلى السلطان العثمانى ، فتمكن خير الدين من طرد الإسبان من القلاع القريبة من مدينة الجزائر .
- وكان شرلكان قد استولى على تونس فى معركة كثيفة الجند قادها بنفسه ، لكن خير الدين قد نجح بالخروج من المعركة ، بقواته سليمة بعد أن أثخن قوات شرلكان بالجراح .
- وفى سنة ١٥٣٤م ، عينه السلطان سُليْمان القانونى (١٥٢٠ : ١٥٦٦م) قائدًا للبحرية العثمانية ، فأعد أسطولاً ضخمًا ، هاجم به شواطئ إيطاليا ، واستعاد تونس بمعاونته لأحمد بن الحسن الحفصى ، فى إقصاء أبيه الخائن ، الذى كان مواليًا للإسبان ، كما استولى خير الدين على ٢٠ جزيرة فى بحر إيجة .
- ثم دخل أمير البحار العثمانية ، فى مواجهة بحرية بقوة قوامها ١٢٢ سفينة عثمانية فقط ، مع تحالف أساطيل أوروبا فى ٦٠٠ سفينة ، فى خليج بروزة فى ٢٧ سبتمبر ١٥٣٧م ، انتهت بهزيمة ثقيلة لقوات التحالف الصليبى ، واستيلاء برباروس على ٣٦ سفينة منها وأسر ٢١٧٥ بحارًا ، بعدها صار البحر الأبيض لمدة ٣٣ عامًا لاحقة بُحيرة عُثمانية .
- وتوفى البطل العثمانىّ المُسلم أمير البحار : خير الدين برباروس ، وهو فى سجلات تاريخ البحرية العالمية ، واحدٌ من أبرع قوادها ، وتشهد له ولأخيه بابا عرّوج بالصلاح والتقوى عند باريها ، أرواح ٧٠ ألف مسلم وذراريهم إلى قيام الساعة .
- وتوفى أمير البحار : خير الدين باربارُوس ، عن عُمرٍ قد ناهز ٧٤ عامًا ، وخلفه ابنه : حسن أغا ، فى حكم الجزائر ، ومازال قبر البطل فى العاصمة التركية ، مزارًا دائمًا للأتراك والمسلمين كافة .

الباب الرابع

" أين كانت : دُوَلُ الإسلام الكُبرى الثلاث "
(العثمانية ، والمملوكية ، والصّفوية)
حتى ينفرد النصارى بمسلمى الأندلس ؟!

مُحتويات هذا الباب :

- تمهيـــد .
- الفصل الأول - يقول الراوى يا سادة :
  - أولاً – صراع العرش العثمانى .
  - ثانيًا – المواجهة بين العثمانيين والصفويين .
  - ثالثًا – المواجهة بين العثمانيين والمماليك .
- الفصل الثانى - الكنيسة الكاثوليكية :
  وقانون الحق الإلـهى .
  وملـوك الكاثوليكيــة :
  وظل الله على الأرض .

البـــاب الرابـــع

" أينَ كانت : دُوَل الإســـلام الكبــرى الثـــلاث "

(العثمانيّة ، والمملوكيّة ، والصّفويّة)

حتى ينفرد النصارى ، بمسلمى الأندلس ؟!!

- **تمهيـــد :**
- **العرب تاريخيًا :** أمة مُحاربة مُقاتلة ، ذات بأس شديد ، كانوا قبل الإسلام قبائل متحاربة ، شكّلت الحروب التى كانت تقوم بين قبائلها مدارس عسكرية مُتقدمة ، خاصة تلك الحروب التى امتدت عقودًا بطولها ، كحرب البسوس التى قامت أربعين عامًا مُتصلة ، حتى داخل القبيلة الواحدة ، وهى قبيلة : **" وائل بن ربيعة "** ، بين عشيرتيها بنى بكر وبنى تغلب .
- قَتَل فيها جسّاس بن مُرّة بن ذهل بن شيبان بن بكر (بنى بكر) ، صِهرَهُ كُلَيْب ابن وائل بن ربيعة (بنى تغلب)- أخو الزير سالم - بسبب مقتل سَراب (ناقة البسوس - هند بنت مُنقذ التميمية - خالة جساس بن مُرّة وإخوته العشرة) ، فاندلعت الحرب بين أبناء العم من العشيرتين ، أربعين عامًا مُتصلة ، ولم تنته إلا بمصرع الزير سالم ، الذى وسّع دائرة الثأر ولم يقبل الفدية التى كان أولى به أن يقبلها ، لقرابة العشيرتين وجوار مواطنهما .
- **للمزيد عن حرب البسوس ، راجع أنساب وائل بن ربيعة ، بحزمة : الخرائط ولوحات الأنساب .**
- أدت هذه الحروب الدائمة إلى شراسة العرب فى القتال ، وصارت هذه الشراسة ضرورة حياة **وطبيعة مُتأصلة فيهم** ، تلك الطبيعة المُتأصلة التى كانت بواكيرها ، انتصارهم المُدوى قبل الهجرة بخمس سنوات فى معركة : **" ذى قار "** على جيوش إمبراطورية الفرس العائدة توًا بعد انتصارٍ مُدوٍ على إمبراطورية الروم .
- **فلما جاء الإسلام :** جعل بأس العرب على أعدائهم - أعداء الإسلام - ففتحوا الدنيا فى نصف قرن ، بشهادة أبى العسكرية الأوروبية الحديثة : نابليون بونابرت ، وخفقت رايات الإسلام من عُمق الصين (من غرب إقليم كانسو الصينى الواقع غرب إقليم سينكيانج الإسلامىّ – التركستان الشرقية) إلى العمق الفرنسى حتى مدينة سانس ، الواقعة جنوب العاصمة الفرنسية باريس

بنحو ٥٠ كيلو مترًا فقط ، بعد أن دانت لهم الأندلس (شبه جزيرة أيبيريا – إسبانيا والبرتغال) ببضع سنوات .

- حيث دخل العُمق الفرنسى قادة الفتح العربى الأوائل ، الذين جاسوا فى الجنوب والوسط الفرنسى فى جسارة : **عُنبسة بن سُحيْم ٧٢٥م** ، وبطل معركة بواتيّيه - بلاط الشهداء - الأسطورى : **عبد الرحمن الغافقى ٧٣٢م** .

للمزيد راجع كتابنا : " نحو وعى بالعسكرية الإسلامية ، معارك الإسلام الكبرى ".

- لكن الخلافات أيضًا ، كانت طبيعة مُتأصلة فيهم منذ العصر الجاهلى ، فبعد أن دانت لهم الأندلس فى أقل من عامين فقط فى واحدة من عجائب التاريخ ، دبَّ الخلاف بينهم .
- ولم تطفئ أنوار الإسلام جذوة تلك الخلافات ، التى دبت بينهم بكثرة بالغة حوّلت الأندلس إلى أرضٍ من الزلازل ، هذا فى الوقت الذى كان فيه العدو النصرانىّ رابضٌ ينتظر عواقب تلك الخلافات المُتأصلة فيهم .
- وطالت تلك الخلافات - التى أصبحت سَجية عربية - الجميع : العرب والبربر (الأمازيغ)، وكذلك العرب : يمنية ومُضرية وقيسية (راجع لوحات أنساب العرب بحزمة الخرائط ولوحات الأنساب)، وحتى الصقالبة ، ألهتهم حدة خلافاتهم فأنستهم أن لهم عدوًا مشتركًا ، فصار بأس الأندلسيين بينهم ، وعجّلت شراستهم فى القتال فى سرعة ضياع فردوس الأندلس .
- **للتعريف بالبربر(الأمازيغ)، والقبائل العربية فى الأندلس ، والعرب اليمنية ، والعرب المُضَرية ، والعرب القيسية ، راجع كتابنا : " رؤية جديدة فى تاريخ ، الإسلام فى إسبانيا وفرنسا وصقلية وجنوب إيطاليا " .**
- لكن أين كانت ، دول الإسلام الكبرى الثلاث ، العثمانية والمملوكية والفارسية ، وهى دول كبرى شديدة البأس ، لها سجلٌ وافٍ فى الانتصارات فى معارك كبرى غيرت مجرى التاريخ ، قادرة على حشد الجيوش والأساطيل ، ودعم الأندلس ووقف جيوش غرب أوروبا كلها ، ومنعها من التقدم شبرًا واحدًا على التراب الأندلسى ؟! .
- ونحن مُضطرون للوقوف - ليس قليلاً - للإجابة عن هذا السؤال البديهى ، وإن كانت الإجابة فى كلمات : كانت الدول الثلاث تتقاتل وتأكل بعضها بعضًا ، لكن كيف كان ذلك ؟!، وحتى نعتبر، علينا أن نصيخ إلى رواية التاريخ ! :

ومن وعى التاريخ فى صدره أضــاف أعمــارًا إلى عُمــره

- والتاريخ هنا يا سادة ، هو الرّاوى ، فانتبهو يا أمة إقرأ !! . أتعرفون ماذا يقول عنا موسى ديان، سفيه بنى إسرائيل الذين اغتصبوا ديارنا فى فلسطين؟

وحق الله ، إنه يقول : " إن العرب لا يقرأون التاريخ ".

.... الفصل الأول ....

" يقول الرّاوى يا سادة "

(الراوى ، هو : التاريخ)

- **أولاً - صراع العَرش العُثمانىّ :**
- << كان للسلطان بايزيد الثانى ابن محمد الفاتح (١٤٨١ : ١٥١٢م) ثلاثة أبناء : أحمد (الأكبر) وكركود وسليم ، أضرم الأبناء الثلاثة نيران الحروب الداخلية حال حياة أبيهم .
- تلك الحروب التى لم تخمد جذوتها إلا بعد وفاة بايزيد ، الذى كان قد عين أبناءه الثلاثه أمراء على ولايات سلطنته ، تجنبًا لخلافاتهم الداخلية وتحسّبًا لعدم خروجهم عليه .
- وكان سليم بارعًا فى الحرب وقيادة الجيوش ، لذلك عشقته فيالق الانكشارية ودانت له بالولاء المطلق ، كما أتقن سليم لعبة السياسة وهو فى سِنٍ مُبكرة ، فحسّن علاقات الدولة العثمانية من ولايته طرابوزان مع دول الجوار .
- وقام بغزو جورجيا وضم مساحاتٍ شاسعة من أراضيها ونشر الإسلام فيها ، وتزوج سليم من : عائشة خاتون ، وأنجب منها سليمان ١٥٤٥م ، وهو الذى عُرف فيما بعد بالسلطان : سليمان القانونى ، لأنه قنن الشريعة الإسلامية على المذهب الحنفى .
- أقدم السلطان بايزيد على تعيين حفيده سليمان بن سليم ، على إحدى ولايات القرم ، لكن سليم لم يرض عن هذا التعيين ، فطلب من أبيه السلطان تعيينه على إحدى الولايات الأوروبية (فى تراقيا) ، لكن السلطان بايزيد لم يوافق سليم على ما طلب .

للمزيد عن الولايات العثمانية فى أوروبا ، راجع كتابنا :
" الإسلام فى آسيا وأوربا ، والأقليات المسلمة حول العالم " .

- مما دعى أحمد (الأكبر) إلى حشد قواته فى مواجهة والده وشقيقيه ، تحسّبًا لسعى سليم إلى العرش ، فلما علم سليم حشد قواته فى مواجهة والده جهارًا نهارًا ، مما دعى السلطان بايزيد إلى الانصياع إلى مطالب سليم ، كما رفض بايزيد دخول أحمد بقواته إلى العاصمة ، تحسّبًا لخلعه أو قتله ليجلس أحمد على عرش السلطنة .
- فلما بلغت كركود أنباء تلك الحوادث ، وسّع دائرة ولايته فى اتجاه العاصمة ليكون قريبًا منها عند الحاجة ، كما اضطر بايزيد إلى تعيين ابنه أحمد خلفًا له ، فلما بلغ ذلك سليم أعلن العصيان ، ودفع بقواته سريعًا فى اتجاه أدرنة واستولى عليها ، فواجهه والده بجيش قوامه ٤٠ ألف رجل فى ١٥١١م ، فهزم سليم والده الذى فرّ إلى القرم .
- ثم أرسل سليم جيشًا إلى القرم لمحاربة كركود ، فهزم جيش كركود وتفرق عنه جيشه ، ثم كتب سليم إلى أخيه أحمد بالقدوم فورًا إلى العاصمة لتنصيبه سلطانًا ، فجاء أحمد على عجل وتم تنصيبه سلطانًا .
- لكن الانكشارية المُوالون لسليم ، رفضوا الاعتراف بالأمير أحمد سلطانًا على العرش العثمانى ، وطالبوا السلطان بايزيد بالعفو عن الأمير سليم فعفى عنه ، فدخل سليم العاصمة بناءً على طلب الانكشارية .
- وقام الانكشارية فى العاصمة ، بالاحتفال بسليم احتفالا باهرًا ، وحملوه إلى سراى العرش العثمانى ، ثم طالبوا بايزيد بالتنازل عن العرش لسليم فقبل بايزيد ، وتنازل عن العرش وكُل مقاليد الحكم لسليم ، وجلس سليم على عرش عثمان فى ١٥١٢م .
- وبعد أن تنازل بايزيد عن العرش غادر العاصمة ، وفى الطريق - قيل - إن سليم دسّ له السم خوف الرجوع إلى العرش ، لكن الأمير أحمد نفى ذلك فى رسالة منه إلى المماليك المصريين .
- بهذه العقلية العسكرية المتسلطة بغير حدود ، استطاع سليم أن يصل إلى عرش جده الأعلى : عُثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه بن قلتمش ، رغم ما واجهه من صعاب .

- وما أن أصبح سليم سُلطانًا ، حتى أعلن أخوه أحمد تمرده من أنقرة ، وأرسل ولده علاء الدين فاحتل بورصة ، وراسل الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) : مصطفى باشا المُوالى له ، يطلب إليه أن يوافيه بتحركات سليم ونواياه .
- وعلى الجانب الآخر كان سليم قد عزم على القضاء على أخويه وأولادهما ، فعين ابنه سُليمان حاكمًا على العاصمة ، ثم تقدم على رأس جيوشه فى اتجاه أنقرة ، فدخلها ليجد أحمد قد هرب مُبكرًا بإخبارٍ من الصدر الأعظم : مصطفى باشا الموالى له ، فقتله سليم شرّ قتلة .
- ثم واصل سليم تقدمه باتجاه بورصة ، وفيها قبض على خمسة من أولاد أخويه فقتلهم جميعًا ، بما فيهم علاء ابن أخيه الأكبر أحمد ، ثم اندفع بقواته إلى صاروخان (معقل أخيه كركود)، فقتله ، ثم واجه أخيه أحمد فى عددٍ محدودٍ من القوات فقتله فى ١٥١٣م .
- وعاد سليم إلى العاصمة ، ليجد فى انتظاره عددًا من سُفراء أوروبا والمماليك المصريين ، يتزلفون إليه ، فعقد مع الجميع هدنة طويلة ، كى يتفرغ لشاه إيران : إسماعيل الصفوى (إسماعيل الأول بن حيدر الصفوى – مؤسس السلالة الصفوية فى إيران – ١٥٠١ : ١٧٣٦م) .

- **ثانيًا - المواجهة بين العثمانيين والصفويين** :
- وحتى يجد سليم سببًا لقتال إسماعيل الصفوى ، أمر بقتل كافة الشيعة فى الولايات العثمانية الشرقية المواجهة لإيران ، وكان عددهم يفوق ٤٠ ألف نسمة ، وكذلك حتى يأمن جانبهم مستقبلاً .
- فاندفع إسماعيل الصفوى باتجاه الأراضى العثمانية ، فأوكل سليم أمر العاصمة لسليمان، واتجه لملاقاة غريمه إسماعيل الصفوى فى حشودٍ هائلة ، ولقد حاول الصفوى تجنب مواجهة سليم .
- فأرسل الصفوى إلى سليم يطلب إليه هدنة وإبرام مُعاهدة صداقة ، لكن سليم رفض وقتل رُسُل الصفوى ، وأعلنه رسميًا بالحرب بشكلٍ استفزازى ، قائلاً له :

" إن كُنت رجلاً ، فالقنى فى الميدان ، ولن أملّ انتظارك ".

- وأرفق سليم إعلان الحرب ، بعددٍ من الملابس النسائية والعطور وأدوات الزينة النسائية ، استهزاءً بإسماعيل الصفوى ولدفعه إلى الحرب ، فواعده

الصفوى مُرغمًا على القتال فى سهول جالديران (فى أذربيجان الغربية التى كانت وقتها تابعة لإيران) .

- وتباطأ الصفوى فى المواجهة ، بغرض أن يحل الشتاء ، فيهلك سليم وقواته بغير قتال ، لكن سليم أسرع إلى جالديران واحتل هضابها مُبكرًا ونصب عليها بطاريات مدفعيته ، وفى صبيحة ٢٣ أغسطس ١٥١٤م تواجه العاهلان المسلمان العثمانى والصفوى ، وحسم سليم المعركة فى ضُحى يومٍ واحد ، وفر إسماعيل من الميدان ، وأمر سليم بإعدام جميع الأسرى ، ونصب هرمًا من جماجمهم فى ساحة جالديران .
- ثم توجه إلى العاصمة الصفوية تبريز فاقتحمها ، ونقل خزائن الشاه الصفوى إلى عاصمته اسطمبول ، ثم أخلى المدينة عاجلاً بعد أن نقل العلماء والحرفيين منها إلى عاصمته ، فانضمت ٢٣ مدينة صفوية للعثمانيين .

- **ثالثًا - المواجهة بين العثمانيين والمماليك :**
- كانت بين العثمانيين والمماليك المصريين - الذين يحكمون مصر والشام والحجاز - إحَنٌ كثيرة ، منها موقف المماليك الموالى للصفويين ، لخشية المماليك من سياسة سليم التوسعية ، فعقدوا حلفًا مع إسماعيل الصفوى ، فضلاً عن إيواء المماليك لأمراء عثمانيين مطلوبين للقتل على يد سليم ، هذا بالإضافة إلى استغاثة أهل الشام بالعثمانيين من مظالم المماليك .
- وتقابلت الجيوش العثمانية بقيادة سليم ، مع قوات المماليك بقيادة السلطان أبو النصر الأشرف : قنصوه الغورى - ابن ٨٠ عامًا - فى مرج دابق شمالى حلب ونتيجة لتفرّق أمراء جيش الغورى وانحياز بعضهم إلى العثمانيين ، انجلت المعركة عاجلاً عن انتصار سريع لسليم ، ومصرع الغورى تحت سنابك الخيل ، وذلك فى ٢٤ أغسطس ١٥١٦م .
- وبعد أن انضمت الشام إلى سليم سَلمًا ، اتجه سليم إلى مصر ، التى كان قد انتخب أعيانها : الأمير طومان باى سلطانًا ، بعد علمهم بمصرع الغورى ، وتقدم سليم بقواته حتى بلغ قرية الريدانية على أعتاب القاهرة . ...

- **الريدانية : هى حَىَ العباسية - حاليًا - الذى حمل - فيما بعد - اسم الخديو عباس حلمى الثانى - أكبر أبناء الخديوى : توفيق بن إسماعيل بن إبرهيم بن محمد على الكبير - الذى عزله الإنجليز مع بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م أثناء زيارة كان يقوم بها للعاصمة العثمانية استامبول ، وإعلان الحماية على مصر، وإنهاء ارتباطها نهائيًا بالخلافة العثمانية .**

- ونتيجة لحدوث خيانات من الأمراء المماليك فى جيش طومان باى ، اضطر إلى الانسحاب إلى الفسطاط أمام قصف المدفعية العثمانية ، وحدثت خسائر بالغة فى الطرفين بلغت ٢٥ ألف جندى .
- ونقل طومان باى مركز قيادته إلى بولاق ، إلا أنه خسر آخر معاركه فى الوردان بالجيزة ، فهرب إلى صحراء البحيرة ، حيث وشى به أحد مشايخ الأعراب هناك ، فشنقه سليم على باب زويلة فى ١٣ إبريل ١٥١٧م ، ودُفن طومان باى فى القبر الذى كان قد أعده لنفسة السلطان الغورى .
- **باب زويلة (بوابة المُتولى) : أحد أبواب القاهرة الفاطمية الذى شاده القائد بدر الدين الجمالى (الذى يُنسب إليه حَىّ الجمالية)، والذى يقع آخر شارع الغورية (نسبة إلى السلطان الغورى)، للمُتجه من ميدان الإمام الحسين والأزهر الشريف، إلى شارع تحت الرَّبع والمغربلين والخيّامية .**

- وبذلك سقطت دولة المماليك ، وبسقوطها سقطت الخلافة العباسية فى القاهرة بقيام محمد الثالث المتوكل على الله ، وهو آخر ذرية الخلفاء العباسيين ، الذى حضر أجداده إلى القاهرة ، مع الظاهر بيبرس ، الذى باسمه حىّ ومسجد الظاهر بالقاهرة ، بعد سقوط بغداد وخرابها على أيدى المغول ١٢٥٨م ، وكانت له الخلافة بمصر اسمًا .
- بقيام محمد الثالث بالتنازل عن حقه فى الخلافة ، إلى السلطان سليم الأول ، وتسليمه الآثار النبوية - وهى : سيف وعباءة وبَيْرق المصطفى (ﷺ) - صار سلاطين آل عثمان يحملون لقب : " أمير المؤمنين وخليفة المسلمين "، وصارت مصر بدورها ولاية عثمانية ، وآلت ممتلكاتها فى الشام والحجاز ، إلى دولة الخلافة العثمانية .

وهكذا يا سادة :

كان حال دول العالم الإسلامى الثلاث ، لا مكان فيها للأندلس ولا لغيرها ، وهى الدول الإسلامية الوحيدة ، التى كانت قادرة على حشد الجيوش والأساطيل ، التى كانت تكفى لفتح غرب أوروبا كُله ، وليس الأندلس وحده .

وصَوّر لنفسك أخى القارئ :

- لو أن هذه الجيوش قد تجمّعت ، تحت قيادى سليم الأول العثمانى ، باعتباره على خط المواجهة مع أوروبا ، ويملك مساحات شاسعة فى الجنوب الأوروبى فى تراقيا وشبه جزيرة البلقان ، وأعرَف عَواهِل الدّول الثلاث بدروب أوروبا ، ومواطن القوة والضعف فيها .

- **راجع : خريطة البلقان ، بحزمة : الخرائط ولوحات النساب (قبل مقدمة الكتاب) .**
- لأمكن للعاهل العثمانى : سليم الأول ، اختراق أوروبا من شبه جزيرة البلقان بادئًا بدول تراقيا التى كان معظمها يخضع للهيمنة العثمانية ، وإخضاع روما عاصمة الفاتيكان ، واستصفاء سُمومها الزُّعاف التى تصبها كُل حينٍ على الإسلام وأهله ، ولواصل سليم تقدمه غربًا ، حتى مضيق جبل طارق ، بعد أن استرد الأندلس كُله ، وأوقف مذابح المسلمين فيها ، وأخذ بثأرهم جميعًا .

لكنها - وحق الله – الفُرْقة يا سادة :

- مأساتنا قديمًا وحديثًا ، تلك الفُرْقة التى تأصلت فينا ، رغم دعوات الإسلام لنا بالوحدة ، وتحذيراته لنا من الفُرْقة وعواقبها ، التى دفعنا ثمنها هوانًا ومَذلة ، كما رأينا فى : " **حديث الصور** "، بالصفحات الأولى من هذا الكتاب .

فهل نفيق ؟!! .

الفصل الثانى

الكنيسة الكاثوليكية : و " قانون الحق الإلهى "
والملوك الكاثوليك : و " ظل الله على الأرض "

- تمثل عملية طرد المورسكيين العرب ، فاجعة إنسانية ، هيمن الكاثوليك فيها على القضاء الأوروبى ، وتأسست بموافقة البابا سكستوس الرابع فى ١ نوفمبر ١٤٨٠م محاكم التفتيش الإسبانية .
- تلك المحاكم التى خضعت لسيطرة ملوك إسبانيا ، وانتهت فيما بعد من إزهاق أرواح : " **أربعة ملايين مُسلم موريسكى** "، فى تقديرٍ جديد يستند إلى عددٍ من البحوث التاريخية .
- فقد اقترن اسم محاكم التفتيش، بمذهبٍ سياسى فى الحكم ، كان معروفًا باسم : " **قانون الحق الإلهى** "، بموجبه تحكمت الكنيسة الكاثوليكية بالملوك الكاثوليك ، فحكمت من خلفهم ، باعتبارهم يُمثلون : " **ظل الله على الأرض**"، وذلك بغرض تصفية المورسكيين المسلمين الذين أُجبروا على التنصّر .
- ويقول المؤرخون بأنه فى ١٥٠٠م ، تم إجبار المسلمين فى غرناطة وحدها على تسليم ، أكثر من ١,٥ مليون كتاب ، تميزت بتجليداتٍ زُخرفية لا تُقدر بثمن ، وقد أحرقت جميعها ، ولم يُستبق منها سوى بعض الكتب الطبية .
- وتزامنًا مع محرقة ١,٥ مليون كتاب ، تم إجبار المسلمين على التنصّر ، كما أعلنت إسبانيا حظر الختان ، والوقوف تجاه القبلة ، وحظر الاستحمام والاغتسال ، وحظر ارتداء الملابس العربية ، وكان الإعدام ينتظر من خالف تلك الأحكام .
- وكذلك الإعدام لمن وُجد فى بيته مصحف ، أو صام رمضان ، أو امتنع عن شرب الخمر أو امتنع عن أكل لحم الخنزير ، كما كانوا يكشفون عورات من يشكون فى إسلامه ، وكان الإعدام ينتظر من وُجد مختونًا هو ولأسرته .
- كما خضع المورسكيون لضرائب ، أكثر مما فُرضت على المسيحيين الأصليين ، ولما شعرت السلطات الإسبانية ، بميل المورسكيين للهجرة بسبب وطأة الحياة عليهم ، أصدرت قرارها فى ١٥١٤م ، يُحرّم عليهم تغيير مساكنهم أو النزوح إلى بلنسية .

- ولأن القرار السابق لم يحل المسألة ، فقد أصدر فيليب الثالث قرار الطرد فى ١٩٠٦م ، يُطرد الموريسكيون بموجبه من كافة ديار إسبانيا ، بعد أن فشلت المحاكم فى حمل المسلمين على ترك دينهم ، على أن يبقى الأطفال دون العاشرة ليقوم الرهبان بتلقينهم الكاثوليكية ، مع إبقائهم عبيدًا بغير زواج ، فنُهبت مع الطرد أموال الموريسكيين وصودرت أموالهم وممتلكاتهم .
- **ويؤكد عددٌ من المؤرخين ، أنه فى الفترة ١٦٠٩ : ١٦١٤م ، أن تعداد إسبانيا كان قد بلغ ٨ ملايين نسمة ، كان منهم ٦ ملايين مسلم ، تعرضوا للإبادة غرقاً ، حيث كانت السفن تُلقيهم فى عرض البحر ليموتوا غرقاً .**
- وقد أشار : هنرى تشارلز لى ، بعد دراسته لكافة المصادر المُعاصرة ، أن نسبة وفاة المسلمين تقع ما بين ثلثى وثلاثة أرباع مجموعهم .
- وقد أدى قرار الطرد ، لدخول إسبانيا فى أحلك حقب تاريخها ، حيث تحولت أخصب الأراضى الزراعية إلى أرضٍ مُوات ، كما اندثرت أكثر الحرف ازدهارًا : كحرف البناء والنقل وتنظيم السقاية وغيرها .
- ولم يبق بعد الطرد من الموريسكيين إلا القليل مُختفين بدينهم ، رُفع عنهم تقريرٌ إلى الملك ١٧٦٩م ، يتضمّن شكوكًا حول أشخاص مُهتمين بالإسلام سِرًا ، وهذا رجلٌ قد تكرر ذكره فى المراجع التى تناولت موضوع محاكم التفتيش ، كان اسمه : بَدنة ، قد أدى مناسك الحج فى سنة ١٨٠٧م ، أى بعد عدة قرون من قيام محاكم التفتيش .
- وبعد أن خرج حكم الأندلس من أيدى المسلمين ، اهتم الإسبان بإنشاء الأساطيل وتدريب البحارة على قتال البحر ، وكانت بَحريتهم فى عصر الإمبراطور شرلكان (١٥١٦ : ١٥٥٦م)، تخرج من جنوة ومن ثغور إسبانيا الشرقية والجنوبية ، وتعصف بمراكب المسلمين التجارية .
- فاستولت سفن شرلكان على مدن الشمال الأفريقى ، كبجاية ووهران والجزائر ، وتمكن الإسبان من إنشاء قواعد لهم على سواحل المغرب العربى ، على نحو ما فصلنا فى الحديث عن أمير البحار خير الدين برباروس (الخضر بن يعقوب) .

ولا تزال آثار محاكم التفتيش ، عالقة فى نفوسنا ،
ولن تغيب أبدًا عن ذاكرتنا ، حتى نسترد فردوسنا المفقود .

" خاتمـــة الكتــاب "

محتويات الخاتمة :

- عنصرية الكاردينال توركمادا .
- وجاء الاعتراف الإسبانى بالإسلام مُتأخرًا .
- عدد المطرودين .
- مشروع قرار مجموعة المؤرخين الثلاثين .
- البابا لم يخصّ المسلمين باعترافه .
- اعتراف رئيس البرتغال على استحياء .
- وبعد أخى القارئ :
- أبياتٌ مُختارة من قصيدةٍ ، لأبى الفوارس الصّيفى .
- أبياتٌ مُختارة من قصيدةٍ ، لأبى البقاء الرّندى .

" خاتمــة الكتــاب "

- لقد سبقت محاكم التفتيش فى إسبانيا والبرتغال ، أجهزة المخابرات الحديثة ، إلى الوسائل الرهيبة فى الاستجواب ، فكان يصل الأمر بهم إلى حد مُحاكمة الشخص حتى بعد موته ، فإذا ما ثبت لهم أنه قد أذنب ، أو خارجٌ عن الكاثوليكية ، فإنهم ينبشون قبره ويستخرجون جثته ثم يحرقونها عقابًا له .
- وكانت العقوبة من نوعين : خفيفة وثقيلة ، فأما الخفيفة فيكتفون فيها بتقريع المُذنب فى الكنيسة على رؤوس الأشهاد ، أو دفع مبلغ من المال ، أمّا إذا كان قرارهم فيه أنه زنديق حقًا ، فعقابه السجن مدى الحياة ، أو إلقائه فى المحرقة طُعمة للنيران .
- **وخَلت ديار شاسعة من ساكنيها حَرْقًا، تلك**

التى كانت لطائفــة الكثّاريّين الفرنسيين : ففى خلال الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة الكاثوليكية على العالم الإسلامى خلال القرنين ١٢ ، ١٣ م (١٠٩٦ : ١٢٩١م - ١٩٥ عامًا) أحرقت الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا، مناطق كاملة فى جنوب مدينة تولوز المسكونة بطائفة مسيحية .

- لأن الكنيسة الكاثوليكية قد اعتبرتها خارجة عن قانون الإيمان الكاثوليكى (دستور الإيمان الكاثوليكى) وهى تُدعى **طائفة الكاتاريين،** فكفرتهم الكنيسة ، وأعلنت عليهم حربًا صليبية مُقدسة ، تمامًا كالتى أعلنتها الكنيسة على العالم الإسلامى .
- فلكُل مذهب من مذاهب الدين الواحد - المسيحية - مُعتقدٌ خاص به ، ولذلك فكل مذهبٍ هو ديانة قائمة بذاتها ، وكُل مذهب يُحرّم المذاهب الأخرى ويتهمها بالكفر بالمسيحية (الهرطقة) ولذلك لا توجد ديانة مسيحية على الحقيقة .
- وإنما توجد دياناتٌ مُستقلة متصارعة ، هى : الكاثوليكية ، والأرثوذكسية ، والبروتستانتية ، وداخل كُل ديانة منها مئات الطوائف (ففى البروتستانتية وحدها ٥٠٠ طائفة) وقامت بينها حروب استمرت قرونًا عدة .
- فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية ، ترى فى **الكاتاريّين** طابورًا خامسًا ، أخطر من المسلمين ، ولذلك وقعت فى تلك الديار مجازر بغير حصر ، ولا تزال

آثار تلك المجازر باقية إلى اليوم ، فى الذاكرة الجماعية الفرنسية ، مُشكّلة صفحة سوداء فى التاريخ الفرنسى .

- وإلى الآن ما زال السّاسة الفرنسيون يخشون العودة إلى الحروب الدينية المذهبية الأهلية ، التى مزقتهم طويلاً من القرن ١٣ : القرن ١٧م، فقد حصدت الحروب المذهبية بين المذهبين الكاثوليكى والبروتستانتى ٤٠% من سُكان وسط أوروبا فى القرنين ١٦ ، ١٧ م وحدهما ، ولذلك فإن هؤلاء الساسة يجتهدون فى نسيان تلك الذكريات الأليمة لمحاكم التفتيش والحروب المذهبية ، لكونها صفحة بالغة السواد.
- **ويجمع المؤرخون** : أن أبشع محاكم التفتيش فى التاريخ ، هى محاكم التفتيش الإسبانية ، التى اشتُهرت بتعصبها الكاثوليكى ، والتى ابتدأت هناك مُبكرًا فى عام ١٤٨٠ م - قبل خروج العرب النهائى من إسبانيا بنحو ١٢ عامًا فى ١٤٩٢م - والذى انتهى بقتل وتنصير وطرد العرب ، وكان على رأس هؤلاء المتعصبين ، الملكة إيزابيلا ملكة قشتالة وزوجها فرديناند ملك أوراجون .
- وقد استهدفت محاكم التفتيش فى عصرها الباكر ، المسيحيين الجدد الذين أجبروا على التنصّر وعلى رأسهم المسلمون الذين عُرفوا بالموركسيين ، لمعرفة مدى جديتهم فى اعتناق المسيحية ، وكذلك لأسباب نفعية بحتة بغرض استصفاء أموال المُتنصرين بالمُصادرة .

- **عُنصرية الكاردينال توماس توركمادا :**
- هو شيطان ، أو هو على الحقيقة أحدُ مَرَدَةِ الجنّ ، الذى كان مُقربًا من الملكة إيزابيلا التى أعماها التعصّب بدورها ، وكان **رئيسًا لمحاكم التفتيش فى إسبانيا لمُدّة ١٧ عامًا** مُتصلة (١٤٨١ : ١٤٩٨م) ففى عهده الكاشح بالسواد - **وفى منطقة طُليْطلة وحدها** - قام بالمجازر الآتية بعد :

١- حَرْق ١٠٢٢٠ شخصًا بالنار .
٢- ذبْح ٦٠٤٨ زنديقًا .
٣- عذب حتى الموت ٦٥٢٧١ شخصًا ، ماتوا فى السجون .
٤- شنق ١٢٣٤٠ شخصًا مُتهمين بالزندقة .
٥- حكم بالأشغال الشاقة على ١٩٦٧٠ شخصًا بالسجن المؤبد .

- ولقد شملت أحكام هذا المُتعصّب ، أكثر من ١١٤ ألف شخص فى منطقة **طليطلة وحدها** ، فما بالنا بما جرى فى باقى البقاع الإسبانية ، وظلت هذه الأعداد الهائلة من البشر ، يُجرّدون من أملاكهم وأموالهم ، ليُهديها هذا الشيطان للكنيسة الكاثوليكية ، والجمعيات الخيرية الكاثوليكية !! .
- ولقد عذبت الكنيسة الكاثوليكية وشوهت ودمرت ملايين الأرواح ، إما مُباشرة من خلال محاكم التفتيش ، أو بطريقة غير مُباشرة من خلال الحروب التى أشعلتها وحرّضت عليها .
- **وبالرغم من أن يهود إسبانيا ، لم يتعرّضوا لِمَا تعرض له المسلمون هناك ، فقد شادوا حديثًا متاحف لأدوات التعذيب ، وقاموا كذلك بإنتاج الأفلام الوثائقية التى سجلت مُعاناتهم ، فى محاكم التفتيش الكاثوليكية فى إسبانيا والبرتغال (الأندلس) .**
- ومساجدنا فى الأندلس ، قد تحولت جميعها إلى كنائس ومتاحف ، ومُسلمو الأندلس اليوم ، لا يملكون الصلاة فيها ، وإنما يُصلون فى منازلهم ، ولقد آن - مؤقتًا - مُطالبة الجالس على عرش البابوية فى دولة الفاتيكان التى حاضرتها روما - مركز الكاثوليكية العالمية - وكذلك الجالس على عرش إسبانيا بالاعتذار لأحفاد المورسكيين فى شمال المغرب العربى ، ورد مساجدنا وآثارنا إلينا ، وتعويضات على غرار تعويضات الهولوكوست .

- **وجاء الاعتراف الإسبانى بالإسلام مُتأخرًا :**
- لقد اعترفت إسبانيا بالإسلام دينًا رسميًا فى ١٩٨٩م (أى منذ ٢٥ سنة فقط) ، فأحيت المعاهدة التى وقعها فرديناند الخامس وزوجته إيزابيلا ، مع الأمير العربى : أبى عبد الله محمد بن الحسن بن الأحمر الخزرجى ، آخر ملوك بنى الأحمر ملوك غرناطة ، والتى تقع فى ٦٧ بندًا ، وبموجبها جرى تسليم غرناطة ، لكن فرديناند وزوجته نقضاها بعد قليل .
- لقد نقض كاثوليك إسبانيا هذه الاتفاقية عُروة عُروة ، حتى أن من كانوا قد أسلموا باختيارهم من الإسبان قد أجبروا على الرجوع إلى الكاثوليكية ، وهذه المُعاهدة وإن كانت قد نُقِضت فإنها لم تُلغ .
- ولذلك ينبغى عمل المسلمين على الانتفاع بشروطها ، بعد أن اعترفت إسبانيا الحديثة بالإسلام دينًا ١٩٨٩م ، ويُقدر بعض المؤرخين ، عدد مَن عُذب من

المسلمين ، بعد سقوط غرناطة ١٤٩٢م ، **بثلاثة ملايين مُسلم** ، قُتِل منهم من قُتل ، وأُحرق من أحرق ، ونجا بنفسه من نجا ، وخربت غرناطة والأندلس وأوحشت من علمائها وصُنّاعها المهرة .

- ولقد اضطر مَن بقى من المسلمين فى الأندلس ، مِمّن لم يقدروا على الهجرة أن يتنصّروا ، أما مَن هاجر منهم إلى المغرب العربى ، فقد حملوا معهم علومهم وفنونهم وحرفهم ، فنهض المغرب وعمرت دياره بقدومهم .
- وبقيت فى الأندلس بقية مِمّن تنصروا من المسلمين ، وهم الذين عُرفوا بالمورسكيين ، فاندمجوا فى المجتمع الإسبانى والبرتغالى ، لكنهم حافظوا على لغتهم العربية ، وكتبوها بالأبجدية الإسبانية ، فعُرفت بلغة الخمينادو .
- **ونُشير على القارئ الكريم بمُراجعة : مراحل الاسترداد المسيحى ، بالباب الأول .**

- **عدد المطرودين :**
- والخلاف كبيرٌ بين المؤرخين فى عدد المطرودين من المسلمين ، بعد قرار الطرد الجائر فى ١٦٠٩م ، فالمؤرخ فليورنتى كان يُقدر عددهم **بمليون نسمة** ، كما قدّرت بعض الإحصائيات فى تلك العصور **تعداد إسبانيا بنحو ٨ ملايين نسمة** .
- وعلينا أن نأخذ فى الاعتبار كذلك ، تقدير نافاريتى (وهو أحد كبار مؤرخى إسبانيا)، بأن عدد من هاجروا من إسبانيا فى تلك الحقبة ، هم : **٣ ملايين مُسلم** ، أو من مُتنصّرين عدا من استرق منهم ، أو هلك من التعذيب .
- إن مأساة المسلمين فى إسبانيا ، على حد قول الكاردينال ريشيليو :

" هى أشد ما سجلت صحف تاريخ الإنسانية ، فظاعة وقسوة وبربرية " .

تلك الأعمال التى لا يملك أن يغمض عن إتيانها ، مَن به ذرة من عقلٍ أو شعور ، أو كان على شيء من المعرفة بالدين - أى دين – أو دين عيسى ابن مريم خاصة الذى جاء يُبشر بالسلام والمحبة ويدعو إلى التسامح والمغفرة .

- **وعلينا إحياء ذكرى الخروج من الأندلس** ، عبر سَرد تلك الصور التى لا يُمكن طمسها أو الغفلة عنها ، من خلال الكبرياء العربية والحمية الإسلامية ، ودعوة البشرية عامة ، لإدانة هذه الصفحات التاريخية الفاجعة ، باعتبارها جرائم ضد الإنسانية ، ينبغى الترفع عنها ، وعما جاء بها من العنصرية والأحقاد والكراهية ، هذا إذا كانت الإنسانية بحق ، تنظر إلى غدٍ مُشرق .

- ولقد كانت محاكم التفتيش على الحقيقة ، مؤسساتٍ كنسية إرهابية ، انتُزعت من قلوب كُهانها الرأفة والرحمة ، لم تعرف الشفقة بالمسلمين الذين غُلبوا على أمرهم وبقوا فى الأندلس بعد سقوط الحكم العربى فى غرناطة ١٤٩٢م .
- فقد نصروهم بالقوة ، وأجبروهم على تغيير أزيائهم العربية وأسمائهم الإسلامية كما حرّموا عليهم التخاطب بالعربية ، فأجبروهم على التنكر لمظاهر الدين الإسلامى الأخرى كالاغتسال واللباس والنظافة .
- فاصطر الأندلسيون لإخفاء دينهم ، والتظاهر بالنصرانية بعد ما مُنعوا من الهجرة ، لكونهم خيرة المُزارعين ومهرة الصّناع ، فهجرتهم ستجلب الخراب لإسبانيا ، فكانوا كالقابضين على الجمر : الإسلام فى أفئدتهم ويتظاهرون بالنصرانية ، حفاظًا على أرواحهم وذراريهم ، مُقتدين بالآية الكريمة :

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ النحل (١٠٦) .

- لكن محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، قد ألزمتهم بترك أبواب منازلهم مفتوحة ، حتى يُداهمها المخبرون السّريون ، للتأكد من عدم قيامهم بأداء شعائر الإسلام ، فصارت الكنيسة الكاثوليكية بكهانها ومُخبريها حُكامًا على قلوب المسلمين وضمائرهم .
- فكانوا يعتقلون المسلمين بتهمة قيامهم بالشعائر الإسلامية ، فيقومون بشنقهم ، **ثم يحرقونهم وهم أموات** ، وهذا هو حال النصرانية حين استأسدت على المسلمين ، وهذا هو حالها أيضًا فى كُل مكانٍ إلى اليوم .
- رمونا بدائهم ثم انسلوا ، حيث وضعوا حجر أساس الإرهاب فى التاريخ الإنسانى ، ذلك الإرهاب الذى لم يُفارق أقطار الدنيا بعد ذلك ، وأين هم ودينهم الذى شاده رجال الإكليروس (رجال الدين)، من ديننا الذى لا يُكره أحدًا على ترك دينه ، عملاً بقول الحق - سُبحانه :

﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ يونس (٩٩) .

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ البقرة (٢٥٦) .

- والفاتحون المسلمون لم يُكرهوا أحدًا على الإسلام ، والمُستشرقون جميعًا مُنصفون وغير منصفين مُسلمون بهذه الحقيقة ، سواء فى فتح إسبانيا أو غيرها ، كما تركوا كنائس النصارى لأهلها فى إسبانيا ومصر وغيرهما .

- فلمّا استأسد نصارى الأندلس على مسلميها ، اتخذوا الإرهاب وسيلة لحملهم على النصرانية من خلال محاكم التفتيش ، التى عمت أرجاء إسبانيا والبرتغال .
- وبعد انقضاء أكثر من قرن (١٤٩٢ : ١٦٠٩م)، لمّا يئس الرهبان الكاثوليك من تنصير المسلمين (الموريسكيين) ، تسابقت فى تعذيبهم محاكم التفتيش الكنسية ، لحملهم على الدخول جَبْرًا فى النصرانية .
- وكان الحرق يُنفذ فى مهرجاناتٍ عامة ، يُدعى إليها عموم الناس ، وكهنة الكنائس والأمراء والملوك ، فى احتفالاتٍ كبيرة ، عُرفت بـ : " احتفالات الإيمان "!! .
- حقًا لقد احتكرت الكنيسة الكاثوليكية الدين ، فأقامت محاكم التفتيش الكنسية فى كُل المدن ، التى جعلت الناس يتمنون الموت للخلاص من حلقات العذاب المُمنهج ، وليرحم الله القائل :

لا تعجبن من هالكٍ كيف هوى بل فاعجبن من سالم كيف نجا

- وإذا كانت محارق النازية قد استمرت أعوامًا (الهولوكوست)، فإن محاكم التفتيش فى الأندلس قد استمرت قرونًا (١٨٣٤- ١٤٨٠ = ٣٥٤ سنة) ، وإذا كانت دول الغرب النصرانى قد فتحت وثائقها للصهيونية ، لتؤلف ما تدعى أنه وثائق محارق اليهود فى العصر النازى ، فإن الفاتيكان وكنائس الكاثوليكية ترفض رفع الحظر عن وثائق تعذيب المسلمين وقتلهم وحرقهم وطردهم .
- وما زال العالم يجهل ، الكثير عن محاكم التفتيش ، وما جرى بداخل قاعاتها التى ذهب ضحيتها ملايين المسلمين ، **ولا نملك على التحديد إحصاءها** ، إن المسلمين ولا شك فى حاجة لدراسة مُتأنية لتلك الوثائق التى ما زالت محظورة ، والتى تملأ خزائن الفاتيكان - مركز الكاثوليكية العالمية فى روما - وكذلك خزائن الكنائس الكاثوليكية فى حواضر إسبانيا والبرتغال .
- وأين السلوك الهمجى لقداسة البابا ومحاكم التفتيش التى قدسها برئاسته !! ، من تسامح الإسلام الذى أسبغه الفاتحون المسلمون على نصارى الأندلس ، فنعموا فى حِمَى الإسلام بالحرية الدينية : فلم يحملهم أحد على ترك دينهم إلى الإسلام ، ولم تتحول كنائسهم يومًا إلى مساجد .

- **وإلى القارئ نُضيف :** إن ما تيسر حتى الآن من معلومات عن محاكم التفتيش الكنسية فى الأندلس ، ينحصر فى الرؤية النصرانية التى بلغتنا ، مما كتبه المُستشرقون وهم جميعًا غير مسلمين ، وفى حدود ما سمحت به سلطات النصارى ، التى بالغت فى عدد ضحايا محاكم التفتيش من النصارى ، بغرض تقليل عدد الضحايا من المسلمين .
- ولذلك فإننا مهما أسهبنا ، فى استعراض أهوال محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، وضحاياها من المسلمين ، فإننا لم نُلمّ إلا بجزءٍ ضئيلٍ من صفحاتها الكالحة السّواد البالغة الوحشية ، ، ومهما دوّنا من تاريخها ، فلن نملك أن نستعرض سوى جزءٍ ضئيلٍ من جرائمها ، التى طالت المسلمين فى الأندلس .
- **وحتى أطفال المسلمين :** لم يكونوا بمنأى عن أهوال تلك المحاكم ، فقد يَتهم طفلٌ طفلاً آخر أثناء اللعب ، فيشى به فيُلقى القبض عليه ويُحاكم ، وغالبًا ما يموت أثناء المحاكمة ، لأنه لا يتحمل التعذيب والسجن اللذين صارا من لوازم التحقيق .
- فلقد بلغت درجة الوشاية حدًا بعيدًا ، حتى طالت الأطفال ، كما صارت الوشاية سبيلاً للتخلص من أىّ إنسان ، لأتفه الأسباب ، فأىّ تهمة كانت كافية أن تدفع بمسلمٍ سابقٍ من المورسكيين المُتنصرّين إلى أعماق السجون .
- فلما تأكد فشلهم ، قاموا بطردهم من إسبانيا والبرتغال ١٦٠٩م بقرار فيليب الثالث ، كما حدّدوا لهم طُرُقًا للخروج ، نصبوا عليها كمائن الإبادة مُسبقًا ، فهلك من المطرودين خلقٌ كثيرون ، يقّدرهم بعض المؤرخين **بثلاثة أرباع المليون .**
- وفى الوقت الذى نَعِم فيه سُكان الأندلس ، بالحضارة الإسلامية الزاهية ، وكذلك التسامح الذى لم تعرفه أىٍ من بقاع أوروبا الشاسعة ، فقد كانت ديار أوروبا تسبح فى بحار الدم ، والحرائق والعذاب الهون ، فى الحروب المذهبية بين أصحاب الدين الواحد (المسيحية) .
- حيث كانت الكنائس تُؤجج العداوات بينهم ، مما تسبّب بعد ذلك فى انتشار العلمانية والإلحاد ومُعاداة الأديان جميعًا ، ولمّا سقط الحكم العربى فى الأندلس ، استأسد النصارى واجتهدوا فى حمل المسلمين (المورسكيين) على

التحول عن دينهم ، من خلال التعذيب والقتل بأبشع السبل ، وبعد أكثر من قرن لمّا بدى فشل محاكم التفتيش الكنسية ، كان قرار الطرد الجائر الذى أصدره فيليب الثالث - حفيد شرلكان - فى ١٦٠٩م .

- **وبودّى قبل أن تنتهى خاتمة الكتاب ، أن أضيف إلى علم القارئ الكريم بما أورده ، فضيلة الأستاذ الشيخ : محمد على قطب ، فى مؤلفه : " مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس " ، نقلاً عن عددٍ من كبار المؤرخين الأوروبيين :**

١- **عدد المُعذّبين :** ما نصه فى ص ٤١ - " يُقدر بعض المؤرخين مَن عُذّب من المسلمين بعد سقوط غرناطة ، **بثلاثة ملايين نسمة** ، قُتل من قُتل ، وحُرق من حُرق ، ونجا بنفسه من نجا ، كما اضطر من بقى من المسلمين فى الأندلس ، أن يتنصّروا ، ومع ذلك فقد أسِيىء الظن بهم ، وعوملوا أسوأ مُعاملة " .

٢- **جُملة ضحايا محاكم التفتيش فى أوروبا :** ما نصه فى صفحة ٧٦ - " لم تعمل محاكم التفتيش فى دُوَل أوروبا كفرنسا وإيطاليا ، بمثل ما عملت به فى إسبانيا والبرتغال (الأندلس) ولم تُمارس من الفظائع والأعمال البربرية الوحشية ، بمثل ما مارست فى شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال – الأندلس)، حيث يُقدر عددٌ من المؤرخين ، ضحايا محاكم التفتيش الكنسية ، **بما لا يقل عن ٩ ملايين من البشر ، خلال خمسة قرون** ، اعتبارًا من تاريخ إصدار بابا روما ، قراره بإنشاء أول ديوان تفتيشٍ فى ١٣٣٣م " .

- **مشروع قرار مجموعة المؤرخين الثلاثين :**
- لأن الكنيسة لم تعد قادرة على تجاهل مسئوليتها المباشرة ، فى الفظائع التى ارتكبتها محاكم التفتيش بحق المسلمين ، ففى عام ٢٠٠٢م قدمت مجموعة مُكونة من ٣٠ مؤرخًا من جميع أنحاء العالم ، مشروع قرارٍ إلى بابا روما - بولس الثانى - حول إمكان اعتذار الكنيسة الكاثوليكية ، عن محاكم التفتيش وجرائمها بحق المسلمين .

- **البابا لم يَخصّ المسلمين باعترافه :**
- كان البابا قد نظم مجموعات عمل ، من أجل دراسة إمكان اعتذار البابا للمسلمين ، **عن الحروب الصليبية ، ومحاكم التفتيش فى إسبانيا والبرتغال ،** وفى صلاة الأحد ١٢ مارس ٢٠٠٠م ، اعترف البابا يوحنا بولس الثالث ، بما يلى :

" إن الكنيسة الكاثوليكية ، قد ارتكبت عبر محاكم التفتيش ، ذنوبًا وأخطاء بحق - الآخرين - خلال الألف سنة الماضية وبأن أتباعها قد ارتكبوا أخطاء أخرى باسم الدفاع عن الإيمان ، وطلب أمام الملأ الصفح والغفران من الله ".

- **اعتراف رئيس البرتغال على استحياء :**
- كذلك فعل الرئيس البرتغالى " جورج سمبابو "، بدوره ، بالاعتذار عن جرائم أجداده بحق العرب ، فى أثناء محاكم التفتيش ، إلا أن اعتذاره جاء فى خطبة ألقاها فى حفل افتتاح ندوة التراث العربى فى مايو ١٩٩٧م .
- وهو اعتذار لم يسمع به الكثيرون ، لولا أن تصادف وجود مُراسلٍ لصحيفة : " الشرق الأوسط " السعودية ، الذى كان مُشاركًا فى هذه الندوة ، وليعلم بابا الكاثوليكية وكُل الزبانية الذين خرجوا من عباءته قديما وحديثًا ، أن جرائم القتل والحرق والتعذيب والاغتصاب ، لا تسقط ولن تسقط بالتقادم ، وإننا وإن طال العهد قادمون ، وإن غدًا لناظره قريب .
- ولقد أضاعت دول الطوائف أرضًا إسلامية ، فتحها أعظم قادة الفتح الإسلامى استبسالاً ، قد ارتوت بدماء الشهداء من جنود الفتح الإسلامى الباهر ، فضاعت جميعها دولة دولة ، ولم تُعمّر منها سوى غرناطة ٢٥٠ عامًا ، تدفع الجزية لملوك قشتالة وأوراجون ، حتى سقوطها فى ذلك اليوم البائس ٢ يناير ١٤٩٢م .
- ولقد استمرت حملات الإحراق حتى ١٥٧٧م فى غرناطة ، راح ضحيتها حرقًا : **نصف مليون مسلم** ، بعدها تم تعميد مَن بقى مِن المسلمين بالقوة .
- وتوجد - حاليًا – جالية إسلامية محدودة العدد ، فى كُل المدن الإسبانية ، تبلغ فى غرناطة وحدها ١٥ ألف مُسلم ، لهم مسجدان صغيران ، ولقد افتُتح مُنذ شهور فقط مسجد غرناطة الكبير ، بحضور الشيخ سلطان القاسمى ، حاكم إمارة الشارقة ، الذى تبرع بثلاثة ملايين يورو ، لبناء المسجد الذى تكلف ٤

ملايين يورو . وهذا المسجد ، واحدٌ من عدة مساجد ، قد جرى بناؤها فى إسبانيا فى الفترة الأخيرة .

وبَعدُ أخِى القارئ

هؤلاء كما رأيت ، هم كُهان الكاثوليكيّة الأوروبيّة ، الذين شكّلوا محاكم التفتيش الكنسية الكاثوليكية ، للقضاء على الإسلام وأهله فى فردوسنا الذى فقدناه ، بعد **فتح حضارى** دام ٨ قرون (وليس **غزوًا استعماريًا** لاستصفاء الأموال والممتلكات) **وحضارة زاهرة** كانت (مع صِقلية العربية) الباب الملكى لدخول أوروبا **عصر النهضة** ، المَسيحُ منهم جميعاً بَراء ، أدعياء المَحبّة المَارقون ، الذين يدّعُون على المسيح - عليه السلام - زورًا ، فى أناجيلهم المكتوبة (التى كتبوها بأيديهم)، قوله :

١- " أمّا أعدائى، أولئك الذين لم يُريدوا أن أملك عليهم ،
فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قُدّامى". إنجيل لوقا ١٩ (٢٧).

٢- " لا تظنوا ، أنّى جئت لألقى سلامًا على الأرض ،
ما جئت لألقى سلامًا بل سَيفًا ". إنجيل متّى ١٠ (٣٤).

وليرحم الله شاعرنا العربىّ :
أبا الفوارس سَعد بن مُحمّدٍ بن سَعدٍ الصّيفىّ ، القائل :

حَكمنا فكان العَدل مِنّا سَجيّة ... وحَكمتم فسَال بالدّمِ أبْطحُ
وحَللتم قتل الأسَارى وطالما ... غدَوْنا على الأسْرى نعفوا ونصفحُ
وحَسْبُكمْ هذا التفاوتُ بَيننا ... وكُلّ إناءٍ بما فيه ينضحُ

وليرحم الله كذلك ، شاعرنا العربىّ :
أبا البقاء الرّندىّ ، القائل يوم اجتياح قِشتالة لبلنسية ١٢٤٨م :

حتى المحاريب تبكى وهى جامدة ... حتى المنابر ترثى وهى عِيدان
حتى المساجد قد أضحت كنائس ... ما فيهن إلا نواقيسٌ وصُلبان
يَا مَن لِذلة قوم بَعدَ عِزهم ... أحَال حالهم جَورٌ وطغيان
بالأمس كانوا مُلوكًا فى منازلهم ... واليوم هم فى بلاد الضِدّ عِبدان
ياربّ أمّ وطفلٌ حِيل بينهما ... وكَم تفرّقت أرواحٌ وأبدان
وطفلة مثل حُسن الشمس إذا ... ما طلعت كأنما ياقوتٌ ومُرجان
يقودها العِلجُ للمكروه مُكرهة ... العَيْن بَاكية والقلب حَيران
لِمثل هذا يَذوبُ القلبُ مِن كَمَدٍ ... إن كان فى القلب إسلامٌ وإيمان

وأخيرًا أخى القارئ
شاركنى الرأى فى هذه الخطايا

- ما كانت فاجعة الأندلس وحدها، ولا فلسطين الأخرى ، فريدتى تاريخنا الإسلامى، المُثقل بالفواجع التى صنعها خلفاء الإسلام وأمراؤه ، فعلى صفحات تاريخنا فواجع أخر ، سأحمل نفسى حملاً على سردها فى عُجالة ، رفقًا بنفسى ونفسك ، بالتجاوز عن تفاصيلها :
- **أولاً - خطيئة الوليد وسليمان ابنى عبد الملك :**
- كان بإمكان الفاتح العربى الأسطورى : موسى بن نُصير، أن يفتح أوروبا (وقد وضع خططه لذلك حين فتح حوض الرون فى عمق الجنوب الفرنسى) حين عبر البرانس وتوغل فى مشرق الجنوب الفرنسى ، وعزم على اقتحام فرنسا والتوغل فى العمق الأوروبى ، ليفتح حواضر المسيحية الكبرى فى روما والقسطنطينية ، ويصل إلى الشام عبر آسيا الوسطى .
- لكن الخليفة الأموى : الوليد بن عبد الملك ، خشى على العرش الأموى إذا ما دانت كُل هذه الفتوح لموسى بن نصير ، فيعدو على الخلافة الأموية ويجلس على عرش أبناء عبد الملك .
- فكرر إصدار أوامره إليه وإلى فتاه : طارق بن زياد ، بالتوقف والكف عن الفتح ، والعودة عاجلاً إلى دمشق ، ليبقى موسى فى بلاط الوليد ثم بلاط أخيه سليمان ، سجينًا بغير سجّان ، إلى أن مات الفاتح العظيم كمدًا ، ولسان حاله يقول :

لا تلم كفى إذا السيف نبى   صَحّ منّى العزم والدهر أبى

- وضاعت أول فرصة سنحت للإسلام لفتح أوروبا (معقل المسيحية إلى اليوم) ونشر الإسلام فيها ، وللقارئ الكريم أن يُصوّر لنفسه ، لو أن الوليد وسليمان كفّا عن الحسد الصريح ، وأطلقا العنان لأسد الإسلام : موسى بن نصير ، وفتاه الأمين: طارق بن زياد .
- لرُفع الأذان من باريس وروما والقسطنطينية ، فى ذاك الزمان الباكر من عمر الإسلام (القرن الأول الهجرى)، ولكانت قارات العالم الجديد بدورها (الأمريكتين وأستراليا)، تدين اليوم بالإسلام !!! .
- **ثانيًا - خطيئة يوسف بن تاشفين ، أمير المرابطين :**
- هو أحد أبرز أعمدة العسكرية الإسلامية، الذى عبر عُدوة الأندلس ١٠٨٦م ، من أجل طليطلة وحدها ، التى سقطت فى عصر الطوائف فى يد ملك قشتالة

١٠٨٥م ، فدخل بسببها في مواجهة مع قواتٍ غرب أوروبا مُجتمعة ، التى جاءت فى جموعها الجرارة .

- لتواجهه فى **معركة الزلاقة** ، إحدى الدّرّات فى مفرق العسكرية الإسلامية ، وانتصر ابن تاشفين فيها انتصارًا مُدويًا ، قضى فيها بالكُلية على قوات غرب أوروبا ، وعلى الجانب الآخر خرج يوسف بقواته سليمة تمامًا ، قادرة على القتال مرة أخرى .
- **نتائج معركة الزّلاقة : فقد النصارى كل الرّجّالة (المشاة) وعددهم ٢٠٠ ألف مقاتل فلم ينج منهم أحد ، و ٨٠ ألف فارس لم ينج منهم سوى ١٠٠ فارس فقط ، دخلوا طليطلة مع الفونسو الذى طعنه أحد جنود الحرس الأسود المرابطىّ فى فخذه .**
- ومع ذلك لم يُواصل الفتح ليدخل طُليطلة ، التى لا يوجد بها غير حامية صغيرة لن تصمد بضع ساعاتٍ أمام حصار قواته ، فضلاً عن أن أوروبا غير قادرة على حشد جيوش أخرى قبل بضع سنوات .
- فلماذا لم يواصل يوسف بن تاشفين تقدمه ، فى ولايات الشمال الأندلسى ، الخالية من قوات النصارى ، عدا الحاميات النصرانية الهزيلة فى حواضر الإسلام الأسيرة ؟ !!!.
- قل لى بربك أيها القارئ : لماذا لم يواصل ابن تاشفين تقدمه ، ليُحقق وحدة التراب الأندلسى ، ويفك أسر دياره شبرًا شبرًا ، وهو القادر على ذلك ؟ !! .

- **ثالثًا – خطيئة غدر سليمان بأعظم قادة الفتح استبسالاً :**
- سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم - أحد أكبر سُفهاء بنى أمية - الذى جلس على العرش الأموى خلفًا لأخيه الوليد ، قتل ثُلة من قادة الإسلام فى ذلك العهد الباكر (القرن الأول الهجرى) وموجات الفتح الإسلامى كانت مازالت عاتية ، فأقدم بحقده وحسده على التخلص بالقتل غدرًا ، بثلاثة من أعاظم قادة الفتح الإسلامى ، الذين كانوا موالين لأخيه الوليد :

١- **قُتيبة بن مسلمٍ الباهلى :** فاتح بلاد ما وراء النهر (بخارى الكبرى – التركستان الغربية) وفاتح التركستان الشرقية (إقليم سينكيانج الصينى الآن – نسبة المسلمين فيه ٩٠%) والذى دخل إقليم كانسو الصينى ، ولولا استدعاء سُليمان له لواصل تقدمه ليفتح الصين كلها ، وصَوّر لنفسك أخى القارئ ، لو فُتحت الصين (١,٣ مليار نسمة الآن) فى ذلك العهد الباكر من عمر الإسلام ، كيف يكون حال الإسلام اليوم ؟!!! .

٢- **محمد بن القاسم :** فاتح السند (باكستان اليوم) ، وأصغر قادة الفتح الإسلامى قاطبة (١٧ عامًا)، عطله ذلك السفيه سليمان بن عبد الملك ، عن فتح الهند ، واستدعاه بغير سبب إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية ، ثم غدر به فى الطريق وقتله ٧١٤م وهو لم يتجاوز بعد ٢٣ من عمره .

٣- **موسى بن نصير** : أسير سليمان فى بلاطه . ماذا كان على سليمان لو أطلق أسيره : موسى بن نصير ، الذى حَدّ الوليد من تقدمه فى حوض الرون الفرنسى ، واستدعاه وطارق بن زياد إلى بلاطه . لقد مات موسى ابن نصير كمدًا كما أسلفنا ، وهو مُرافق له فى رحلة حج ، ليكون تحت بصره ورهينة فى بلاطه .

- **رابعًا – خطيئة السلطان الموحدى المغربى ، أبو يوسف يعقوب المنصور :**
- هو بطل معركة الأرك الأسطورى ١١٩٥م ، ضد قوات قشتالة على التراب الأندلسى بقيادة ألفونسو الثامن ، التى انتصر فيها أبو يوسف انتصارًا مُدويًا ، وهرب ألفونسو من أرض المعركة ، بعد أن خسر نصف قواته ، وخرج أبو يوسف من المعركة بقواته سليمة قادرة على مواصلة القتال .
- ومع ذلك كرر أبو يوسف خطأ سلفه المرابطى : يوسف بن تاشفين ، دون أن يعتبر ، فكلاهما كان مُنتصرًا ، وقادرًا على مواصلة القتال واستعادة وحدة التراب الأندلسى ، وفك أسر حواضر الإسلام بمساجدها التى تحولت جميعها إلى كنائس .
- **راجع كتابنا : " رؤية جديدة فى تاريخ ، الإسلام فى إسبانيا وفرنسا وصقلية وجنوب إيطاليا " .**
  وكتابنا : " نحو وعى بالعسكرية الإسلامية ، معارك الإسلام الكبرى " .
  وكتابنا : " كَىْ يستقيم وعينا بالتاريخ ، الحضارة الإسلامية " .
  وكتابنا : " الإسلام فى أوروبا وأسيا ، والأقليات المسلمة حول العالم " .

وترفق بنفسك أخى القارئ ، فينتظرك عملٌ كبير ، ووفر طاقاتك من أجل غدٍ
نرجو الله أن يكون على الإسلام وأهله مُشرقًا ، إنه على ما يشاء قدير ،
واعلم أن الحياة تُشرق دائمًا ، وأن نصر الله قريب ،
وإلى اللقاء فى مُصنّفٍ جديد .

- هذا وبالله التوفيق ....انتــهى بحمــد الله .

المؤلف
مهندس : حمدى سلامة
دبلومٌ فى الدراسات الإسلامية بتقدير ممتاز
القاهرة - مصر الجديدة - هليوبولس

" المَراجعُ والمَصادِر "

١- مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس – أ. محمد على قطب .
٢- محاكم التفتيش الإسبانية ١٤٨٠ : ١٥١٦م – د. بشرى محمود زوبعى .
٣- محاكم التفتيش – د. رمسيس عوض .
٤- محاكم التفتيش بإسبانيا والبرتغال وغيرهما – د. على مظهر .
٥- النزعات الأصولية فى اليهودية والمسيحية والإسلام – د. كارين أرمسترونج – ترجمة أ. محمد عبد الجواد .

٦- فقه المُصادرة : محاكم التفتيش الجديدة فى الوطن العربى – أ. عيد عبد الحليم .
٧- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المُتنصرين – العلامة أ. محمد عبد الله عنان .
٨- تاريخ الموريسكيّين السياسى والاجتماعى والثقافى – د. ليونارد باتريك هارفى – دراسة فى الحضارة العربية فى الأندلس تحت إشراف أ.د. سلمى الخضراء الجيمى .
٩- جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده – د. نبيل عبد الحى رضوان .
١٠- الأندلس المواركة – د. عادل سعيد البشتاوى .

١١- مُسلمٌ إسبانىّ أمام محاكم التفتيش – د. طاهر أحمد مكى .
١٢- محاكم التفتيش والمسئولية الغربية (مقالة) – أ. وائل على حُسين .
١٣- ضحايا محاكم التفتيش فى أوروبا – الجذور المسيحية لأوروبا – د. زينب عبد العزيز .
١٤- التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا – أ. جوزيف بيريز – ترجمة أ. مصطفى أمادى .
(الكاتب يهودى فاهتم فقط باليهود المتنصرين - المارانو - ولم يهتم بالمورسكيين المسلمين)
١٥- محاكم التفتيش – د. هنرى تشارلز .

١٦- " بنى إسرائيل واليهود والعبرانيين - (طبعتان) " – مهندس : حمدى سلامة .
١٧- " الإسلام فى إسبانيا وفرنسا ، وصقلية وجنوب إيطاليا " – مهندس : حمدى سلامة .
١٨- " نحو وَعْى بالتاريخ ووطن مُنتصِر : مِصر سَبّاقة الأمم " – مهندس : حمدى سلامة .
١٩- " نحو وَعْى بالعسكرية الإسلامية : مَعارك الإسلام الكبرى " – مهندس : حمدى سلامة .
٢٠- " نحو وَعْى بالتاريخ وأمة مُنتصرة : أفريقيا قارة الإسلام " – مهندس : حمدى سلامة .
٢١- " كَىْ يستقيم وعينا بالتاريخ : الحضارة الإسلامية " – مهندس : حمدى سلامة .
٢٢- " نحو وعى بالتاريخ وأمةٍ مُنتصرة، الإسلام فى أوروبا وآسيا، والأقليات المُسلمة حول العالم " مهندس : حمدى سلامة .
٢٣- " نحو وعى بهيمنة الإسلام وكماله ، ونقائص المُعاندين وتناقضاتهم ، الإسلام والمُعاندون ، وحتمية ظهوره على الدين كُله " . مهندس : حمدى سلامة .